

cat
(GL)

السلسلة الثقافية

١٣

من تراثنا الشعبي

تأليف

عبد الحميد العلوجي

طبعة
المكتبة المركزية
لحاسة بغداد

١٩٦٦

بغداد

تصدرها وزارة الثقافة والأرشاد في الجمهورية العراقية

● من أجل ان تودق شجرة المعرفة في بلادنا
وتزدهر

● ولكيما تشاع الثقافة الاصيلة الهادفة

تصدر وزارة الثقافة والارشاد

كتبها الثقافية هذه لتعني :

● بالتراث العربي الاسلامي الاصيل

● الفكر الخير والادب الانساني الهادف

فاقرأ فيها :

الحرف الجواد والكلمة الصالحة

وتزود :

بالثقافة الهادية والتراث الرفيع



السلسلة الثقافية

١٣

من تراثنا الشعبي

تأليف

عبد الحميد العلوي

تصدرها مديرية الفنون والثقافة الشعبية
في وزارة الثقافة والارشاد
بغداد

طبعة
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

دار الجمهورية
بغداد
١٩٦٦

956.9

Tr 26

13-14

المقدمة

في مطلع القرن العشرين ، وقبل نشوب الخصام الدولي - في أرجاء العالم - حربا طاحنة . . . أكد القلم العراقي على صفحات الجرائد والمجلات البغدادية اثر الحياة الشعبية في الخاطرة الساذجة والارتسام العذراء دون التزام بمنهج أو احتكام الى قواعد وقوانين . انه خلد مالوف اناس شعرا وتقاليد ولهجة وطقوسا وأمثالا وأساطير وعادات وهو لا يدري انه اقتحم الفولكلور من بابهِ العريض . وكانت مجلة (لغة العرب) والجرائد التي عاصرتها المخازن الوثيرة لهذا النتاج الغض ، والحمد للاب انستاس الكرمل ، ولكاظم الدجيلي ، ولعبداللطيف ثنيان ، ولمن استضاء بهديهم على ما وهبوا . . . راجيا لهم الثواب السابع من رب الثواب احياءا وأموتا .

ومضت القافلة تتخطى المبارك والواحات لتؤدي رسالتها بسرعة الضوء . . . وقبل عشرة أعوام وحتى اضحيانة هذا اليوم تشامت دعوتها بمئة

قلم وقلم ٠٠ كلها يبشر باحياء الفولكلور العراقي وتخليده ، ويعزز الرغبة في الانتفاع بالدراسات الشعبية . ومن منابر هذه الدعوة هدرت صحفات مؤمنة سالت مدادا على صفحات الجريدة والمجلة والكتاب ، وتساوقت تخطيطا في مناهج وزارة الثقافة والارشاد .

وهذا وغير هذا وما يمكن ان يوجد به غد قريب ٠٠ انما هو بداية الانعطاف نحو يقظة ناشطة تستطيع ان تزرع العراق في مصاف الدول التي قدست دفائنها وماثورها لتكون ، في السوق السياحي ، مطمح الانظار ، ومهوى الافئدة ومعقد البحوث ومجذب النقد النادر .

وأصحاب هذه الصيحات وان لم يبلغوا في حقول الفولكلور مرتبة الاجتهاد ٠٠ ولكن صح لهم فيها - بعد المعاناة - نقض وابرام . والذي لا يستطيع ان اغفره لهم هو تشاغلهم بما كتبوا عما يجب ان لا نهمله في ميداني الفولكلور الديني والجنسي ، فقد قطعوا للموروث العقائدي واللهجوي اكثر من حق ، وتقاعدوا عن استطلاع زواياه الاخرى بلا علة ٠٠ ولربما كانوا . في ذلك ، يخشون الكائد ، واني اعجب لهم - وفيهم الجريء الباسل - يزوغون عما يجب تبينه خوفا من اللائمين ، فهم فيما قدروا واهمون ، وليس لهم عذر في ستر الحقيقة ايا كان طرازها ٠٠ وكذلك وجدتني - في بعض محتوى هذا الكتاب - اميل الى ما مالوا عنه حين مزقت المكر الذي تكاثف ، مع الايام ، حول المعتقد الشعبي ، أضخم خدعة . وكان هدفي - من وراء ذلك - أن أقيم الصوى في درب طويل ، عامر بالاشباح والرؤى والهواتف لتكون منارا للسالكين ، فقد يغريهم البحث العلمي بالرحيل الى بلاد السعالى أو بصيد المجهول في وادي عبقر ! ٠٠ وعساهم ، اذ يغامرون في متاهات الفولكلور ، ان لا يصددهم عن السبيل حنق المتزمتين ٠٠ وعساهم ، كذلك ، ان يصبروا عند الصدمة الاولى ، والا ضاع كل شيء دونما هلع من زاجر ٠٠

هذا ما وددت لو انفته في مقدمة الكلام على القيم التي احتواها تراثنا

الشعبي ليكون تمهيدا لما أريد ان أقوله في صدد الفولكلور المحرم الذي تحاماه الباحثون العراقيون طوعا أو كرها حتى لا يقال عنهم انهم هبطوا بمراكزهم الثقافية الى درك الاعتبارات المرذولة أو ارتفعوا بها الى مستوى الشبهات القاذورة .. وهذا ظن آثم لا يجاوز ان يكون وهما من الاوهام .

والبرهان على سلامة مذهبي ساقدهه فيما آليت أن ابته على صعيد الدراسة الشعبية .. واعتقد جازما ان اغلب القراء يعقلون واقلهم لا يعقلون ، ومن لا يعقل لا يستطيع ان يخيف ذا رسالة . لانه في ميزان اولي الالباب كقصب البطائح لا يهتز حتى يستحصد !

ذلكم هو تصديري ، وكان شرا لابد منه ، وقد صغته بخورا ليستجمر به من يحاول عبثا ايقاف التيار الفولكلوري في العراق .

واراني ، الآن ، في حل مما وطنت القلم عليه ، لاقول ما اريد قوله ، ومن الله التوفيق .

المؤلف

١٢ تشرين الاول ١٩٦٦

صوتنا الشعبي وكيف نحيمر

يستهدف الفولكلور العربي ، كعلم زاحف جديد ، استكناه حضارتنا الشعبية ، وقسماتها العامة بشعائرها وأوهامها وعقائدها وعاداتها .. ضمن اطار شامل يهيء لمن يريد أن يتفكر أسباب الوقوف على تراثية الفكر الشعبي الخالق ، ومدى ارتباطها بمواقف الانسان الفطرية من أديباته المترعة بالقيم الجمالية الأسرة .

والفولكلور العربي ، كغيره من العلوم الانسانية ، قد استغرق حياتنا الشعبية بتراثها الروحي والادبي والتاريخي ، وخلد جميع الالتماعات التي انقذت في ضميرنا الشعبي عبر الاجيال .

وانني ، في هذه الدراسة ، لن أتصدى لجميع الآفاق التي ارتعى ، فوقها ، فولكلورنا الوطني .. وانما سأعقد كلمتي على تخطيط صوتنا الشعبي ،

وتبيان مقاصده منذ ولادة الانسان العراقي حتى موته .. مؤكداً على الطقوس الخاصة بكل طور من أطوار الحياة ، وما يمكن ان يحوم منها حول ظاهرة الفناء ، متناولاً - فوق ذلك - بالاشارة الواعية جميع الاصداء الملونة التي تمخض عنها ذلك الصوت في حياته العقلية المشدودة بالمفاهيم ، وفي أدبه الشعبي التابع من الملحمة والخرافة والشعر والتمثيل ، وفي عقائده بقواها الغيبية والطبيعية ، وفي علومه التي استوعبت الكهانة والطب ، وفي عاداته بمواسمها الدينية والاجتماعية .

ان تكاليف الحياة اليومية ، وظروف العيش القواهر ، وأعباء العقل والعاطفة .. قد تناصرت - كلاً أو بعضاً - على تشخيص أبعاد الصوت الشعبي ، وتحديد مسالكة التعبيرية خلال المناسبة التي استقامت مع ونباته ليستقر ، أخيراً ، لغة انفعالية يتناقلها ابناء الحياة حفيداً عن جد .. عن جيل .

انهم تناقلوها « مقامات » في شمال العراق وغربه ، وفي أغلب مقاهي بغداد المشهورة ، كمقهى المميز بجوار المدرسة المستنصرية على نهر دجلة ، ومقاهي : عزاوي وحمدى النهر ومجيد گرگر وسبع ، وچايخانه أمين دايي في « الميدان » كما تناقلوها « پستات »^(١) مواع في منابت الباقلاء ، وجزرة بغداد « الكاورية » ، وتراشقوا بها « أذانا » في أحواض المائز ، و « منقبة » في باحات المساجد وحدث القصور ، و « تجويداً » في مواطن العبادة والبيت والمقبرة ، و « نشيداً » وقوراً يمزق صمت الكنيسة على أنغام الأرعن .

(١) الاغاني القصيرة .

وتناقلها بعضهم « ملحمه » و « حكاية » في المقهى ، و « أورادا » في التكية والزورخانة ، و « دعاء » فوق السطوح وفي صميم الأضرحة المقدسة .

ولم تقف هذه اللغة الانفعالية ، بصوتها الشعبي ، عند هذا الحد . . . وإنما اندلعت « نداء » من حناجر الباعة المتجولين ، وخياطي الفغفوري^(٢) ، وفتحاحي الفأل ، وتجار الملابس البالية ، والمسولين ، وسواق السيارات ، والصائحين على ضائع أو فقيد ، والدالين في مزادهم العلني .

وقد ارتدى الصوت الشعبي صيغا أخرى تفاوتت هدفا ومرمى ، فكانت أحيانا « ترنيمه » تؤانس بها الام مهد طفلها ، أو « أنينا » تذوبه عادة الريف على مجرشتها ، أو « شكوى » يطلقها البدوي مع أشجان النواعير ، أو « نواحا » تلهب به « العداة »^(٣) محافل الجناز . . .

وكان أيضا « حوقلة » يلوذ بها المبتلى بخطر داهم ، أو « استرجاعا » يتسلح به المؤمن في معرض المحنة ، أو « استغاثة » يفجرها مَنْ يكاد أن يفرق ، أو « لعنة » تلج صدر الحاقد ، أو « عويلا » يلتمس النجدة لبيت تأكله النيران ، أو « صرخة » تهدر من فم « الشيخ » لطرد شيطان تقمص انسانا سويا ، أو « تلقينا » متداركا يصبه « الملا » على الميت قبل اهالة التراب عليه ، أو « مثلا » يتناغم ومقتضى الحال ، أو « قصيدا » تنشده المواكب الحسينية في محرم كل سنة ، أو « هتافا » تصفع به مظاهرة شعبية ووجه

(٢) ضرب من الاوانى الفخارية .

(٣) النائحة .

سلطة حمقاء .. وغير ذلك من الاغراض التي نزع اليها صوتنا الشعبي في شتى مناسباته الحياتية .

ان هذا الصوت الخالد ، كأني كائن حي ، يبرز ، ويقتات تجربته ، ثم يهرم ويموت . فإذا علمنا انه انحدر الينا عن طريق الرواية أو التلقين أو التلقي .. فان ذلك يلهمنا انه لا يستطيع ، دائما ، أن يكون في عصمة من الانطفاء . ومن هنا وجب أن تتعجل في صيانة الصوت العراقي الشعبي على تفاوت منازعه ومشاربه ، وأن ندرس ، جيدا ، وسائل وقايته وفق طريقة منهجية سليمة .. تضمن حياته وازدهاره ، حتى لا تقف أجيال الغد حائرة في أمره : تبكي ما ضاع منه ، وتتشبث - يائسة - بما سوف يضع في زحمة الترف الحضاري .

ان صوتنا الشعبي لكي يحقق وجوده ويؤكد واقعه وينجو من هول الاحتضار .. تراه يعانق من يفتح له النوافذ لينعشه بنسيم جديد .

انه يريد مكتبة تحفل بجميع الدراسات والابحاث التي عقدها الغيارى على أمجاد الشعب ، ويريد ندوات متلفزة تغذي جمهوره المشاهدين بأساليبه الفنية المختلفة ، ويريد أحاديث اذاعية تزين للمستمعين ضرورة الاهتمام به شكلا ومضمونا ، ويريد مواسم ثقافية تتجاوب فيها المحاضرات تمجد ماضيه ، وتطور حاضره ، وتسج غده .. ويريد تمثيلات تعدها المسارح ترسيخا لأبجديته التعبيرية في العقل الشعبي .

انه يريد ذلك كله ... ويريده مدعوما بنشاط فكري مؤيد بالتسجيل الصوتي ، والتصوير الوثائقي ، والمطبوعات الموضوعية والترجمة .. والإ

فانه ، حتما ، سيكون هدفا لفقر الدم والهزال والموت بلا صخب • على أن القوامين عليه اذا فكروا بدراسة أفضل السبل في انعاشه ، فان ذلك لن يتأتى الا باجراء مسح صوتي متكامل يشمل أرض الرافدين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، مدنا وقرى ، حواضر وبطائح وأريافا •

وهذا المسح ليس من السهولة بحيث نستطيع أن نرسم خطوطه البيانية بين عشية وضحاها •• لانه ، قبل كل شيء ، جهد مئبر ذو عين فولكلورية فاحصة تقوى على التوغل ، بيسر ، في أعماق حياتنا الشعبية النابضة بجميع الدرجات الصوتية التي تتراوح بين الهمسة الحنون وبين الصرخة الضارية •

وانتي ، في هذا البحث ، سأحاول تشخيص العناصر اللازمة لرسم خريطة صوتية قد تفيد القائمين بعملية المسح حين تنعقد العزيمة على تنفيذ هذا المشروع الجبار •

انني أعتقد ان اللذة والألم هما المحركان الرئيسان للصوت الشعبي العراقي •• ومن هنا أصبح الصوت الغنائي سيد جميع المواقف التي صقلها الألم ، وهذبتها اللذة حيال مشكلات الناس في مطارح الحياة •

والحديث عن الصوت الغنائي ذو أبعاد تضرب اصولها في مستويات اجتماعية متفاوتة بتفاوت المناسبات الفولكلورية ومداهما التاريخي •• ولذلك يكون عبثا أن نحفظ الصوت الغنائي الذي انفجر منذ العهد السومري •• أو أن نعبد اليه الحياة بشهقة من الاوكسجين المصنوع • فما مات مات ، ولا سييل الى احيائه ، والعبرة بما لا يزال يومض في حياتنا الشعبية

الراهنة ، أو يكاد يَحْتَقُ نتيجة الإهمال ، أو بما نسمعه - كل يوم - من بعض الحناجر ، في مناسبة ودون مناسبة ، فهذا كله هو ما يجب أن نرعا ، ونرتبه تبعاً للمواضيع والجهات والعناصر .

لقد عرف صوتنا الغنائي هواة ومحترفين خلد لهم التاريخ رواداً من الطراز الأمل . فبعد أن جاد القرن السابع الهجري بالاستاذ ممدود بن عبدالله الواسطي ليعني مباحج الحياة على ربابته . . . سمح القرن الماضي بالبكائي الاول سعيد عگار . ومن محافل المنقبة النبوية ، حيث الكورس الديني يؤدي الأدوار ألعانا ، انطلق الى (تخت) الغناء ، في المقاهي ، رعل جديد من ذوي الحناجر الذهبية . . . يكون عزاقهم المنكوب بأهواء أصفهان والاسفانة ، ويتماوجون بالمقام العراقي وهم يلعنون الحظ العائر ، ويؤاسون القلب المقتون ، ويعذلون الدهر اللثم ، ويصاؤلون الاجنبي الدخيل . . . فكان شلتاغ مهوى الأفتدة في ليالي بغداد ، وكان الحاج خضير بن گصب ينفث كبرياء الجراح من مزماره ، وكان أحمد زيدان يقيم الدنيا في مقهى المميز ، وكان نجم الشيخلي يتألق في مقهى عزاوي بالميدان ، وكان غير هؤلاء كحسن شكرجي وخليل رباز ورشيد القندرجي ومهدي العيسى ومحمد القبائجي يواجهون تكاليف الحياة بالنغم الشجي واللحن الطروب .

لقد استغرق الصوت الشعبي ، عندنا ، ثمانية وعشرين مقاما ، ومهر في اداء اصولها السبعة بنوعها العربي والفارسي ، كما مهر في اداء فروعها الاحدى والعشرين . . . فكان الجالفي البغدادي ، بسنطوره وكمانه ودفه

ودربكته ، يصاحب الاصول العربية الاربعة : النوى والحسيني والعراق
والأوج ، والفارسية الثلاثة : البنجگاه والششگاه والهفتگاه ، وجميع الفروع
دونما استثناء بما يتبعهما من تحرير وتسليم وميانات وپردات •• وحتى
الپسته الختامية ، وهو يتناغم مع همسات المعني وصيحاته عبر المقام ، فيعانق
الجو التعبيري الذي تصوغه احدى اللوازم الفنية كأفندم ، وفريادمن ،
ودل من ، ويادوست ، وايكي گوزم ، وجان من ، ودني ياندم^(٤) ••
وغيرها •

وقد استخدم أقطاب المقام العراقي الشعر الفصيح والموال الشعبي
في أداء اللحن ، وابتاوا قادرين على استهواء الشعب العربي في العراق
ومستوطنيه من الأتراك والفرس •• بالصبا والرست والعجم والأوج والنوى
والحسيني والحجاز •

وانني أرى وهم يغنون القصيد الفصيح في البيات والظاهر والسيگاه
وحجازديوان وعريبون عجم والرست والمنصوري والخنابات والنوى والعجم
والصبا والحسيني والدشت والأرواح والبنجگاه ••• أو يغنون الموال في
السيگاه والمحمودي والمخالف والحليلاوي والقوريات وعريبون عرب
والابراهيمى والمسجين والراشدي والحكيمي •• أرى - وهم يغنون ذلك
كله - أن يتمردوا ، ولو قليلا ، على هذا التقليد المأثور ، فيغنوا الموال
في المقام الذي أرصدوا له الفصيح ، ويغنوا الفصيح في ما أرصدوا له

(٤) الفاظ تركية وفارسية معانيها وفق ترتيبها : سيدي ، يا ويلتاه ،
قلبي ، يا صاحبي ، يا عيني ، روحي ، مت •

الموال ، كما هو ديدنهم في مقام السيگاه ، ليكون غناؤهم سائفا ، مستقيما مع الذوق العربي العام في وطنه الواحد الذي اعتمد لغة القرآن أداة للتفاهم ، ومع الذوق الشعبي المحلي الذي انفرد بلهجته الخاصة .. وذلك تدعيما للوحدة الغنائية التي يصبو اليها فنانون العرب •

اما صوتنا الشعبي في أغانيه القروية والريفية والبدوية ، فقد اتسع للحب والبطولة والكرم والشجاعة ، ففي جنوب العراق - حيث سكان الفرات من أبناء الشرجية - تسامت الابوذية ألحانا مختلفة على لسان الحسيجة ، فكان منها اللامي والصبي والمشموم والعنيسي .. وقد ترامت على أغراض عاطفية كالعتاب والحماس والتوجع والمديح والغزل والهجاء والرثاء •

ومن غناء الجنوب العراقي المربع الذي طغت عليه « جلمة ونص » ، وغناه الهاوي بنغم البيات في مجالس الطرب هناك .. حيث استمرت جماهيرنا الفلاحية ، أيضا ، غناء « الشبكها » و « المجرشة » و « النعي » و « التوشيح » •

وللهوسة ، في هذه المنطقة ، تأثير مباشر وعميق ، ولاسيما بعد أن هاجرت مع المهاجرين الى بغداد وبعض المدن المتناثرة في قلب العراق • ويزعم المستشرق الفرنسي ماسينيون أنها ضرب من الغناء التهكمي ، واذا كان فيما يزعمه بعض الحق .. فان الحق كله في أن الهوسة تفجير عاطفي يثير الهمم الرواقد ، ويعلن الحرب ، ويقدم الامجاد المتوارثة ، ويسب العدو •

ونزع الصوت الشعبي في شمال العراق وغربه ، بين القرى والإرياف ، الى مواجهة يومه وغده بضروب أخرى من الغناء ، كالتجلية « لَجَلَبَنَكْ يَلِيلِي بِالْفِ تجلية » ، والمولية « يا عين موليتين يا عين مولية » ، والهلاية « هله بالوارده يمه هلابه » ، والشوملي « علشوملي علشوملي نارك ولاجنة هلي » ، والهلية « هله يا نور عيني يا هليه » . ويرع هذا الصوت في غناء الناي بأنواعه الثلاثة : الغرباوي والسويحلي والعراقي ، كما برع في أداء العتابة . . وقد ظهرت ثلثة من المغنين تروود المقاهي - في المدن العراقية - مشنفة الاسماع بالنايل والعتابة ، ولا يزال بعضنا يتذكر - جيدا - كيف كان السيد محمد العلكاوي يسلب الالباب ، في مضمار العتابة ، على ربابته .

وتجسد صوتنا الشعبي البدوي ، بين المضارب ، وفي مواطن الكلاء الضاحك ، وعلى ضفاف السواقى . . تحت سمائنا المعطاء ، ألحانا تفيض غناء ورقصا ، بلا عزف ، بلا آلات . . وانما هي الحناجر تغني ، والآف تصفق ، والخصور الشوى تمايل .

واذا طاب للجزيرة أن تباهي أرياف العراق بالدحة البدوية ، فان المنتفك لا بد أن يتشامخ ، عندئذ ، بهجينه المسبع الذي لا يقل حرارة وحماسا عن دحة البدو .

لقد ارتبط الصوت الشعبي العراقي بالحياة العامة ارتباطا صقلته الايام تعايشا اجتماعيا متطورا ، فانبسط مع النفوس المطمئنة ، في نوادي الطرب ، انعاما قوامها الصبا والرسو والنهاوند والعجم ، وتجاوب مع

عازف الربابة ، ابان الاعياد وخلال المناسبات الفولكلورية ، في المقاهي
والاسواق وأمام البيوت ، وهدر من فم القصّخون^(٥) حكاية وملحمة ،
واندلع من أعماق السباح - وهو يشب الى ماء دجلة - نداء مؤمنا : « الخضر
يا بو محمد » ، وانطلق بجلاء وخشية ، أثناء الولادة ، دعوة حارة لتسهيل
المخاض .. واستحال همسة رخاء ، بين شفاء الامهات والجدات ، حول
مراقد الاطفال .. وتساعد صخبا مجنوننا في « هلاي »^(٦) سلمان باك ،
وتلاشي أغنية مقتولة على لسان شقي مخمور يتوانب به « رَبَّسْلُ »^(٧)
عجوز بين شوارع علاوي الحلة^(٨) !! •

ان روافد الصوت الشعبي العراقي قد اجتازت حياتنا العامة الحافلة
بالنقاوض .. لتستقر في أعماق الشعب ، بين ميلاد ابنائه وفنائهم ، أبجدية
متكاملة لفن التعبير على الصعيدين العاطفي والعائدي .. انه تألب على
العمل - في أثنائه وبعد انقضائه - ألحانا تضحج بالحنين والالم ، وتحمل
العمال أو الفلاحين على انجاز الواجب اليومي .. وانه تقمص غناء «البكرة»
في موسم الحصاد ، وقد تساوقت انغامه مع النشاط العملي ، فكان الفلاح
يغالب الجهد المبذول ، مع مطلع الفجر ، بقوله :

خَبَّبَ يَمْشِي التَّرْفِ وَالنَّهْدِ مِنْهُ زَام

زريف أدعج امهيجل كامل الهندام

(٥) القاص •

(٦) زفة أو هوسة •

(٧) عربية سوداء يجرها حصانان •

(٨) منطقة معروفة في كرخ بغداد •

وكانت القروية تؤانس رجاها بغناء « الحياوي » و « الغافلي » دامية القلب ، منهوكة الاطراف •• وكان النداف يخمد جزعه بالابودية الدامعة •• وكان الدلال يجريء الناس على الشراء ، في دائرة المزاد العلني ، بنبراته المتدافعة •• وكان « الخلفة » يشجع « المرار » ، خلال عملية البناء ، على الجود بقوة العمل •• وكان صنّاع المطاعم والمقاهي يماطلون الرغبات بندااءتهم المحمومة •• وكان أبو الهريسة فحل الميدان في اغراء الاطفال وتجميعهم حول دكانه •

وتجول صوتنا الشعبي في الدروب والازقة ، وجاس خلال الارياف وفوق الشطوط والاهوار وعلى الضفاف والسواحل •• ماشياً وراكباً •• يبيع حب الرقي ب « لوز يا حب » ، والصمون ب « أبيض يجوي »^(٩) ايدك » ، والملابس البالية على لسان ابن السبت^(١٠) ب « عتيق للبيع » ، والعلج^(١١) والحناء مبادلة بالصوف مع عطار القرية •• والنخالة تفازلها المرأة المعيدية - أمام البيوت - بالنداء الحنون ، والقيمر ينساب من شفتي البائعة الجميلة « گيمر •• يو » ، وبيض اللللك^(١٢) يجر وراءه موكب الاطفال مفتونا ب « اللللك جانه طاير ، فد راس للمناير »^(١٣) ،

(٩) يكوي •

(١٠) اليهودي •

(١١) العلك •

(١٢) ضرب من الحلوى ذو قوام منتفخ يتلاشى في الفم عند امتزاجه

باللعاب •

(١٣) أتى اللقلق الينا طائرا نحو المناثر •

والفرارات^(١٤) الملونة تثبت وطائد المودة بين البائع المغني وصغارنا
المأسورين !! •

وفي اطار العمل ، أيضا ، أخذ الصوت الشعبي الى ألوان أخرى
من التعبير •• حين تكشف القرداتي ، بمواله ودنكه ، عن شحاذ ماهر
تنصاع له الجيوب •• ورفع الجرخجي^(١٥) عقيرته بما يصارع وحشة
الليل •• وملاً سواق السيارات آذان المارة بالذهاب الى « حاج لفتة »
و « سبع قصور » و « رخيتة »^(١٦) •• ومزق المنادي هدوء « الدربونة »^(١٧)
بصوته الجهوري : « سامعين الصوت صلوا عالني » يبحث عن طفل فقيد
أو دجاجة ضالة أو قلادة ضائعة •• وانتجع الاحداث أهل « الصدر
بيكو »^(١٨) يشاهدون في صناديق ولاياتهم ما لم يروا ، ويسمعون ما لم
يسمعوا « شوف وانظر يا سلام ! » •• وركن مرشدو القوافل والجمالون
الى « الحداء » يحثون به الخطي ، ويفاجئون دفائن الليل ، ويرعبون
قطاع الطريق •• وتصدي المتسولون للرائح والغادي ينشدون - عبر
الاسواق - القصائد في مدح النبي وآله •• وتصدر المرشد الاجير موكب
الجنابة قاذفا جلال الموت في نفوس الاحياء : « الله أكبر ! » ، وزحف أبناء

(١٤) جمع فرارة ، وهي العوبة تصنع من الورق الملون ، تشبه
المرحة وتثبت في نهاية عود نحيف ، يركض بها الطفل ليحركها الهواء •

(١٥) الحارس الليلي •

(١٦) مناطق معروفة في بغداد

(١٧) الزقاق •

(١٨) صندوق يشرف منه الاطفال ، خلال ثقب مزججة صغيرة ، على

مشاهد غريبة •

رمضان بدنا بكمهم ، خلال الدرايين ، يستمطرون بأغنية « ماجينة » الاكف المحسنة وهم في غنى عن الصدقات •• وترصد فتاح الفأل صرعى الوهم وحلفاء الفاقة وضحايا الوسوسة بندائه الساحر : « فوال ! عداد نجم » فلا يحجم عنهم الا وفي جيبه ما كان في جيوبهم •• الى غير ذلك مما يتدلجج في صدور الباعة المتجولين من نداءات بارعة ، مترعة بالاغراء والمتعة •

وولج الصوت الشعبي دنيا الطفل ، فمال مع الاراجيح أغنيات حلوة ، وخلع على « الجوبة »^(١٩) جبور العيد •• وتعالى ترنمة سعيدة بين شفتي الام وهي تغسل طفلها أو تثقل أجفانه بهناء النوم ليهجع قرير العين •• كما استقام ذلك الصوت الفاظا معجونة بالبسمة المشرقة ليشير في الطفل حب المغامرة اثناء ترويضه الاول على المشي ، أو اقدامه على اجتياز الخطوة البكر في حياته الخضراء •

وفي مضممار الالاب الشعبية حام صوت الطفل نشيدا جماعيا حول الضواحي المشمسة يبشر أولاد « الدربونة » بميلاد الصباح : « طلعت الشميسة ، على كبر عيشه » ليتوافروا على القيام بلعبة « صندوقنا العالي » • وللطفل دعاء جميل ، يصافح به « عين الشمس » حين تسقط سنه الاولى ، ملتصقا « سن الغزال » بديلا •• حتى اذا اشتد ساعده ، واكتسب أهليته للختان ، وضعه أهله وذوو قرباه تحت رحمة « الزعرتي »^(٢٠) ،

(١٩) الساحة الكبيرة يتخذها الناس مجتمعا لهم أيام الاعياد •

(٢٠) الختآن •

وبركات « صلوا على محمد » ، وصحب « الشوباش »^(٢١) ليستلقي - بعد ذلك - هادئاً فوق « الفرشة » الوثيرة ، وهو يجتر ذكرياته القريبة عن زفة « ام سلاح » التي طافت - قبل يوم - في طرق المحلة ودروبها على ضجيج الدمامات والمزامير والاهازيح وقد خفقت الرايات فوق الرؤوس ، وانعقد الغبار ، وتعالق الزغاريد عبر الأبواب ومن جميع الشبايك !!

وبعد أن يلثم الجرح ينقلب طفلاً ، وهو الحمل الوديع ، الى شيطان يعكر صفو الجيران •• فيجد أهله في هذا السلوك المبرر المشروع الذي يسوغ لهم ارتهانه في أحد الكتابيب ، ليكون تحت رعاية « الملا » الذي سيمنحه شهادة « الختمة » بعد أن يبح الصوت الناعم من « تهجي » القرآن و « روانه »^(٢٢) •

وقد يودع في مدرسة ابتدائية ينادم - بين جدرانها قراءته الخلدونية ليتعلم « زيزه » و « زيره » وفق الاصول العامة للطريقتين الصوتية والجمالية •

وفي عهد اليقاعة •• ينطلق الصوت الشعبي يفلسف الحياة ، بعد أن تفور موسيقاه عذاباً ملوناً في اطار « العشاق » و « الجهارگاه » •• أو أصداء ملوثة بالمتعة الحرام ، أبطرها العيش الرفيه ، فجسدها مقام « الحجاز » •• او ملهاة دامعة تزيد ضراوتها كلما عز الانيس ، فكانت اغنية « علروزنه » هدية الحسناء الموصلية الى عيد بغداد •

(٢١) كلمة تركية تنظر الى (شوباش در) بمعنى : هو كبير
استعملت في مواسم الفرح لحث الحاضرين على الجود بما تملك جيوبهم •
(٢٢) الروان : القراءة باسترسال وفق ما يسمى بالطريقة الجمالية •

وشمل الزواج ، عندنا بما ابتكره الصوت الشعبي العراقي من أغان ومحاورات جميلة، فكانت صيغة العقد - بنبراتها المثقلة بالحكمة - تحن الى كلمة « نعم ! » تخرج من فم العروس ليقرن الايجاب بالقبول ، وتنصهر الآمال المشتركة رباطا مقدسا يشد الذكر بانثاء .

وكانت حفلات العرس تشوى بـ « البهرزاوي » و « المربع » وانغام « السبگاه » .. وكانت أغاني ليلة « الحنة » تنشط حياة العروس بالعزاء الدافئ والضوء الرفيق .. وكانت « البستات » العاقلة والداعرة تفسل العذراء أثناء تزويقها ، وخلال جلوسها على الكرسي تحلم بالسعادة المجهولة .. وكانت زفة العريس تتخطى حدود العرف الاخلاقي بما يتفاح حولها من اغان جريئة تتواطأ عليها الهوسة الشعبية والفوانيس والسراديح والطنبل والدمام .. وكانت « الهلاهل » (٢٣) تمزق أحلام العروس وهي تختال في موكبها النسائي المنطلق نحو بيت العريس .

... حتى اذا مضت الايام ، خمد الاندفاع : فاما سعادة غامرة واما شقاء مقيم .. وعلى كليهما سكب الصوت الشعبي ابتساماته وتباريحه بلا حساب ، فغنت المرأة المنكوبة بزوجها « أنا المسيحية » ، وغنى الرجل المزرى به آلام الاغتراب وهو يذوب حنينا الى وطنه .

ان صوتنا الشعبي ، بمروته وقابليته المدهشة للتكيف مع النوازل الاجتماعية الطارئة .. قد سيطر ، تماما ، على جميع الاجواء التي رعت فيها بعض الوقائع التاريخية ، فالاعوام (٢٣-١٩٢٥) وضعت « السدارة »

على رؤوس « الافندية » ، وحرضت أغانيها الشعبية على الغزل والعتاب
والسخرية بالمتسدرين ، فانطلقت تقض مضاجعهم - بلا هوادة - فوق
المسارح وخلال الازقة والشوارع .

كما ان « بنت الحمولة » (٢٤) ، في ذلك الوقت ، قد تمردت على
بعض الاعتبارات السائدة ، فخلعت البرقع ، وهجرت « الداربية » و
« الهاشمي » ، وقصرت فستانها ، وبترت جدائلها . . فأصبحت أمل العيون
والقلوب ، بعد أن كانت معصومة حتى من نظرات السقاء الذي يزود الحجاب
بالماء . وقد أثار هذه البدعة ، وقتئذ ، صوتنا الشعبي ، فأقلع عن صمته ،
واتفض اغنيات جارحة . . ليوضح بها آباء المتمرذات وأولياءهن المأخوذين
على الغرة ، داعيا الى مناجزة هذه العادة الذميمة .

ومن النوازل التي ما برح الصوت العراقي يرتقبها ويتعاورها بالغناء :
ظاهرة الخسوف التي تصرع بشاشة الناس ، وتلهب نغماتهم على « الحوتة »
المتورطة في تشويه وسامة القمر . . وكذلك « دورة السنة » التي تستفز
المصائر بحيوان مألوف يبشر ، أحيانا ، بالنعيم ، وينذر ، أحيانا ، بالويل
والحرب والمجاعات . . والنفاق السياسي الذي يدفن مصالح الناس تحت
ركام الشهوات ، فيثور الاحتجاج ، ويتراحم الاحرار على نخوة المظاهرات
بالشعار الدامغ والهتاف الزاجر والهوسه القاصمة .

اما في حومة الرقص ، فقد أسعف الصوت الشعبي العراقي حركات
الراقص (. . أو الراقصة) بكلمات ملحنة ذات اوزان كثيرة تتجاوب مع

(٢٤) المرأة كريمة المنبت .

الدف أو الدبك لتكون نبغ الحرارة اذ تماوج السواعد وتمايل الاعطاف •
وفي مجالس الرقص البغدادية استقرت السيادة لنغم « البيات » ••
وفي حواشي الريف انفرد العجر - في زحمة رقصهم النسوي - بالعتابة
والنايل على نحيب رباباتهم •• ولكن الصوفية - وهم رواد الرقص الديني -
وان ضويقوا في مراسيمهم التقليدية •• الا انهم تفاوتوا رقصا بتفاوت
طرقهم وتكايهم •

وحين انتشرت الزورخانات « النوادي الرياضية الشعبية القديمة » في
محلات : الفضل والدهانة والعوينة والكاظمية والجيدرخانة والصدريه وباب
الشيخ •• انتعش المستوى الرياضي ، وبرز الجسم السليم في المجتمع
البغدادي فخورا برسالة الزورخانة •• حيث كانت حركات اللاعبين تجري
على نقرات « الزرف » - وهو الدبك - منسجمة مع الاوراد والادعية ••
وحيث كان المرشد يضبط الايقاع على دنبكه ، ويسوس المصارعة بما له
من كفاية نظرية وتطبيقية على صعيدها •

اما في بعض مناطق الريف العراقي •• فقد ساهم الصوت الشعبي
متعاوناً مع الطبل آناً ، ومع « المطبج » آناً آخر في تقويم رقصة « حميد »
التي يؤديها راقص وراقصة (عليها عباءة كلبدون وثوب هاشمي) ، ورقصة
« الجوبية » بأسلوبها الجماعي •

وهناك •• بين مضارب البدو ، في صميم البادية •• حيث تشهد
الرمال أفراح ابنائها في محافل العرس والختان ، يستأنف الرجال والنساء
غبطتهم برقصة « الدحة » ، موزعين على دائرة •• تغني في وسطها عادة

حسنا تمتشق حساما ، لترقص حاسرة الوجه مكشوفة الرأس ، ولتهتز
بعنف على ترجيع « دح !! دح !! » *

وللصوت الشعبي نبرات أخاذة ، جاد بفخامتها وجزالتها وصب
فحولتها على أغاني الغزو والصيد والكفاح السياسي ، فكان لمقام الرست
العزم والبطولة ، ولمقام الأوج اللهب الكاوي ، وللحدي (وخصوصا
الخوراب) قوة المضاء والزخم الثوري *

وأصغى ذلك الصوت الى ما يراود الطوائف الدينية من مقومات
ولوازم تسند اليقين ، وتعزز الايمان ، فتبشر لها ، ووثب على المنقبة النبوية
يردد ، تحت المصابيح أو الشموع أو القناديل : « عطر ، اللهم ، قبره الكريم
بعرف شذي من صلاة وتسليم » ، وجعل من « البوسليك » و « الصبا »
و « العجم » و « الجهارگاه » و « النهاوند » .. مقامات حزينة ، تلائم
الاجواء الدينية .. واشترك بما له من رصيد موسيقي في « تلقين الميت قبل
اهالة التراب عليه » وفي « وداع شهر رمضان » و « اداء الاذان » و « رتل
الاوراد والادعية » و « تلاوة المزامير » و « تمجيد الاسحار في شهر
الصيام » و « الابتهاج بعودة الحجاج » و « صلاة الاستسقاء » و « مدائح
الشحاذين » و « تسابيح الصائمين » و « تعويذات الخائفين » و « أشجان
الروزخونية »^(٢٥) و « ترنيمات المطوفين في الاضرحة المقدسة » و « دمدمة
التسيح بين حلقات الذكر في التكايا » *

وخرج صوتنا الشعبي في مواكب ليلة « المحية » بلا وقار .. بعد أن

(٢٥) قراء المنبر الحسيني في شهر محرم *

تخطت اغانيه جميع الحواجز الخلقية • وجوّد القرآن الكريم على قراءة
واحدة أو وفق القراءات السبع أو العشر •• ولكنه تسمّد على قواعد
التجويد عندما استغله بعض الذين يرتزقون بقراءة القرآن على القبور •
ورافق العذارى الى مزار الزاهد الصوفي حبيب العجمي في الكرخ
•• يسألنه « المراد » و « الزوج الصالح » ، وهن يهتفن :

« شمعة بطولك ••• يا حبيب العجمي !!

جينا نزورك ••• يا حبيب العجمي » •

وذهب مع المتهم بالسرقة أو الكذب أو النيمة الى ضريح العباس
« أبو راس الحار » أو الى مشهد الكيلاني « الباز الأشهب » •• ليترافع ،
هناك ، بجلال ، ملتصقا « معجزة » الامام أو الشيخ : فلما ادانة واما براءة •
وارتقى ، في ليالى الجُمع ، مع المرحوم أحمد زيدان منارة جامع
الخاتون ببغداد •• لينادي الله مستغفرا بأبيات من الشعر على نعم الحجاز !
ولعب دوره البارز في « الهنغيمة » التي أداها العبيد طقسا دينيا
وفريضة واجبة •• حين كانوا يجتمعون - ليالى الجُمع - في « ميدان
العبيد » ببغداد يرتلون نشيد التوبة على نعم الطنبور وبمصاحبة الطبل
وخلال احدى الرقصات الزنجية التي ينجزها أحدهم ، بلباس تقليدي أعد
لهذه المناسبة ، وهو يترنح يمينا وشمالا •• مهتزا على خشخشة اظلاف
الغنم •

وللصوت الشعبي العراقي ، فوق ذلك ، أثره البالغ والعميق في ارضاء
الاهوام التي تحن الى كرامة الولي •• لكي تتجسد غلاما للجبلى ، وزوجا

للبر ، وجنينا للعافر ، وبراءة للمتهم ، وفرجا للغمه ، ورواجا للكاسد ،
وصحة للعليل ، ورحمة للمنكوب ، وخلصا للمبتلى ، وسترآ للمهتوك ،
والهاما للبليد ، وتوفيقا للمجتهد ، وهداية للضال ، وحماية للمهارب ، وملاذا
للغريب ، وتسهيلا للمخاض ، واقالة للعائر ، وأملا لليأس ، وداهية
للمناق ، وآفة للظالم ، وشرا للحاسد .

ان ذلك الصوت الخالد استحال دمدمه ، وتصاعد دعاء ، وانتشر
ترتيلا .. أثناء تعليق « الخرق » على شبائك الاضرحه المكرمه ، وخلال
زجر البوم في هدأة الليل ، وعند استخراج الجنّي أو طرد العين .. وانه
استغرق الكهانة ، واستطلع الغيب بالطشة والفأل وقراءة الكف والقهوة
واستفتاح الخيرة واستنطاق الرمل .. وانه ، كذلك ، داوى الاوصاب
والعلل ب « المدمي » و « الحكيمي » ، وهما المقامان اللذان امتازا بتنشيط
الدورة الدموية وتعزيز المعنويات .

وأمام الموت .. خشع صوتنا الشعبي ، وأوصى التاكل بالصبر الجميل ،
وناح على لسان النائحات ، وواسى السعادة المعطوبة ، وألهب « الجانية » (٢٦)
باللطم جازعا مع الجازعات ، صارخا بحرارة : « ويهوه على العريس
ويهوه » ، وبكى - مع الباكين - عذراء البيت التي اخترمتها المنية ، والفتى
الاعزب الذي رحل - بلا وداع - تاركا ، وراءه ، قحطا عاطفيا لا تغالبه

بكائيات الدنيا كلها .. وبكى ، أيضا ، رب العائلة الذي هجر أطفاله
قسرا ، ليرقد - الى الابد - في حفرة باردة •

انه ذاب ألما - على الصعيد البكائي - مع الابوذية ، وتسامى داعم
النبرة مع نغم « الاوج » !•

وما ذكرته ، هنا ، في هذه الدراسة .. انما هو هدف القوامين على
الفنون والثقافة الشعبية في بلادنا ، وهو ينتظر منهم الرعاية والاحياء والتطوير
والتخليد .. والافان قواعده واسسه المتوارثة ستكون عرضة للفتن الاكيد •
انقذوا صوتنا الشعبي .. انه الثدي الحلوب ، الدار بالعافية ، وحرارة
الحياة !! •

مَاسِنِيُونُ وَعَامِيَّةُ بَغْدَادَ

ان الطريق الى المرجوم البروفيسور لويس فرديناند ماسنيون L.F. Massignon مفتوح منذ أمد بعيد ، وشهرته - في ميدان الدراسات الاسلامية - لا تحتاج الى مجامر بخور أو قوارير طيب حين يراد الاحتفاظ بها في معرض الذكر الحميد ... فالرجل من مواليد سنة ١٨٨٣ ، وفي يفاعته استهواه التراث العقائدي في الشرق الاسلامي ، فعكف على دراسة اللغة العربية فصحي وعامية في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس ، وكان ذلك سنة ١٩٠٦ . وفي العام التالي قرأ مأساة الحسين بن منصور الحلاج منظومة في احدى مجاميع الشاعر الفارسي فريدالدين العطار ، فحفزته هذه اللقطة على تسخير طاقاته العلمية في تخليد المكتبة الحلاجية .. وأيا كان الامر ، فاني لا أريد ، هنا ، أن اجتر ما كتبه الدكتور عبدالرحمن

بدوي حول حياة ماسنيون في مجلة (المجلة) القاهرية (العدد ٧١ -
الصادر في أواخر ١٩٦٢) ٠٠ ولكنني بعد أن انتهيت من مطالعة هذا البحث
النفيس وجدت كاتبه يقذف في روع القاريء أن ما ذكره عن ماسنيون
جامع مانع ، والقاريء - بدوره - يستطيع أن يتكل عليه اتكالا مطلقا ٠٠
وهذا ما ساقني الى نشر بعض الملاحظات حوله لا قيد ما شرد من الصواب
عن الدكتور بدوي .

فالزميل بدوي يعتقد ان ماسنيون في شتاء ١٩٠٧ - ١٩٠٨ قد نزل
ضييفا على اسرة الآلوسي في بغداد ، وهذا ما تنقذه الرسائل المتبادلة بين
عميد اسرة ماسنيون والاب استاس ماري الكرمللي في غضون سنة ١٩٠٧
حول وجوب رعاية الشاب الباحث لويس ماسنيون البالغ من العمر الرابعة
والعشرين ٠٠ فان ذوي هذا الشاب قبل أن يغادرهم الى بغداد في بعثته
الآثارية شتاء ١٩٠٧. قد أخبروا - سلفا - الأب الكرمللي برحلة ابنهم الى
بغداد ، وأوصوه به خيرا ، والتمسوا منه رعايته ٠٠ فالتزم الكرمللي
ببرجائهم ، وحققه كما ينبغي . واليه يعود الفضل في توثيق أوامر التلمذة
بين السيد المرحوم محمود شكري الآلوسي وبين المستشرق الشاب ماسنيون .
ومما يؤيد هذا المنزاع أن ماسنيون نفسه لم يجذب العيش تحت سقف واحد
مع الاب الكرمللي ، ولم يفكر في النزول ضيفا على شيخ الاسرة الآلوسية ،
وانما استقل بدار أحمد. أغا الواقعة في محلة الحيدر خانة قريبا من العاقولية .
ذلك ذلك ، ومن جهة اخرى قدم الدكتور عبدالرحمن بدوي لقرائه
ثبنا احصائيا دقيقا بجميع مؤلفات ماسنيون خلال نشاطه العلمي الخصب ،

وقد خص منها بغداد بما يجانف الحق ، ويشجع على الاستدراك .
انني اعرف ، جيدا ، ان لاسنيون حول بغداد وتراثها أكثر من
الدراسات الثلاث التي أشار اليها الدكتور بدوي في بحثه . ومن هنا وجب
عليّ أن أدونها ، وارشد القاريء الى مظانها لعلها تسعفه بما يتوق الى
معرفته . ففي سنة ١٩٠٨ اشترك المرحوم ماسنيون في مؤتمر المستشرقين
الدولي الخامس عشر الذي انعقد في برلين ، وقدم للاعضاء بحثا طريفا
بعنوان « هجرات الموتى في بغداد Les Migrations des Morts à Bagdad
تطرق فيه الى قبور أولياء هذه المدينة الخالدة ، وقد نشره - حينئذ - في
المجلد الثامن والعشرين من مجلة (تاريخ الاديان) الصادرة في باريس ،
على الصفحات (٣٢٩ - ٣٣٨)

Revue de L'Histoire des Religions, LVIII - 3; pp. 329-338. d'après
comm. au XV me Congrès des Orient - Cf. Section III

ثم أعقبه بدراسة لأمعة عن (الحج الشعبي في بغداد)
Los pèlerinages populaires à Baghdad. سنة ١٩٠٨ أيضا على الصفحات (٦٤٠-٦٥٢)
من مجلة (العالم الاسلامي) الباريسية

Revue du Monde Musulman, VI, Dec. 1908; pp. 640-652.

وفي نفس هذا المجلد ظهر له بحث آخر بعنوان (ثبت وثيق للعوائل
البغدادية الشريفة) على الصفحات (٦٥١ - ٦٥٢)
des Familles nobles de Baghdad.

وفي المجلد الثامن من هذه المجلة الصادر في سنة ١٩٠٩ نشر
Etudes sur les (دراسات عن مخطوطات في بعض مكاتب بغداد)

- ٢٢٥ - Manuscripts des Bibliothèques de Baghdad. (٢٢٧) ، وفي هذه السنة أيضا نشر ، في القاهرة ، دراسة مستفيضه عن (مدارس بغداد) Les Medresehs de Bagdad ظهرت في المجلد السابع من مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية على الصفحات (٧٧ - ٨٦) B.I.F.A.O., VII, 1909; pp. 77-86 ثم أعد ، بعد ذلك ، بحثا عن (مرآة الحياة الاجتماعية في بغداد أبان الخلافة العباسية) Le Miroir de la vie sociale à Bagdad sous les Khalifes Abbasides نشرته حويلة الكوليج دي فرانس في مجلدها الثامن والاربعين ، على الصفحات (١٣٨ - ١٤١) A.C.F., XLVIII, pp. 138-141 وفي سنة ١٩١١ ظهرت له دراسة في سبع صفحات بعنوان (مصدران جديدان عن بغداد وطوبوغرافيتها في القرون الوسطى) Bagdad et sa Topographie au Moyen Age: deux sources nouvelles في مضبطة أكاديمية الخطوط والفنون الجميلة الصادرة في باريس على الصفحات (١٨ - ٢٤) C.R.A.I.B.L., 1911; pp. 18-24 عن تفاهم الشيعة في بغداد خلال القرن الثالث الهجري Shi'ites extrémistes à Bagdad à la fin dutroisième de l'Hégire فقد نشرت على الصفحات (٣٧٨ - ٣٨٢) من المجلد الثاني والتسعين من مجلة الجمعية الشرقية الألمانية الصادرة سنة ١٩٣٨ Z.D.M.G., XCII, 1938: pp. 378-382. ثم نشر دراسة وضاءة عن (القضاء والتقاء البغادة) Cadis et Naqibs Baghdadiens في مجلة فينة للشرقيات على الصفحات (١٠٦ - ١١٥) من المجلد (٥١) الصادر خلال ١٩٤٨ - ١٩٥٢ W.Z.K.M., LI, 1948-52; pp. 106-115.

وأخيرا (أي في سنة ١٩٥٤) قرأنا له في المجلة الفرنسية الجديدة
الصادرة في باريس N. R. F., 1er. Fev. 1954; pp. 214-235 بحثا شيقا
عن (استشهاد الحلاج في بغداد) Le Martyre de Hallaj à Bagdad
استغرق اثنتين وعشرين صفحة •

فهذا الينبوع الثر الذي فجره ماسنيون مفتونا بسحر بغداد لم تخدم
فورته الا في سنة ١٩٦٢ ، فمات وفي نفسه شيء من بغداد ، وفي اعماقه
أمنية جميلة تلجلجت في صدره وهو على سرير الموت ، فجسدها رسالة
دامعة بعث بها الى المرحوم الدكتور ناجي الاصيل يرجوه فيها لو يسان قبر
الحلاج ويتعهد بالاصلاح والترميم •

ذلكم هو ماسنيون ، وقد جلوت حقوقه التي غمطها الدكتور عبدالرحمن
بدوي دون قصد •

وللفقيد كتاب ظهر أصله الفرنسي بعنوان (ملاحظات عن لهجة
بغداد العربية) Notes sur le dialecte arabe de Bagdad في القاهرة
سنة ١٩١٢ على صفحات المجلد العاشر من مجلة المعهد الفرنسي للآثار
الشرقية ، مستوعبا أربعا وعشرين صفحة ، ثم طبع على انفراد بعد أن
أستل من تلك المجلة في السنة نفسها • ومن المؤسف أن يغفل الدكتور
بدوي ، بلا علة ، الاشارة اليه في البحث الذي عالج فيه حياة ماسنيون
وآثاره •

لقد سجل ماسنيون في مطلع هذا الكتاب ملاحظات عامة ندب فيها
على اللهجة العربية البغدادية عطفة العاطف ، وغيره الحريص ، منوها بما

حظيت به اللهجة القاهرية واختها السورية من اهتمام زمرة محترمة من
أفاضل المستشرقين كقولرز وسبيرو بك وسييتا وكارلو نللينو وغيرهم ..
وانني أرى مذهب ماسنيون هذا لا يخلو من بعض الابتسار والتعسف ،
وسوف اناقشه الحساب عندما ينصرف الى امتحان المصادر القديمة الخاصة
بلهجات بغداد .

لقد انفرد ماسنيون بحس لغوي رفيع ، يعز نظيره بين المشتغلين بدراسة
اللغة العامية ، فهو يكاد يجزم بأن لهجتنا البغدادية معقدة غاية التعقيد
بحيث دمغها بطابع المشكلة اللغوية التي توجد بمعطيات ليس الى استجلاء
غموضها من سبيل ... ومن هنا ساء ظن الرجل بالكتب التي عالجتها ،
وحاولت هتك البراقع عن أسرارها ، مؤكدا على قلة جدواها في ميدان
البحث المنهجي القويم .. لماذا ؟ .. لان بغداد تشرب ماءها ، وتشهق
هواءها ، وتأكل قوتها ، وتناغي أطفالها ، وتشم أعداءها ، وتساوم تجارها ،
وتعيش نهارها ، وتلبس ليلها .. باكثر من لهجة ، ولان بغداد هي احوج
ما تكون الى اللغة الموحدة التي تنسق رغبات أبنائها ، وتمهد السبل أمام
الدراسات العلمية الرصينة .

فماسنيون يأخذ على بغداد (لامركزية) لهجتها ، وقد دلل على ذلك
بانقسام الطائفة البغدادية في الرصافة الى مجموعتين لغويتين على صعيد
التفاهم الدارج ، احدهما - وقد سماها بالشمالية وهي الاعظمية
والحيدر خانة - تبالغ كثيرا في التزمت والانطواء ، ولذلك بات تزعزعها
وشيك الوقوع . والثانية - وقد سماها بالطائفة الجنوبية الشرقية وهي باب

الشيخ - تحتفظ بحيوية كاملة وبشباب لهجة تام • وكلنا المجموعتين من أهل السنة ، ثم يستطرد ماسنيون ، بعد ذلك ، في بيان خصائص الحبي اليهودي ومجلات النصارى ، ليقول لنا أخيرا بأن المجموعة الاخيرة المتميزة في الرصافة هي مجموعة الشيعة الهيتاويين التي تحيط بجامع المصلوب • ولا ريب ، هنا ، في ان ماسنيون حين وزع مسلمي بغداد على سنة وشيعة ، انما عكس وسجل - بصدق - ما كان عليه الواقع البغدادي في شيخوخة الدولة العثمانية التي كانت تقنات وجودها تحت ظل الشقاق الطائفي ، وماسنيون على الرغم من التعايش الادبي الذي كان قائما بين شعراء ومفكري السنة والشيعة آنذاك ، فانه أصر على تشقق اللهجة الدارجة بين الطائفتين المذكورتين •• وهذا ما لانقره عليه •• لان اية محلة لم تكن سنية خالصة ، ولا شيعية خالصة ، وانما هي مزيج من هؤلاء واولئك • ومهما يكن من شيء ، فان ماسنيون معذور •• اذ ليس في امكانه أن يقدم خيرا مما قدم في كتابه ، لأن بقاءه في بغداد لم يستغرق الا شتاء واحدا ، وهو شتاء ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ، فماذا عساه أن ينتج في مثل هذه البرهة القصيرة •• ومع ذلك فان ما انتجه ليشير ، بحق ، الى المعية مبكرة يندر وجودها لدى سواه •• فقد فحص واختبر وامتنحن جميع النقاط التفصيلية التي يمكن أن ينطوي عليها اصطلاح شعبي أو نداء بائع أو اغنية عابرة أو أثاث منزلي •• شاع استعماله ، وألّفه الناس ، وتواتر الانتفاع به خلال عهد طالت فيه أحلام النائمين تحت وطأة الفزع العثماني الذي صبه على بغداد ناطورها الغريب ، وواليها المبجل حازم بك !!

في كتاب ماسنيون زينة خادعة زوق بها الحديث الذي عقده على المصادر القديمة الخاصة بلهجات بغداد ، فقد أتاحت له دراسته المحدودة في عاصمتنا ما دفعه الى الايمان بأن ابرز المؤلفين الذين درسوا اللهجات العربية في بغداد لم يؤدوا لنا الا مقاطع من الدراسة الجامعة التي ظلت في حاجة الى من يقوم بها .. وذلك - في دعواه - لعدم تحديدهم للمقاريء هذه اللهجات التي كانوا يشيرون اليها .

وانني وان لم اكن اتوقع غير هذا من المرحوم ماسنيون ولكني اؤاخذه على قهر بعض الحقائق التي لو اطلع عليها لتشبث بها مسرورا . انه لم يكن يعلم ان هناك في احدى خزائن الكتب مخطوطا ذا أهمية بالغة في تحديد المصير الذي ينتظر دراسته عن لهجة بغداد .. انه جهل ان للكسائي رسالة في لحن العامة (وهي التي نشرها الاستاذ عبدالعزيز الميمني سنة ١٩٢٥) تصدت للحن الذي أصاب الفصحى يوم مامترجت ثقافات الامم في بغداد ، وأهمل تلك الثروة الشعبية التي تبرع بها الجاحظ للاجيال الطالعة في أغلب مؤلفاته .. ولاسيما (البيان والتبيين) و (الحيوان) ، ولم يقدّر وزنا لبعض الشذرات التي حفلت بها آثار التوحيدي والتعالبي على الصعيد اللهجوي ، أو ما طفحت به المعاجم العربية من مفردات واصطلاحات عامية ، ولكنه بالرغم من هذا واكثر من هذا أدخل في روعنا أنه يستطيع أن يرتقي باللهجة العربية القديمة الدارجة البغدادية الى أبعد من القرن الثاني عشر الميلادي ، وذلك عن طريق مصدرين هما : مجموعات الامثال الشعبية ، وزواجر الوعاظ الشعبيين .

والواقع أن ماسنيون اعتمد بدون تحفظ على رسالة القاضي الطالقاني في الامثال البغدادية التي جرت على لسان العامة في حدود الربع الاول من القرن الحادي عشر الميلادي بعد أن عثر عليها في خزانة محمد الفاتح والتي نشرتها له فيما بعد (أي في سنة ١٩١٣) مطبعة رعمسيس في القاهرة . . . بينما كان عليه ، فوق ذلك ، أن يمتحن أمثال المولدين التي زخرت بها تصانيف الامثال قبل ولادة القاضي الطالقاني بعشرات السنين ، والتي حفظ لنا العلامة الميداني طائفة كبيرة منها في كتابه (مجمع الامثال) .

اما زواج الوعاظ التي حام حولها ماسنيون فقد ضاقت دائرتها حينما اقتصر على مقارنة ما قاله وعاظ القرن الثالث حتى التاسع الهجري بما سمعه من أفواه المتصوفة عن مصرع الحلاج في تكايا بغداد شتاء ١٩٠٧ ، اذ لو أصاخ ، جيدا ، الى ما كان يقوله الوعاظ و « الملالي » والروزخونية ورواة القصص الشعبي في الندوات والمجالس والمقاهي الشعبية وفي المواكب الخاصة وبعض المواسم الفولكلورية وفي البيوت المحكومة بنظام الحريم . . . لكان قد تزود ب ذخيرة كريمة تدعم دراسته التي وطن نفسه على انجازها متكاملة من جميع الوجوه .

اما المؤلفات الحديثة التي رجع اليها ماسنيون في تقويم بحثه ، فقد قسمها الى مؤلفات عامة وكتب أخرى يطفى عليها طابع التخصص ، ويبدو انه قد اطلع جيدا على ما كتبه المستشرقان اوپر Jules Oppert وجانيه Jeannier عن خصائص لغتنا العامية ، ووقف على ملاحظات يهودا (A.S. Yahuda : Bagdadische Sprichwörter; Or. Stud. T. Nöldeke Gewidmet 1, 1906; pp. 399-416)

وجبرائيل اوساني الكلداني :

(Oussani, Gabriel: The Arabic Dialect of Baghdad; J.A.O.S., XXII, 1901; pp. 97-114)

حول اللهجتين اليهودية والنصرانية اللتين انحطتا في سلك العامية البغدادية بصورة استثنائية • وانني أعجب له كيف أهمل الإشارة ، بشكل قاطع ، الى كتابين رئيسين كانا مطبوعين قبل وأثناء مكوثه في بغداد حينئذ • فالمستشرق برونو مايسنر Bruno Meissner - وكان قد زار بابل في نهاية القرن التاسع عشر ضمن بعثة أثرية - قد اتصل بقاص عراقي مجهول يدعى رشيد الجالي •• ليلتقط منه بعض الحكايات والامثال والتقاليد والاصطلاحات الشعبية التي كانت سائدة في بغداد وفي المنطقة الوسطى من العراق ، فتم له ما أراد ، ونشر ما جمعه في كتاب اختار لنصوصه العربية الحرف اللاتيني وبجانباها الترجمة الالمانية ، وجعل لهذا الكتاب ذبلا استوعب جميع المفردات العامية وبازائها ما يقابلها من اللغة الالمانية ، وقد طبعه في مدينة لايزرك في المانيا سنة ١٩٠٣ بعنوان (حكايات عربية جديدة من العراق)
Neuarabische Geschichten aus dem Iraq (Leipzig, 1903)

وكذلك وضع المستشرق الالمانى فايسباخ F.H. Weissbach كتابا باللغة الالمانية بعنوان (ابحاث في اللهجة العربية في العراق)
Beiträge zur Kunde des Irak-Arabischen (Leipzig, 1908)

تضمن حكايات كثيرة موضوعة باللهجة البغدادية ، وقد طبعه في لايزرك سنة ١٩٠٨ ، فاذا علمنا ان ماسنيون انتهى من طبع كتابه سنة ١٩١٢ ، وانه كان يتبع ، باستمرار ، جميع ما يجد من الدراسات حول لهجتنا منذ ١٩٠٨

حتى ١٩١١ •• فانه لن يعذر على أغفال هذين الكتابين الخطيرين اللذين شاعا ، بشكل منقطع النظير ، في جميع الاوساط العلمية يومذاك ، كما لن تغفر له غفلة عما كتبه الاستاذ رزوق عيسى في المجلد الاول من مجلة (لغة العرب) في صدد المنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد ، وعن محاولة المرحوم عبداللطيف ثيان التي كان ينسجها في تأليف (قاموس العوام في دار السلام) •• اذ لو اطلع الاستاذ ماسنيون على ما ذكرت لبلغ بدراسته شاطيء الكمال •

هذا ما وددت الالماع اليه عند قراءتي الترجمة العربية التي انجزها الدكتور أكرم فاضل لكتاب المستشرق الراحل لويس ماسنيون في لهجة بغداد العربية ، وقد أعجبنى كثيرا حين بوأ التعابير الاصطلاحية لاصحاب المهن والجماعات الحرفية ، والامثال ، والاعاني ، والصحافة الهزلية ••• المنزلة التي تجعلها في مصاف المصادر المعتمدة التي يصح الرجوع اليها في الكشف عن تراثنا المهجوي الخالد •

وقد وفق الرجل ، بعد ذلك ، غاية التوفيق •• حين عالج مستقبل لهجتنا ، وخذل بعض الوثائق المتعلقة بندايات الدروب والمقامات الموسيقية لاغانينا وطابعها اللحني والعبانبا الشعبية وخرافاتنا •
فرحم الله ماسنيون ! •• انه كان مواطنا بغداديا قبل أن يكون من أبناء باريس ، وكان متصوفا حلاجيا قبل أن يكون زاهدا كاثوليكيا •••

مفاهيم فولكلورية

(١)

اليمن الشعبية

لم تخرج اليمن الشعبية ، ولا سيما في العراق ، عن الحلف بالله وبصفاته ومخلوقاته ، ولقد لاذ الحالف ، عندنا ، بجميع الارتسامات المقدسة التي استغلها العقل الشعبي تأييدا للخبر الصادق الذي أراد تنزيهه من الظنون والشبهات ، وتدعيما للخبر الكاذب الذي رام تبيته واقاراه في نفس سامعه لمصلحة ما ، فحلف بالله وبالقرآن الكريم وسوره ، وبالكعبة والمساجد والشعائر الدينية (المذهب ، الصلاة ، الصوم ، الاذان) ، وبالنبي (شفاعته ، شرفه ، شيباته ، منبره ، علمه ، قبره ، تاجه) ، وبالانبياء والرسل والاولياء

والاوصياء والائمة ، وبالموت والايام والليالي والاوقات (يوم الوجود ، شهر الفضيل ، أيام العياد ، ليلة الجمعة ، المغربية ، العصرية ، وغير ذلك) ، وبالابناء والاهل والاخوة والمآكل ، وبجوارح الجسم ، وبالطلاق ، وبعض الاشياء والادوات والازياء •

واليمين الشعبية ، جادة أو عابثة ، صادقة أو غموسا ، ورثاها على السنة الرجال والنساء والاطفال ، مسلمين ويهودا ونصارى ، أفضلهم وسكاراهم •

والذي يجدر بالتنويه هو أن اليمين الشعبية لا يمكن أن تعاملها معاملة اليمين الشرعية التي حددها الفقهاء في دائرة الالتزامات الشخصية • ونحن نعلم ، يقينا ، ان اليمين الشرعية لا تستقيم ولا تتعقد الا اذا استوفت الصيغة والنية • وهذان الشرطان قل أن يتوفرا في يمين شعبية ما عدا الحلف بالله • وحتى اذا حلف الحالف بالله - في هذه الحال - فان ذلك لا يبرر وجود النية وحصولها • ومن هنا كان من العراقيين - ولاسيما البغاددة - من يشك في سلطان هذه اليمين ، فيتجشم عناء السفر بالحالف الى ضريح الامام العباس والاضرحة المقدسة الاخرى توثيقا لليمين ، وتطمينا لخواطرهم التي استبد بها القلق والشك •• فالحلوف له قد يكون سيء الظن حتى بالحلوف به ، وبنية الحالف •• ولذلك رأينا وسمعنا يقول للحالف : (لو تحلف بالجبر لما يبيض ما انصدك بك) أو (قابل راسي راس شلغم دتحلف بيه) •• وهذا ما يقصر الحالف على التساؤل بقوله : (بيش تريديني احلف لك) ؟؟ •

وهناك ، أيضا ، ما هو حقيق بالتسجيل على صعيد الفارق الاساسي بين اليمين الشعبية واليمين الشرعية ، فاذا علمنا ان لله سبحانه وتعالى وحده ان يحلف بذاته ، وبمن شاء من مخلوقاته ومصنوعاته ، وليس لاحد ان يحلف بها •• كان لنا ان نحكم بأن اليمين الشعبية التي اعتمدت المخلوقات وصفات الله والاشياء الاخرى ذريعة للتصديق •• لا بد ان تغادر حدود القسم الى التأكيد ، ولا شيء سواه •

(٢)

ادب شعبي لا عامي

أخذ عليّ بعض الادباء استعمال (الادب الشعبي) بديلا من (الادب العامي) •• وهذا المأخذ مردود ، بحق ، تمشيا مع بعض الاعتبارات الاجتماعية السائدة ، فقد انحدر الينا ان نخبة من أقطاب الفكر العربي القدامى تواطأوا على اهانة الجماهير ، فقالوا عنهم ما لا ينبغي قوله ، وألصقوا بهم ما لا يستحب الصاقه •• كان أحدهم اذا استهجن شيئا قال : « هذا من سقط العامة » أو « وعقيدة العوام كذا وكذا » أو « ذلك من اسفاف العامة » أو « ومن أباطيل العوام وأوهامهم أن •• » أو « وهذا ما لم تستطع أن ترتفع اليه العامة » •

وهذا بالذات هو الذي دفعني الى الاعتراف بكرامة أبناء الشعب ، والتسامي بهم عن مغبة الاصطلاح الذي احتقره القدامى •• ولذلك كان

طبيعيا وشرعيا أن أقول « الادب الشعبي » ولا أقول (الادب العامي) ••
لان (العامي) أصبحت في مستوى الاعتبارات المرذولة في هذا الزمن ••

(٣)

صوم زكريا !••

اعتادت المرأة البغدادية أن تكون جذلي ، سعيدة باحياء صوم زكريا ،
والاحتفاء بهذه المناسبة الشعبية التي ما زالت تحتل مكانا بارزا في تاريخنا
الاجتماعي المعاصر •• ومن دواعي الاسى •• أن تمر بنا كهذه المناسبات
الفولكلورية ونحن عنها غافلون ، لا نكاد نشعر بها ، ولا نعرف ما يجب أن
نعرفه عن مضمونها العقائدي ، ومراسيمها الشعبية • وانني أعجب للمرأة
البغدادية تحيط ، واعية ، بمواقف الاعياد والايام الالهية ، ومواسم الزيارات
الدينية ، ومواعيد الطقوس الماثورة •• اتكالا على ذاكرتها الناشطة ، وبدون
أن ترجع الى تقويم أو روزنامة أو مفكرة •• حتى لاحسب ، وأنا على حق
في حسابي ، أن المرأة البغدادية مخلوق ذكي ، ألمعي ، ذو حاسة مدهشة ،
تلهمه متى يبكي ، ومتى يضحك ، ومتى يصوم ، ومتى يتزلف بالنذور ،
ومتى يؤدي فروض الطاعة لمزارات الائمة والاولياء ، ومتى يتمتع
ب « الكسلات » بين المقابر وفي رحاب الاضرحة المقدسة وتحت أشجار
البساتين •• ومن هنا كانت سيدة البيت البغدادي تعلم ، يقينا ، وهي لا تدري
لماذا ، بأن يوم الاحد الاول من شهر شعبان انما هو موعدها مع صوم زكريا ،

ولذلك نجد نساءنا وامهاتنا وبناتنا واخواتنا يتباشرن بهذه المناسبة الخالدة قبل حلولها بوقت طويل، ومن أفواههن يستسمع باعة الحلوى و «الجزرات هذا السر الثمين ، فيعدون للبيع ، في حوانيتهم ودكاكينهم ، قبل الصوم بأسبوعين على الأقل ، ما يستطيعون جمعه من زبيب أشقر وأسود ، وحمص ، وجوز ، وسنون جوز ، ولوز ، وحب رگي ، وحب شجر ، وتين يابس ، وجوز هند ، وفستق ، وبنديق ، وحب خضرة ، وحمض حلو ، وقمر الدين ، وچكليت ، وملبس ، وحلقوم ، وحب الغزال ، وقرص اللوزينة ، وأصابع العروس وجكارة الملك ، وساهون ، ومصقول ، وجلاتين ، وسمسمة ، ومن السما ، وذرک العصفور •

أما الجذر الاجتماعي لهذا العيد ، فيضرب في أعماق التاريخ البعيد •• حيث بلغ زكريا الثانية والتسعين من العمر ، وبلغت زوجته السيدة ايشاع بنت فاقود الثامنة والتسعين (على أشهر الروايات) •• وبعد أن أدرك الوهن والضعف والشيب هذا العبد الصالح نادى ربه نداء خفيا ، قال : رب ، اجعل لي آية • فقد كانت امرأته عاقرا ، وحنّ الى مَنْ يرثه ، ثم لبى الله تعالى نداءه ، وبشره بالولد •• فكانت هذه المعجزة أمل الأملات من العواقر على مر الاجيال والعصور •• ولذلك لم تكن المرأة البغدادية نسيج وحدها في استغلال هذا العيد الكبير ، فالعاقرة ، أو مَنْ لم يرزقها الله غلاما •• تتولى بنفسها اعداد «صينية» عامرة ب «الشكرات» و « الزردة » والحليب والكرفس والدولة والخس والحلاوة والكراث والسّمك والبرتقال

والتفاح والنومي والموز والنعناع والبيض المسلوق بنقيع قشور البصل الاحمر والكليجة .

وتتألاً هذه الصينية بالشموع الصغار ، وشموع الكافور ، وأحياناً شمعة العروس الذهبية المزخرفة بالورود . . بعد تثبيت قواعدها على الطين بين أغصان الياس والبرتقال ، وخلال هذه المآكل الشهية والنيران الموقدة تنتصب الاكواز و « التنك » والاباريق الفخارية . وقد اعتادت الامهات أن يرصدن الاباريق للذكور والتنك للاناث .

اما مراسيم هذا الصوم ، فهي تضارع ما يجري في رمضان من سحور وافطار . . وفي صباح اليوم التالي توزع الاطعمة المنذورة على الجيران . ومن التقاليد الشائعة في هذا الصدد . . أن العاقر تشتري شمعة وتودعها صينية أحد الجيران ، وتلمس من زكريا أن يحقق لها الآمال ، فاذا حبلت وأملست . . استقلت باعداد صينية كاملة في بيتها ، وان الام التي يقعد بها المرض عن الصوم تستطيع أن تكلف بنت اختها أو احدى قريباتها بالصوم نيابة عنها ، وان الصائمات يحاولن صومهن صوما « خرسانيا » ينقطعن فيه عن الاكل والكلام ، فلا يتفاهمن مع الآخرين الا بالرمز والاشارة اسوة بمريم عليها السلام التي نذرت للرحمن صوما ولن تكلم انسيا . ولقد دأبت بعض الصائمات ممن يقرأن القرآن الكريم على قراءة جانب من سورتي مريم وآل عمران بالقرب من الصينية .

هذا ما يحضرني بمناسبة هذا المأثور الشعبي ، وانني لارجو أن يتهافت المتفكرون على البحث في اصوله ومحتواه ومغزاه في المدن العراقية الاخرى .

ان المعاجم والقواميس العربية عجزت عن اسعاف العرب بما يقابل كلمة « فولكلور » Folklore الاجنبية ، ولذلك شاع استعمالها في الوطن العربي بصيغتها الراهنة دون أن تثير اشمئزازا أو غثيانا أو قرفا ، وقد حاول مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يلغيها بمصطلح « المأثورات الشعبية » •• ولكنه خاب واخطأ التوفيق ، لان كلمة « المأثور » تنظر الى الاثر المادي أو المعنوي الذي ما يزال يعايش الملامح الراهنة لاشياء الناس ، أو الذي اطرد استعماله دون أن تتاله صولة الليالي بالانطفاء والذبول ، ولذلك لا تصدق « المأثورات الشعبية » على الفولكلور البابلي أو السومري الذي ذاب تحت ركام العصور ، وكاد يكون نسيا منسيا •

وحاول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد أن يضع « المرددات الشعبية » في مقابل « الفولكلور » •• ولكن المصير الذي انتظر « المأثورات » انتظر « المرددات » دون أن يستأثر أحدهما أو كلاهما بخلود ولو الى حين • ان الفولكلور قد استوعب الأزياء والامثال والحكايات والقصائد والايهام والاساطير وأدوات المنزل والسحر ومقومات الزينة والمهن اليدوية والفنون البدائية والالغاز والغيبيات والمآكل والعادات والعرف والشعر والمنسوجات والتقاليد •• وغيرها • انه استوعب هذا التراث الهائل ، ولكن على صعيده الشعبي فقط •• ولذلك فمن الصعوبة بمكان أن تنهض كلمة عربية بهذا العبء الثقيل ، وكان هراء أن يزعم أحدهم بأن مصطلح « الادب

الشعبي « يستطيع أن ينظر الى ما تنظر اليه كلمة « الفولكلور » .. لان
الازياء والادب متاكران متافران ، ولا يمكن أن يتعارفا بأية حال من
الاحوال .

وقد آثر المعنيون بالدراسات الشعبية أن يتشبهوا بـ « التراث الشعبي »
بديلا من « الفولكلور » وان لم يأت بما استطاعه المصطلح الاجنبي الذي
اقتحم الدائرة اللغوية العربية ، وفرض نفسه على الفكر العربي في جميع
الوطن العربي .. وله في « الاقرباذين » و « الاسطاطيقا » و « الميخانيقا »
و « اليمارستان » أسوة حسنة !

القمر والحوت

خبر بسيط نشرته جريدة العراق البغدادية صباح ٢٣ آب ١٩٣٨ ..
هز الضمير الشعبي ، وقذفه في دوامة فقد قرأ الناس اعلانا لمثقف عراقي
يدعى « ملا جاسم بن محمد » مفاده أن القمر سينخسف خسوفا كليا ،
بتمام القرص ، ليلة الثلاثاء ٨ تشرين الثاني ١٩٣٨ .. وذلك ببرج الثور ،
بمنزلة الدبران ، والطلع درجة ١٥ من برج السنبله .
اقتحم هذا الخبر بيوت بغداد ، ومقاهيها .. وبات الناس وُجلاً ،
يخشون كارثة ما برحت ترتع في مسارب الغد ، وظلوا يفتقدون الهدوء
طيلة شهرين وخمسة عشر يوماً .. وفي الساعة الثامنة والدقيقة الثالثة اختفى
القمر .. وسخطت بغداد !!
رجل أقام الدنيا بطبله ، وخلفه سرب من الصبيان يتصايحون ،

وجمهرة من الشبان مزقت « درابن » بغداد بالهوسات ، وبصخب
« التَنَكَات » و « الجفَاجير » و « الصواني » و « القروانات » .. وقد
شخصت الابصار نحو القمر المبلوع ، وهتفت الحناجر بالحوث تهديدا :

يَحْوَتَهُ يَا مَنَحْوَتَهُ هِدِي كَمَرَنَا الْعَالِي
هَذَا كَمَرْنَا نَرِيدَهُ هُوَ عَلَيْنَا غَالِي
وَإِنْ جَان مَتَّهِدِينَهُ أَدَكْ لِحْ بِصِينِهِ ..

ونسوة عجائز اجتمعن فوق السطوح يناجين الله خائفات :

يا قريب الفرج !

يا عالي بلا درج !!

عبدك بشده ..

نطلب منك الفرج ..

وعلى ضفاف دجلة ، وفي الرحاب المكشوفة .. وقفت الامهات
المرضعات ، والازواج الجبالي .. باتجاه القمر ، وبعضهن يمسك اما بخيوط
قصار تتدلى منها كرات من الطين ، او بخرزتين بيضاوين من الخرز المشهور
باسم « در نجب » .. وكلا الفريقين يزعم ان الطين أو الخرز ينكر لونه
الطبيعي - في أثناء انخسوف - ويميل الى زرقة غامقة ، تنفع الجنين في
الرحم ، والرضيع في المهد والحضن ، وتقيه شر « الجيسة » .. أي المفاجأة
الخطرة التي تدهم الجنين أو الرضيع وهو آمن في عالمه ، فيزرق لها جلده
وأظافره .. فاذا نعت بوم فوق طفل عاطل من ذلك الخرز ، فانه

« ينچيس » ••• وعندئذ يجب أن يسير به « البلم » في الشط مسافة سبع
« جساريات » ، واذا لم يكن هناك جسر مطروح فوق جساريات ، فإن
الامهات يعمدن الى « خض » الذهب بالماء ، ليغمرن به « المچوس » من
الرأس الى الاخص •

وهكذا ظل البغادة ، في ليلة صاحبة ، يشاهدون القمر يعاني محتته
بصمت مدة ساعتين وأربع وعشرين دقيقة • وحوالي الساعة العاشرة
والنصف طلع القمر ، وقال المشاهدون : لقد « زاعته الحوتة » بعد التادي
بالويل والثبور • وعادت الحياة مترعة بأنفاس الصعداء ، ولعلع صوت
الملا عبود الكرخي في اذاعة بغداد •

الگمر من ينخسف ليله قيامه تصوير
عند الناس بين الطرن والجرجير
يدك بالطاسة هذا وذاك بالچفچير
ولهجة عندهم من أحسن اللهجات
هذا يصيح : يا حوته البلاعه
هدى گمرنا العالي بهل ساعه
وغيره يرتجز ويجول بالقاعه
يضرب من تفگته عدة الطلقات

وأيا كان الامر ، فان للخسوف - في العقيدة - محتوى يفيض
بالتشاؤم ، فهو يدل على غلاء الاسعار ، واعلان الحرب ، والتبدلات الخطيرة

في الموقف الدولي .. فلا غرو - بعد ذلك - اذا اتاب العقل الشعبي خوف مشروع من تبيح الخسوف .

والفرع من ظاهرة الخسوف قديم ، ورواسبه ذات جذور تتوغل في جاهلية العرب ، وقد هال النبي (ص) أن يغشى قلوب المسلمين خوف من مصائر مزعومة يكتسها القدر للناس خلال الخسوف ، ولذلك أخبرهم (ص) قائلا : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الناس لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك ، فافزعوا الى ذكر الله والصلاة » .

هكذا قال الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين) .. ولكن بالرغم من ذلك حاول بعض الاخباريين أن يلهم الناس رواية لا تصمد بوجه النقد الفولكلوري ، وهي : « ان هولاء كان يغط في نومه عندما حدث خسوف القمر في سماء بغداد ، فأراد صفيه الخواجة نصير الدين الطوسي أن يفسر هذه الظاهرة الفلكية للسلطان النائم .. ولكنه خاف أن يوقظه ، فسخر رعيلا من البغادة - خارج القصر السلطاني - لاحداث الجلبة والضجيج بالدق على الاواني النحاسية .. حتى يكون في ذلك ما يدعو هولاء الى النهوض من فراشه ، والى التساؤل عن سبب الضجيج المقتل .. » .. وهكذا اطردت حفلة الخسوف الشعبية في المجتمع البغدادي .

وهذا هراء لا يقام له وزن في الدراسات الفولكلورية المقارنة التي آزرها العلامة « بنفي » بنظريته القائلة بوحدة الموطن الاصلي للترات الشعبي العام ، وذلك لتشابه العوامل النفسية لدى الشعوب . وانني لاذهب

مع علماء الفولكلور المتأثرين بالحركة الاستشراقية عندما حصروا مثواه
الاول في الهند ، ثم في وادي الرافدين .. وأخيرا بالشرقين الادنى والاوسط
بصورة عامة ، ففي ذلك ما يفسر لنا كثير من عقائدنا الشعبية التي تسمرد
على التفسير .

ان العراقيين ، عموما ، يحبون القمر ، وهم سبقوا جميع الشعوب في
تسجيده واحترامه .. فقد كانت له في اور وبابل مراكز عبادة . ومن هنا
يرتفع العجب اذا أقاموا الدنيا وأعدوها في أثناء خسوفه .

وتعليل ظاهرة الخسوف ، في العقل الشعبي العراقي ، بحتضن
نظريتين ، احدهما تذهب الى أن القمر يتيه بين الجبال أو في « الجول » ..
وهذه نظرية الذين يحسبون انهم أرجح عقلا ممن يقول بالنظرية الاخرى
التي تحوم حول « الابتلاع » .

ولقد أجمعت الشعوب كلها على ان هناك عفاريت أو كائنات غيبية أو
حيوانات تحاول التقام الكواكب السماوية .. وهذا الاجماع لا يزال يعيش
في أذهان الناس البسطاء في جميع أرجاء العالم ، فقبيلة « كاميكارز » الهندية
تؤمن بأن الثعبان هو والد القمر ، ويوما ما .. أسخط الابن أباه ، فما كان
من الثعبان الا أن يلتف حول القمر ، ويستره عن أهل الارض . وتذهب
قبيلة اخرى الى أن البالع اما أن يكون دبا أو ثعباناً ، فاذا كان الاول ، فانه
فأل صالح يضاعف المواليذ ، ويبارك الارض المزروعة .. واذا كان الثاني ،
فليس هناك غير البلاء يغذي وباء الجدري في كل مكان .

ومن عقائد قبيلتي « توداس » و « كوتا » أن بعض الصيادين كانوا

يطاردون غزالا ، وهم غافلون عن الثعبان الجبار الذي كان يقتفى أثرهم ..
فلاذ الغزال بالقمر ملتصقا الرحمة ، فأخفاه تحت عبائه ، فالتقم الثعبان
الائنين •

انا ، اذن ، تفق مع الشعوب الاخرى في نظرية الابتلاع بالرغم من
التفاوت الكبير بين بعض التفاصيل المتعلقة بماهية الحيوان البالغ وسبب البلع ،
فاذا اعتنق بعضهم جريمة الدب أو الثعبان أو الابوة الثائرة ، فان عقيدتنا
الشعبية في الخسوف قد انعقدت على الحوت ، وهي تجهل تماما لماذا يتلع
هذا الحيوان البحري ذلك الكوكب الوديح ..!! .. وهو أعز ما يملك
الناس في ليايهم الماتعة • واذا لم يكن هذا حقا فان هناك قاسما مشتركا في
العقيدة بين تراثنا الشعبي والتراث الهندي ذلك الحاضن البعيد للفولكلور
الانساني .. فقبيلة « ساتال » تذهب الى أن شخصا اقترض - ذات يوم -
مواد غذائية من أحد أفراد « دوساد » المنبوذ ، وكان القمر ضامنا ، ولما حل
أجل الوفاء عجز المدين عن تنفيذ التزامه لضالة الحاصل الزراعي ، فأمسك
« الدوساد » بالقمر ليسترد منه ما على ذلك الشخص من دين .. وهناك
يحدث الخسوف • وهذه هي نظرية الاقتراض التي ذهبت اليها قبائل :
« برهور » و « جيروز » و « بوندوس » مع اختلاف يسير في نوعية
القرض • وعلى ضوء هذه النظرية يندفع كناسو احدى الولايات الهندية
الى جمع الصدقات أثناء الخسوف ، ويوجد المحسنون رمزا لاداء الدين •
وقريب من هذا ما وجدته في كتاب « تعطير الانام في تفسير المنام »
للشيخ عبدالغني النابلسي ، فقد ذكر هذا الرجل ان احتجاب القمر حتى

وراء غيمة انما يدل على ذهاب المال .. وينجد هذه العقيدة الشعبية حرص بعض الموسرين من أبناء العراق على التصدق في أثناء الخسوف . فترائنا الشعبي ، اذن ، يؤمن بنظريتي الابتلاع والاقتراض في صدد الخسوف ، ومن الصعوبة بمكان أن يقال غير هذا .

أما القصة التافهة التي اختلقها الاخباريون عن حدوث الخسوف في عهد هولوكو ، وتحريض الطوسي الناس على الخروج في الازقة وهم يضربون آنية بآنية .. لايقاظ الجلابد النائم ، فهي لا تدل على فزع موروث ، وانما على رغبة صيانية في قيام رجل مدثر استعبده النوم ، ليشاهد ظاهرة الخسوف . وهذا يناقض ما ركنت اليه الأقسام الأخرى في مواجهة الخطر التابع من الظلام . وقديما .. وقبل اجتياح هولوكو لبغداد بأكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة .. فزع البغاددة من حيوان موهوم ، ذكروا انهم كانوا يرونه - ليلا - فوق السطوح .. وربما قطع يد النائم وندي النائمة ، فكانوا يضربون بالهواوين ليفزعوه ، وارتجت بغداد في الجانبين لذلك . وقد أخبرنا بهذا محمد بن عبد الملك الهمداني في تكلمته لتاريخ الطبري (في حوادث سنة ٣٠٤ هـ) ، وهذا يبيح لي أن أقول ان الضرب بالأواني كان عادة عراقية صحبت الفزع منذ اندلعت معركة المصير بين الانسان والقدر .

والعراقيون لم ينفردوا بهذا الخوف ، وانما ذاقته معهم شعوب ... فلظالما ضربت قبيلة « سانتال » طبولها وهي تصوت لكي ينجو القمر من محتته ، ولظالما أطلقت قبيلة « توداس » بنادقها وسهامها لارهاب الأفعى التي التهمت الغزال فوق سطح القمر ، وزعقت وأضربت عن الأكل والشرب

حتى نهاية الخسوف ، ولطالما امتلأ سكان « تاهيتي » فرقا من الخسوف ، فأدوا الصلاة ثمنا لحرية القمر ، ولطالما ركض الناس - في افريقيا الغربية - في الشوارع ، وهم يصيحون بهلع ، ويلوحون بقبضاتهم للمجهول الذي اغتال القمر .. هاتفين : اترك قمرنا !! .. دعه وشأنه !.

وفي ما تقدم الكفاية للتدليل على اصالة الفزع في النفوس ، عندما تلوح في الافق الهاديء ظاهرة طبيعية غامضة . أما التشاؤم الذي يصافح به العراقيون خسوف القمر ، فهو ليس نسيج وحده .. وقبل قليل ذكرت ان الهند تحالفت الشؤم اذا ما توى القمر في جوف ثعبان مجرم . والآن ، أقول ان الشعب الانكليزي في القرن السادس عشر ، كان يرى الخسوف بريئا من الخير .. بل يخنق الحب ، ويقضي على الصداقة ، ويشجع المرء على قتل أخيه ، ويفرق المدن بالفساد والتمرد . وقد جاء هذا على لسان « گلوستر » بطل احدى روايات شكسبير .

ان الرسول العربي (ص) قد حاول أن يطرح العافية في أفئدة أنصاره ابان الخسوف ، ليغمرهم تفاؤل هانيء يحميهم من أضغاث الوهم الجموح . ويعجبني جدا ، وأنا أدعو الى رشق الخسوف بالبهجة والمرح مانعتقه قبيلة « مآوري » التي ترى ان الخسوف نبيء عن سقوط احدى قلاع العدو !! .. ويعجبني أيضا قول الشاعر الانكليزي « ملتون » لمن جزع من الخسوف : « بإمكانك أن تتألق .. وأنت لا تلعن الظلام » ، ويعجبني - أخيرا - أن تخلد حفلة الخسوف الشعبية بفيلم وثائقي يعصم تراننا من الانطفاء والموت .

الشعر النبطي عند البدو

وقع بين يدي ، يوما ما ، كتاب بعنوان « مقارنة الشعر العربي الفصيح والشعر النبطي المليح » ، أصدرته مطابع مؤسسة الطباعة والصحافة في جدة .. وهو من تأليف الاستاذ عبدالله العلي الزامل ، وهذا الرجل ليس غنياً عن التعريف ، ونحن أحوج ما نكون الى الوقوف على « هوية » هذا المتفكر النجدي .. لاننا نجهل الكثير من أمره ، ولولا كتابه - هذا الذي أعرضه - نصب عيني لما صدقت ان في دنيا الفولكلور العربي باحثا يدعى « عبدالله الزامل » .. ويبدو انه هو المسؤول عن كتمان نفسه ، ولذلك كان خامل الذكر .. فهو - كما يقول الاستاذ عبدالله الحصين في مقدمة الكتاب - ممن عرف بطول الباع في هذا الفن شاعرا وراوية ومؤرخا .. ولكنه ظل مغمورا سنوات كثيرة ، لانه يعزف عن الشهرة والظهور .

ومهما يكن من شيء ، فإن المؤلف - بكتابه هذا - قد أضاف إحدى النفائس الفولكلورية الى ذخائر الشعب العربي ، واننا لنحمد الله فيه حين سخر قلمه للشعر الشعبي النجدي أو النبطي (أي العامي) الذي أينع في مضارب بني هلال ذوي السيرة المعروفة ، وتكامل في الخيال البدوي الذي ألهم بلاد نجد وما جاورها من بقاع الخليج العربي والحجاز وتهامة .. ألهما 'مُلها الشعبية التقليدية في اسلوب العيش والتناحر القبلي والترف العاطفي .

هذا الشعر المعاصر أضحي ملعوناً بعد أن استهجنه ادباء الجزيرة العربية وولوا عنه فرارا ، فكان طبيعياً أن يضيع منه الشيء الكثير .. ومن هنا تلتصق خطورة هذا الكتاب الذي جسد جهود سنوات عديدة استهلكها المؤلف بين الرواة والمراجع متحدية العقبات التي اعترضته في التعرف على حرفة النص الادبي بن اختلاف الرواة وتباين الرواية .

لقد نعى المؤلف شعر القدامى ، وقنع بما انحدر من شعراء القرون الوسطى .. ذاهبا الى أن الشاعر راشد الخلاوي هو - على وجه التقريب - أقدم مَنْ دُوِّنَ له شعر ، وكذلك الشاعر أبو حمزة العامري (من أهل الاحساء) وقطن العماني ورميزان السديري .. وهؤلاء كانوا من أبناء القرنين العاشر والحادي عشر ، وقد نظموا الشعر على أوزان الفصحح وتفاعيله ولكنهم تمردوا على الأعراب ، فكسروا الفعل الماضي في القصائد المكسورة . ثم ظهر الشاعر الغزلي محسن الهزاني (من الهزازنة امراء الحريق في نجد) فأدخل على شعره الأوزان ذات القافيتين ، ونظم «المربوع»

فنا جديدا حافلا بالجناس اللفظي •

ورسخ المؤلف على ان الشعر النبطي لم يخرج في أوزانه وألفاظه ومعانيه عن الاشعار الاخرى التي من نوعه كالزجل والمواليا والحواراني والدوبيت •• الا انه قد يكون توصل الى معان وفنون وقوافي انفرد بها عن سائر أنواع الاشعار الاخرى ، ثم ضرب لنا بالمربوع مثلا ، فادعى انه نسيج وحده ، في حين أن « المربع » العراقي والابوزية قد استوعبا قواعده وأديا أغراضه • على اتنا ، مع المؤلف ، في أن بين شعراء البادية من توصل بشعره الى أقصى حدود المقدرة والبراعة ولا سيما في الشعر المكتوب بحروف مهملة (دون نقط) •

والجديد •• الجديد في الكتاب هو مقارنة النصوص الشعرية بما يضارعها ، معنوياً ، من الشعر الجاهلي والاسلامي الفصح ، فقد وازن المؤلف بين زهير بن أبي سلمى ومحمد العبدالله القاضي •• وبين حاتم الطائي وتركبي بن حميد ، وبين ابن المقرب وابن عريعر •• وغيرهم ، ووفق في ذلك غاية التوفيق ، كما في مقارنة قول الشاعر :

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

بقول رميزان :

الى شاب منا خير شب خير عطاياه في جذب السنين اجزال

وهذه محاولة بكر ، أقدم عليها الاستاذ الزامل بالرغم من وعورة النهج الذي سلكه اليها ، ولقد صنع جميلا حين زخرف مقارنته بهوامش

غنية بالغريب البدوي ومعانيه ، فهذا مما يسعد أصدقاء الفقه اللهجوي العامي
وأصحاب المعاجم الشعبية المقارنة ، وانني تنويهاً بجهد المؤلف أضع أمام
القارئ طائفة من مفردات البادية التقطتها من حواشي الكتاب مثقلة بشرح
المؤلف دون أن نسقط منها ما قد يخل بالمعنى ، وعساني - بذلك - أنفع
من لم ير الكتاب ، أو من لن يراه :

اسبحتاتي : جماعات

اصال : أجاد

أقموره : الفقاقيع عندما تغلى القهوة

باق : سرق

بليا : بدون

بهلول : ناقص العقل

البياز : عملة نحاس قديمة

تأديب : رجوع وعودة

التكيف : الكيف

جارع : شارب

الجدالي : كثير الجدل

الجهاما : الخيال

حائلة : ساقطة

حتم : لابد

حد : وقت

حراريس : حجاب
حزائم : أربطة
الحزومي : المرتفعات
الحكى : الكلام
حليحل : جيد العقل
الحواريف : كثرة الأسباب
خلفه : ذات أهمية
خمال : عيوب
داس : ضل وتاه
الدبش : الدواب المواشي
دفة : عباءة
الدناوي : ضعيف الهمة والارادة
دولاب الدهر : أحواله
رخاية السيف : الضرب به دون هوادة أو تهاون
الزعازع : الرعب
الزوم : كبر النفس
السبايا : ما يغنم من الخيل أثناء الحرب
السمت : قلة التكلم
سنود : صعود
سهال : أرض رملية واسعة

السواليف : القصص

الشاخ : الفضة

شارة : خصلة

شايم : مبتعد

شرواك : شيهك

شم : اطمح

شوم : ملامة

صايب : الصواب

صحصح : أرض مستوية

الصخي : الكريم

طراش : المسافر

الطعاميس : أكثبة الرمل

طق : عاب

العدايل : متعادلان كالحمل على الدابة

غار : مغارة

الغنى : المشقة التي توجب الملامة

غضاة : نوع من الشجر جمره شديد الحرارة

الغمايض : الامور الغامضة

الفنايع : شدة الاهوال

قبا : من أوصاف الخيل المحمودة

القرانيس : من أسماء طيور الصيد

القصير : الجار

قلادة القماش : عقد اللؤلؤ

قمين : يمكن

القود : الأبل

قيس : قياس

كار : عادة

كب : اترك

الكدادة : الحرث والزراعة

لايده : لايد انه

اللاش : الذي لا يفهم شيئاً

اللهود : الجروح العميقة

ماسوق : مرهون

ماق : طغى

المبراد : اناء يوضع فيه البن بعد حمسه وأغلب ما يكون مما يصنع

من القش أو سعف النخيل

المراهيش : السحب

مروقة : رافة

المسامير : الأحذية

مسكتر : مطرود

مصطفاوي : نوع من العبي صوفها وسديها رديء
مصفورات : صافنات
معسكرات المسامير : الخيل
مغفي : مفارق
مقال : كلام
مقرن : مصحوب
مكاد : صعب
منارة : ما تجمع من رماد النار من كثرة الوقود
المنايعة : المنيعه
مواعين : أواني
ثيلة هبابة : التراب الذي يستخرج من البئر بعد حفرها
يرفأ : يستر
النضا : الأبل
هتافي : كثير الهطول كالمطر
هربد : أكثر الهرج
هشال : الضيف يحل ليلا
هيد : تريت واصبر
الهيف : ضامرة البطن
وسومي : علامة
الوقاع : التريت والتبصر

الولايم : الفرص

يجون : يأتون

يفهق : يرفع

وهذه الثروة اللغوية خليقة بأن يرتفع بها رصيد المعجزة الشعبية يوم يفكر المسؤولون في الوطن العربي بتأسيس أكاديمية للدراسات الشعبية العربية الموحدة ، يكون من أبرز أهدافها تأليف قاموس لهجوي شامل •• ينتظم جميع العاميات المنتشرة في أرض العرب • واني أقول هذا لأعود ، من جديد ، الى الكتاب •• أستطلع ما استوعبت دفناه من معالم الفولكلور النجدي ، فالمؤلف بعد أن كان يقارن البيت الواحد الفصيح بالبيت البطني ، والبيتين بالبيتين •• أخذ يتوسع ، ويقارن القصيد بالقصيد في مدار مناقبي التحم بفضيلة الصمت والرأي والمشورة ، والصبر واكرام الضيف ، وحسن الجوار وطلب المعالي ، والتمني والتجلد ، وكتمان السر والقناعة والحلم وذم الدنيا •• وغير ذلك من منازع النظم البطني •
وللمؤلف اكرومة حميدة ختم بها كتابه ، فهو بعد أن أمد قراه بالشواهد الشعرية السمان •• عرف أصحابها تعريفا موجزا •• ليتم النعمة على طلاب الذخائر الشعبية •

وثيقة ترهية للجاحظ

تعد رسالة (أو كتاب) التربع والتدوير ، التي ألفها أبو عثمان الجاحظ (٧٦٧ - ٨٦٩ م) من ألمع وثائقنا الخطيرة التي احتفلت بالترهات^(١) العربية ، وهي بمحتواها الاسطوري الذي كاد يسوعب الجانب الترهى من الفكر العربي الجوال •• انما تمثل - كأي تراث

(١) يقال تره المرء اذا جاء بالاكاذيب والتخليط ، والترهه هي الاسطورة أو الخرافة الملققة •• أو هي حكايات الآلهة وما اليها • ومغزاها تفسير علاقة الانسان بالكائنات ، وتعليل الظواهر الطبيعية على نحو ساذج ، وتجري دائما في زمان شبه تاريخي •• أو هي الخرافة الاسطورية المبنية على اختلاق محض • واذا جيء بالترهات فقد جيء بالاباطيل والتخرصات وما لا طائل تحته (الشيخ عبدالله العلايلي : المرجع/مطبعة النجاح - بيروت ١٩٦٣ ، ١ : ١٥٦ و ٥٤٢ و ٥٤٩) •

ميثولوجي أعجمي - فلسفة الذهن البشري الاولى والصيغة البدائية للتفسير
العلمي (٢) .

وقد اتيح للقراء العرب ، ولجمهرة المستشرقين وطلاب الدراسات
الاسلامية في معاهد الغرب . . أن يطالعوا هذه الرسالة في نشرات مختلفة
صدرت عن مطابع مختلفة في أوقات مختلفة .

لقد طبعها - لأول مرة - المستشرق فان فلوتن Van Vloten
ضمن ثلاث رسائل للجاحظ بعنوان Tria Opuscula في لايدن
سنة ١٩٠٣ على الصفحات (٨٦-١٥٧) ، ثم طبعت في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ
على هامش المجلد الاول من كتاب (الكامل) للمبرد مستغرقة الصفحات
(٤٠ - ٩٧) وفي سنة ١٣٢٤هـ طبعت في استانبول ، ثم نشرها محمد مسعود
في (مجموعة رسائل الجاحظ) التي أخرجتها مطبعة الجمهور بالقاهرة
مستوعبة الصفحات (٨٢ - ١٤٧) ، وفي سنة ١٩٣١ نشرها المستشرق رشر
Rescher في كتابه Excerpe und ubersetzungen aus den Schriften
philologen und Dogmatikers .. etc.

المطبوع في شتوتكارت Stuttgart على الصفحات (٢١٢-٢٥٥) ، ثم
طبعها حسن السندوبي في (رسائل الجاحظ) التي نشرها في القاهرة
سنة ١٩٣٣ وقد استغرقت الصفحات (١٨٧ - ٢٤٠) ، وفي سنة ١٩٥٥
حققها ، منفردة ، وطبعها في المطبعة الكاثوليكية ببيروت المستشرق الفرنسي

(٢) راجع المقابلة الاولى التي وزعها الشيخ العلابلي مع القسم الثالث
من المجلد الاول من (المعجم) . . صفحة (و) .

شارل پلا Charles Pellat الأستاذ في مدرسة اللغات الشرقية الحية
بباريس ، وقد بذل ما استطاع من جهد في سبيل أن يعث هذه الرسالة
وهي أغنى ما تكون تعليقا وفهارس وتحقيا .

وهي رسالة كتبها الى أحمد بن عبد الوهاب ، أحد الوراقين من غلاة
الشيعة ، كان يعيش في مكة ، ووجه اليه مائة سؤال في شتى أنواع العلوم
ليبرهن على جهله وحمقه^(٣) ، وليعرف الناس مقداره ، ويسأله عن تلك
الاسئلة من كان في مكة ليردوه بذلك الى ما هو أولى به^(٤) .

وقد عدل الجاحظ معه عن طريق النقد العادل . . ولكنه مضى
ساخرا - حتى النهاية - بتدبير وروية ، وكان مقصده - دائما - من
مزاولة الكتابة والتصنيف هو التسلية والمسامرة أكثر من الافادة
والتعليم^(٥) .

لقد كان الجاحظ غليظا ، قنالا . . في هجومه الضاري على الرجل

(٣) بروكلمان : تاريخ الادب العربي (ترجمة الدكتور عبدالحليم
النجار) ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٢ ، ٢ : ١٢٠ .

(٤) كتاب التريبع والتدوير (تحقيق پلا) : ٦

(٥) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٢ : ١٠٧ ، والجاحظ نفسه
يؤيد ما زعمه بروكلمان في هذا الصدد حينما تحدث عن مسخ الضب
والجري ، وعن مسخ الكلاب ، والحكاة ، وان الحمام شيطان . . فجعل كل
ذلك على حد قوله : من جنس المزاح الذي كنا كتبنا به الى بعض اخواننا
(ويقصد أحمد بن عبد الوهاب) ممن يدعي علم كل شيء ، فجعلنا هذه
الخرافات ، وهذه الفطن الصغار من باب المسائل (الحيوان ، تحقيق
عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٨ ،
١ : ٣٠٨) .

التاعس أحمد • وانني استقرأت ما لدي من مغلان ومصادر طمعا في
الوتوف على أسباب الخلاف والعداوة بينهما ، فلم أجد ما ينقع الغليل ••
ولكن الجاحظ - كما يبدو من رسالته - أخذ على صاحبه انه مفرط
القصر ، مربع ، جعد الاطراف ، قصير الأصابع ، طويل الظهر ، قصير
عظم الفخذ ، كبير السن •

• وشجب دعواه في العلم ، وكثرة اعتراضه ، وشدة خلافه وعناده •
وعيره انه يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ، وليس في يده من جميع
الآداب الا الانتحال لاسم الأدب •

وزعم الجاحظ ما زعم ليقول لنا أخيرا : لما طال اصطبارنا حتى بنغ
المجهود منا ، وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله •• رأيت أن أكشف قباءه
وأبدي صفحته للحاضر والبادي وسكان كل ثغر وكل مصر (٦) •

اذن ، فالجاحظ قد ندد بعيوب الرجل جسدا وعقلا ، وعراه بلا
رحمة ليكون اضحوكة العصر •• ولكن حتى هذا لا يبرر أن يصبح
الجاحظ جلاد أخيه متذمرا بتربيته وقصر أصابعه وكبر سنه وقوة عارضته
في الجدل ورعايته لحقوق المجاملة • فلقد حاول أن يهدم زميله ويقتله
من أرض مكة أنقاضا عندما خاصمه ، بشراسة ، مؤكدا على مضار الجدل
والخلاف والمرء بشواهد كثيرة انتزعها من التنزيل والحديث المأثور والمثل
السائر والشعر (٧) •

(٦) التربيعة والتدوير : ٥ - ٦

(٧) المصدر نفسه : ٧ - ٩

لقد تمنى الجاحظ لغريمه ، كاذبا ، طول البقاء ، وتمام النعمة والكرامة قبل أن يرميه بأفة الحسد ، وانه يغبط الناس على التقويم الحسن ، وعلى طيب الاحدوثة والصنيعة المشكورة ، وبعد أن دمهغه بهذه السممة أخذ يتساءل عن علة هذا الحسد .. متطاولا على صاحبه بما لا يسكن اليه ضمير ، ليدله - بعد ذلك - على معالم الطريق السوي الذي يجب أن يسلكه .. حتى يستريح الاثنان من بعضهما^(٨) .

لقد ذم الجاحظ جميع صفات الرجل ، وحاججه في مقاييسها طولا وعرضا وقصرا وتربعا وتدويرا .. ليتترع من قرائه ضحكة عريضة^(٩) . وانه أضطاف اليه من صفات الكرم والحلم والايثار ما ليس فيه ، وخلع عليه من الذوق الرفيع والحس الفني الملمهم ما لا يمكن أن تتصوره في المسخ الذي كانه أحمد بن عبدالوهاب . كما ناقشه في تفضيل التدوير على التربيع وحاول أن يقوّم اعوجاجه .. ولكنه عجز ، وهذا ما شجعه على المضي في توبيخه واشهار مثالبه وتجريح موافقه السيكلوجية في مطارح الحياة^(١٠) .

ذلكم هو التمهيد الذي اختاره الجاحظ لرسالته الهازلة قبل أن يصفع ضحيته بالاسئلة التي فجرها خرافات وأوهاما وأباطيل .. ليستدل بها على جهل صاحبه وحمقه .

واستوعبت الاسئلة عناصر شتى من الكائنات الماورائية (الميتافيزيقية)

(٨) المصدر نفسه : ١٠ - ١١

(٩) المصدر نفسه : ١٣ - ١٨

(١٠) المصدر نفسه : ١٩ - ٢٥

والإشباح التي عاشت في أفياء الخيال وفي صميم الاسطورة • وانني سأعني باستجلاء بعض ما له أمتن الوشائج بالترهة العربية التي أنعشت ليلينا القديمة في نوادي السمر والمؤانسة •

لقد استهل الجاحظ أسئلته بندااء غامز ، مترع بالسخرية •• حين خاطب أحمد بن عبدالوهاب بقوله :

يا قعيد الفلك ••• كيف أمسيت ؟

ويا قوة الهوى •• كيف أصبحت ؟

ويا أقدم من دوس !

ويا أسنَّ من لبَد ! (١١)

هذا النص الجاحظي يضع بين أيدينا ثروة كبيرة من العناصر الترهية التي استغرقت العقل الشعبي يوم تلاحمت الثقافات في وحدتها الفكرية راسخة في اصول الادب العربي ، وانني - بلا تحفظ - أعتبر هذا النص المناوشة الاولى للمعركة التي افتعلها الجاحظ للاطاحة بخصمه المكابر • فهو ، ايغالا في السخرية ، وقبل أن يتبرع بأسئلته اللاهية •• نادى ابن عبدالوهاب بما لم يناد به عاقل :

يا قعيد الفلك (١٢) ••• كيف أمسيت ؟

(١١) المصدر نفسه : ٢٥ - ٢٦

(١٢) قاعدته •• فهو قعيدي • وقاعده : قعد معه وجالسه • والفلك : جسم كروي يحيط به سطحان ، ظاهري وباطني ، وهما متوازيان ، مركزهما واحد • (الجرجاني : التعريفات ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٤٧) •

كيف حالك .. يا من تحدت الزمن ؟ .. وما الذي جدّ في حياتك
يا جليس الأبد والأزل !!

ويا قوة الهوى^(١٣) .. كيف أصبحت ؟

وما شأنك - هذا الصباح - يا اكسير الحياة ، وسر الأسرار ، ومحرك
الكائنات .. يا خالدا أبدا !!

ويا أقدم من دوس !

ومن عساه يكون دوساً ؟ .. ان الجاحظ وضع صاحبه ، بلباقة ، أمام
أكثر من دوس .. ليراه متخطا ، لا يكاد يفقه من أمر دوس شيئاً .
وكأني بأحمد بن عبد الوهاب يتذبذب بين حجر دوس^(١٤) وأخي
دوس^(١٥) .. أو بين بلاد دوس^(١٦) وصنمي دوس^(١٧) . ولعل الجاحظ

(١٣) الهوى : لفظ يوناني بمعنى الاصل والمادة ، وفي الاصطلاح
هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال
(المصدر السابق : ٢٣٠) .

(١٤) موضع كانت به وقعة بين قبيلتي دوس وكنانة (ياقوت الحموي :
المشترك وضعاً والمفترق صقعا ، تحقيق فستنفلد ، غوتنغن ١٨٦٤ ، ص ١٢٢) .
(١٥) هو ابن دريد صاحب الجهمرة ، وكان دوسيا . (المعري : رسالة
الغفران ، تحقيق بنت الشاطي ، دار المعارف - القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٥٠) .
(١٦) أشار إليها ياقوت (المشترك وضعاً : ٣٤١) .

(١٧) كان ذو الشرى صنما لدوس . (المشترك وضعاً : ٢٧٠ ، وابن
الكلبي : كتاب الاصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب -
القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٣٧) ، كما كان لهم صنم يقال له ذو الكفين ، فلما
أسلموا بعث النبي (ص) الطفيل بن عمرو الدوسي فحرقه . (كتاب
الاصنام : ٣٧ ، ابن حبيب : المحبر ، تحقيق ايلزه ليختن شتير ، حيدرآباد
١٩٤٢ ، ص ٣١٨) .

حين أسبغ على دوس صفة القدم •• بقوله : « يا أقدم من دوس ! » أراد أن يدخل في روع صاحبه أن من بين أفراد قبيلة دوس من كان معمرأ كأبن حممة الدوسي الذي عاش ثلاثمائة وتسعين سنة^(١٨) أو مثل كهمس بن شعيب الدوسي الذي عاش مائة وأربعين سنة^(١٩) •• ليقحمه في حيرة لا سبيل الى الخلاص منها • ومن يدرى ، فقد يكون الجاحظ على بصيرة من أمر صاحبه ، فود لو يضلّه ويسلمه الى متاهة دوسية لا أول لها ولا آخر •• ليرهن على جهله ، ولذلك أراد أن يصرف ذهنه الى دوس ذلك الجد الثالث لجذيمة الابرش^(٢٠) ، أو الى دوس ذلك الفرع الغربي من قبيلة أزد الذي نزل في جبل السراة ، وكان هدفاً لسخرية العرب^(٢١) • ولكن الذي لا ريب فيه هو ان الجاحظ لم يحسّم في ندائه الا فوق

(١٨) واسمه كعب أو عمر (أبو حاتم السجستاني : المعمرون والوصايا تحقيق عبدالمنعم عامر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة - ١٩٦١ ، ص ٢٨) •

(١٩) المصدر السابق : ٢٩ •

(٢٠) وجذيمة هو ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس •• من الازد • (نشوان الحميري : ملوك حمير واقبال اليمن ، تحقيق السيد علي المؤيد واسماعيل الحرافي ، المطبعة السلفية-القاهرة ١٣٨٤ هـ ، ص ١٧٢) ، والجد الثاني (غانم) ورد في بعض الروايات باسم (غنم) •• انظر ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، تحقيق دي غويه ، ليدن ١٣٠٢ هـ ، ص ١٨١ ، وتاريخ الطبري ١ : ٦١٢) ، وهؤلاء كانوا من ملوك الحيرة على عرب الضاحية في زمان ملوك الطوائف (المصدران السابقان) •

(٢١) لان أزد الغرب كانوا نساجين • (فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة الدكتور يوسف العث ، مطبعة الجامعة السورية - دمشق ١٩٥٦ ، ص ٣١٨) •

دوس ذي ثعلبان الذي وزعت الروايات الاسرائيلية ظلاله وألوانه على مذاهب التفسير الاسلامي ، وخلقته بطلا مشبوها من أبطال التاريخ العربي قبل الاسلام . فهذا الـ « دوس » هو الذي حضّ الاحباش على احنلال اليمن ، وهو الذي حث قيصر الرومان على عقر الدعوة اليهودية في بلاد العرب السعيدة . فقد ذهب الرواية الاسرائيلية التي اعتمدها الطبري في حديثه عن دوس نقلا عن محمد بن كعب القرظي الى أن : أهل نجران استجمعوا على دين عبدالله بن التامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران . فسار اليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن ، فجمعهم ثم دعاهم الى دين اليهودية ، فخيرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا القتل ، فخذ لهم الاخدود (٢٢) ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثل بهم كل مثله حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، وأفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان (٢٣) على فرس له ، فسلك الرمل ، فأعجزهم . . حتى قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستصره على

(٢٢) الحفر المستطيل في الارض ، كالخندق والجدول ونحوه .

(٢٣) وقد اعتبره ابن هشام رجلا من سبأ . (السيرة النبوية ، تحقيق السقا والاياري وشلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٥ ، ١ : ٣٧) ودوس هذا هو ابن تبع الذي قتله احوه . (السهيلي : الروض الانف ، مطبعة الجمالية - القاهرة ١٩١٤ ، ١ : ٣٥) ، وادعى القرظي ، أيضا ، في روايته انه سمع بعض أهل اليمن يقول : ان الذي أفلت منهم رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض . . ولكنه يرجح روايته الاولى التي انعقدت على ذي ثعلبان (تاريخ الطبري ٢ : ١٢٣) .

ذي نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك عن بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر أن نتناولها بالجنود ، ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا ، فينصرك ويمنعك ، ويطلب لك بئارك ممن ظلمك ، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل .

فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه ، وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس بكتاب قيصر على النجاشي بعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمّر عليهم رجلا منهم ، من أهل الحبشة ، يقال له « أرياط » ، وعهد اليه ان أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، واخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم ، فخرج ارياط ومعه جنوده ، وفي جنوده ابرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس حتى نزلوا بساحل اليمن ، وسمع بهم ذو نواس فجمع اليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا اليه على اختلاف وتفرق لانتقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم يكن له حرب .. غير انه ناوش ذو نواس شيئا من قتال ، ثم انهزموا ، ودخلها ارياط بجموعه ، فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه وجه فرسه الى البحر ، ثم ضربه ، فدخل فيه ، فخاض ضحضاح البحر (٢٤) .. حتى افضى به الى

(٢٤) الضحضاح من الماء : الذي يظهر منه القعر .

غمرة ، فأقحمه فيه ، فكان آخر العهد به (٢٥) .

ووطي^١ ارياط اليمن بالحبشة، فقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها ،
وبعث الى النجاشي بثلث سبائها ، ثم أقام بها ، قد ضبطها وأذلها ، فقال قائل
من اهل اليمن : « لا كدوس ولا كعلاق رحله » . . . يعني ما ساق اليهم من
الحبشة ، فهي مثل باليمن الى اليوم (٢٦) .

ذلكم هو دوس الذي كان أحمد بن عبد الوهاب عنه مسؤولا وقد حرص
الجاحظ على أن يسدد لكمته الثانية الى أنف غريمه قبل أن يفيق من صداع
الأولى . . . عندما ناداه بقوله : « يا أسن من لبد ! » .

(٢٥) اما الرواية التي روجها هشام بن محمد فقد اختلفت نهجا مع
رواية القرظي في بعض نقاطها التفصيلية . . . ولاسيما في هوية دوس الدينية ،
فالقرظي اعتبره نصرانيا ألب قيصر والنجاشي على ذي نواس ، بينما وسمه
هشام باليهودية في سياق هذه الرواية : لم يزل ملك اليمن متصلا لا يطمع
فيه طامع حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنو شروان ، وكان سبب
ظهورهم ان ذا نواس الحميري ملك اليمن في ذلك الزمان وكان يهوديا ، فقدم
عليه يهودي يقال له دوس من أهل نجران ، فأخبره ان أهل نجران قتلوا
ابنين له ظلما ، واستنصره عليهم - وأهل نجران نصارى - فحمى ذو نواس
لليهودية ، فغزا أهل نجران ، فآكثر فيهم القتل ، فخرج رجل من أهل
نجران حتى قدم على ملك الحبشة ، فاعلمه ما ركبوا به وأتاه بالانجيل قد
أحرقت النار بعضه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن ،
وأنا كاتب الى قيصر في البعثة الي بسفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى
قيصر في ذلك ، وبعث اليه بالانجيل المحرق ، فبعث اليه قيصر بسفن كثيرة .
(تاريخ الطبري ٢ : ١٢٣) .

(٢٦) سيرة ابن هشام ١ : ٣٧ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٢٢ - ١٢٥
مع تفاصيل أخرى عن ذيول المؤامرة الدوسية (ص ١٢٥ - ١٣٠) .

فمن هو لبد ؟ • هذا الذي ادخله الجاحظ في عداد المعمرين ؟
انه النسر السابع الذي ارتبط معه لقمان بن عاد ارتباطا مصرياً ،
ومانا ودفنا معا ! حتى ضربت به الامثال ، فقيل : « طال الابد على
لبد (٢٧) » •

ولقد اختار الجاحظ لبداً عمداً ، لانه نسر ، والنسر معروف بطول
العمر ، فكان طبيعياً جداً أن لا يذهب أحمد بن عبد الوهاب في التأويل بعيداً ،
وان يظل دائراً حول لبد وما رواه الاخباريون عن علاقته الوثقى بلقمان بن
عاد •• ولكن الجاحظ ، من حيث لا يدري أحمد ، ضرب عصفوريه بحجر
واحد : سخر منه حين متعه بعمر لبد ، ثم لوته بجميع الخصائص المرذولة
حين جعله نسراً أو كالنسر !

فالنسر من طبعه لو شم رائحة الطيب مات لوقته ، وانه يشم رائحة
الجيفة من مسيرة اربعمائة فرسخ (٢٨) ، لذلك حرم اكله لاستخباته (٢٩) ،

(٢٧) المعمرون والوصايا : ٤ ، رسالة الغفران : ٢٧٤ ، الميداني :
مجمع الامثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة -
القاهرة ١٩٥٩ ، ١ : ٤٢٩ وقد جاء أيضاً في أمثال العرب : « أتى الابد على
لبد » و « أهرم من لبد » (الدميري : حياة الحيوان ، مطبعة الاستقامة -
القاهرة ١٩٥٤ ، ٢ : ٣١٤ و ٣٥١) و « اكبر من لبد » (المفضل بن
سلمة : الفاخر ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، دار احياء الكتب العربية -
القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨٤) •

(٢٨) القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مطبعة
مصطفى البابي - القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٥٧ ، و حياة الحيوان ٢ : ٣٤٩) •
(٢٩) حياة الحيوان ٢ : ٣٥١ •

واعتبره العرب نذير شؤم (٣٠) .

وهذا هو الجاحظ قد ألق بالسر من ذميم الخصال ما لم يلصقه بطير اخر ، فلنستمع اليه :

« النسر طير ثقيل ، عظيم ، شره ، رغب ، نهم ، فاذا سقط على الجيفة وتملاً ، لم يستطع الطيران . . حتى يشب وثبات ، ثم يدور حول مسقطه مرارا ، ويسقط في ذلك ، فلا يزال يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل تحته الريح ، فكل من صادفه وقد بطن وتملاً . . ضربه ان شاء بحجر ، حتى ربما اصطاده الضعيف من الناس . وثقته يطول العمر هو الذي جرأه على ذلك . وهو ليس بذئ مخلب ، وانما له أظفار كأظفار الدجاج ، وهو سبع لثيم ، عديم السلاح ، وليس من احرار الطير (٣١) »
وتكليلاً باحمد بن عبدالوهاب نكل الجاحظ ايضاً بالنسر حين زعم انه تسقط منه قملة تستحيل دابة خيشة (٣٢) .

وفوق ذلك ، كان لاحمد بن عبدالوهاب نصيب كبير مما ادعاه مفسرو الاحلام حول النسر فيما يراه النائم ، فربما دلت رؤيته في الاحلام على البدعة والضلالة عن الهدى (٣٣) ، وربما دلت على الموت لاقتناصه الارواح

(٣٠) انه يقول في صياحه : ابن آدم ! عش ما شئت فان الموت ملائيك . (حياة الحيوان ٢ : ٣٤٨ - ٣٤٩) .

(٣١) الحيوان ٦ : ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٣٢) الحيوان ٥ : ٣٩٨ .

(٣٣) حياة الحيوان ٢ : ٣٥٢ ، والنايلسي : تعطير الانام في تعبير المنام ، مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٨٠ هـ ، ٢ : ٣١١) .

وأكله الميتة والحييفة^(٣٤) . وذهب الشيخ عبدالغني النابلسي الى أن من رأى النسر ، في نومه ، وسمع صوته . . . خاصم انسانا^(٣٥) . . . بينما ادعى محمد بن سيرين أن من رأى نسرا قام على رأسه فانه يصلب^(٣٦) . وهذا اذا دل على شؤم النسر ، دل أيضا على شؤم أحمد بن عبدالوهاب ، وليس بمستكر أن يكون الجاحظ بصيرا بما تفتق حول النسر من مزاعم ومفتريات ، فأراد أن يثقل بها صاحبه ليجعله في عين الشيطان !!

واقترح (لبد) الشعر العربي مؤرخا خرافة الخلود بالنهاية الفاجعة التي بلغها حين عجز عن الطيران ، فمات ومات معه لقمان !

فقال الاعشى :

ألم تر لقمان أهلكه	ما مر من سنة ومن شهر
ما مر من أمد على لبد	وعلى جميع نسوره السمر
قد أبلت الايام نضرته	واودعت لقمان في القبر ^(٣٧)

وقال ايضا :

(٣٤) حياة الحيوان ٢ : ٣٥٢ .

(٣٥) تعطير الانام ٢ : ٣١٠ .

(٣٦) منتخب الكلام في تفسير الاحلام (على هامش : تعطير الانام)

٢ : ٢٩٥ .

(٣٧) المسعودي : أخبار الزمان ، مطبعة عبدالحميد حنفي ، القاهرة

١٩٣٨ ، ص ٨٢ .

وأنت الذي ألهيت قِيلاً (٣٨) بكأسه
 ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر
 لنفسك أن تختار سبعة أسر
 اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
 فعمر حتى خال ان نسوره
 خلود وهل تبقى النفوس على الدهر؟ (٣٩)

وقال لييد :

ولقد جرى لب د فادرك جريه
 ريب الزمان وكان غير مقل
 لما رأى لب د النسور تطأيرت
 دفع القوادم كالفقير الاعزل (٤٠)
 من تحته لقمان يرجو نفعه
 ولقد راي لقمان أن ليم يأتل (٤١)

(٣٨) كان (قيل) على رأس الوفد الذي أرسلته (عاد) الى مكة
 ليستسقى لها . وسأتكلم عليه بالتفصيل حين اعالج قصة لقمان .

(٣٩) مجمع الامثال ١ : ٤٢٩ .

(٤٠) القوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح ، الفقير : المكسور
 الفقار (العمود الفقري) ، الأعزل من الخيل : المائل الذنب في أحد
 الجانبين .

(٤١) ائتلى : قصر وابطأ . أي ان لقمان ألقى نفسه لم يقصر في
 استبقاء النسور والحرص عليها ولكن القدر غلبه على أمره (الحيوان ٦ :
 ٣٢٦ - ٣٢٧ ، ومجمع الامثال ١ : ٤٢٩ ، والهمذاني : الاكليل ، تحقيق
 الاب انستاس الكرمل ، مطبعة السريان الكاثوليكية - بغداد ١٩٣١ ، ٨ : ٢١٥ .

وقال النابغة الذبياني :

أضحت خلاء واضحى أهلها احتملوا
اخنى عليها الذي اخنى على لبد^(٤٢)

وقال سهل بن غالب الخزرجي منوها بطول عمر معاذ بن مسلم :

يا نسر لقمان كم تعيش وكم تلبس ثوب الحياة يا لبد^(٤٣)

اما لقمان صاحب لبد .. فهو لقمان بن عاد^(٤٤) الذي اعطي ما لم يعطه غيره ، أعطى حاسة مائة رجل ، وكان طويلا لا يقارب أهل زمانه^(٤٥) ، ولقد تراحم على مأساته الدامية الاخباريون ورواة الاباطيل الاسرائيلية ليجعلوا منه (دوريان گراي) العصر الجاهلي ، ومن نسر السابع (لبد) المرأة الكاذبة التي حجبت عنه قسوة الزمن ، وتأمر الليالي على سعاده

(٤٢) الحيوان ٧ : ٥١ ، وحياة الحيوان ٢ : ٣٥٢ ، والفاخر : ٨٤
وفي رواية (وأمسى أهلها انقضوا) أخبار الزمان : ٨٢ .
(٤٣) الحيوان ٦ : ٣٢٧ وفي رواية (تسحب ذيل الحياة يا لبد)
الحيوان ٧ : ٥١ وفي رواية اخرى (يا بكر حواء كم تعيش وكم) حياة
الحيوان ٢ : ٣١٤ .

(٤٤) وهو لقمان الأنسر .. غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد داود ، وغير لقمان الحميري (الاكليل ٨ : ٢١٥ ، والمعرون والوصايا : ٤) وقد اختلف الاخباريون في نسبه ، فتارة هو لقمان الانسر (الاكليل ٨ : ٢١٥) وتارة لقمان بن عاديا الكبير (المعرون والوصايا : ٤) وتارة لقمان بن عاد الاصغر (حياة الحيوان ٢ : ٣٥١) وتارة لقمان بن عاديا بن فلان بن فلان بن صد بن عاد الاكبر (تاريخ الطبري ١ : ٢١٦-٢١٧) .
(٤٥) الاكليل ٨ : ٢١٢

دار (الرجل - المأساة) مع (النسر - المأساة) وجودا وعدما، وخاض معركة مصيرية واحدة انتهت بفاجرة اسطورية * * كانت بدايتها ان الله عز وجل ارسل الى (عاد) نبيه (هودا) وكانوا أهل أوثان ، فدعاهم الى توحيد الله ، وترك ظلم الناس * * فكذبوه ، وقالوا : « من أشد منا قوة ! » فلم يؤمن بهود منهم الا القليل ، فوعظهم اذ تمادوا في طغيانهم ، فكان جوابهم : « سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » (٤٦) ، فتوالت عليهم ثلاث سنوات تهب عليهم الرياح من غير مطر ولا سحب ، فجمعوا من قومهم تسعين رجلا ، فبعثوا بهم الى مكة ليستسقوا لهم ورأسوا عليهم : قيل بن عتر ولقيم بن هزل ومرثد بن سعد وجلهمة بن الخيبري ولقمان بن عاد (٤٧) * وكانت العرب اذا أصابها جهد جاءت الى بيت الله تبارك وتعالى ، فسألت الله ، فيعطيهم مسألتهم * * الا ان يسألوا فسادا * وكان أهل مكة اذ ذاك العماليق ، وكان سيدهم معاوية بن بكر (٤٨) * * فلما قدموا مكة نزلوا عليه وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم ، فاكرمهم (٤٩) ، فاقاموا

(٤٦) تاريخ الطبري ١ : ٢١٦-٢١٧

(٤٧) الفاهر : ٨٢ وفي الطبري ان كل رجل من هؤلاء انطلق ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدة وفداهم سبعين رجلا (تاريخ الطبري ١ : ٢١٩)
(٤٨) الفاهر : ٨٢

(٤٩) انهم كانوا أخواله وأصهاره (الفاهر : ٨٢) وكانت هزيلة ابنة بكر اخت معاوية ، ولهددة ابنة الخيبري عند لقيم بن هزال ، وكان جلهمة خال معاوية (تاريخ الطبري ١ : ٢١٩) *

عنده شهرا^(٥٠) ، وهم يشربون الخمر ، وتغنيهم الجرادتان^(٥١) ، فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه ، فقال : هلك أخوالي وأصهاري ، وهؤلاء مقيمون عندي ، وهم ضيفي نازلون علي .. والله ما أدري كيف أصنع بهم ! .. استحي أن أمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه ، فيظنوا انه ضيق مني بمقامهم عندي ، وقد هلك الذين وراءهم من قومهم جهدا وعطشا^(٥٢) ، فشكا ذلك من أمرهم الى الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله ، لعل ذلك أن يحركهم ! « فقال معاوية :

ألا يا قيل ويحك قم فهينهم لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما^(٥٣)

فلما سمع القوم ما غنت به الجرادتان ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ! .. انما بعثكم قوم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم ، وقد ابطأتم عليهم ، فادخلوا هذا الحرم ، فاستسقوا لقومكم ، فقال مرثد بن سعد : انكم والله

(٥٠) وفي بعض الاخبار : اقاموا حولا (الفاخر : ٨٣) أو كان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا (تاريخ الطبري ١ : ٢٢٠) .
(٥١) كانتا جاريتين عند معاوية بن بكر .
(٥٢) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٠ وعند المفضل بن سلمة ان معاوية قال : هلك اصهاري وأخوالي ، مالعاد ختن أشام مني ، وان قلت لهم شيئا من أمرهم توهموا ان هذا بخل مني (الفاخر : ٨٣) .
(٥٣) الهينمة : الكلام الخفي . وهناك خمسة أبيات اخرى تتلو هذين البيتين ذكرها الطبري (تاريخه ١ : ٢٢٠) والمفضل بن سلمة (الفاخر : ٨٣) .

لا تسقون بدعائكم ، ولكن ان اطعمم نبيكم وأبتم اليه سقيتم ••
فقال لهم جهلمة حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود وآمن
به :

أبا سعد فانك من قبيل ذوي كرم وامك من ثمود
فانا لا نطبعك ما بقينا ولسنا فاعلين لما تريد

ثم قال لمعاوية وأبيه بكر : احبسا عنا مرثد ، فلا يقدمن معنا مكة فانه
قد اتبع دين هود وترك ديننا^(٥٤) •

(٥٤) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٠-٢٢١ وقد سبق للطبري أن أجمل
هذه التفاصيل في خبرين رفع أحدهما (زيد بن حباب) الى (الحارث بن يزيد
البكري) ورفع الآخر ابو بكر بن عياش الى البكري أيضا ، ولكنهما تفاوتتا
في بعض الوقائع ، فابن عياش في روايته عن البكري يقول : ان عادا قحطت ،
فبعثت من يستسقى لها ، فمروا على بكر بن معاوية (في حين انهم مروا على
معاوية بن بكر حسب أجماع الاخباريين) بمكة يسقيهم الخمر وتغنيهم
الجرادتان شهرا ، ثم بعثوا رجلا من عنده حتى أتى جبال (مهرة) فدعا ،
فجاءت سحابات ، وكلما جاءت قال : اذهبي الى كذا • حتى جاءت سحابة
فنودي منها : خذها رمادا رمدا (الرممد : المتناهي في الاحتراق) لا تدع
من عادا احدا • فسمعه وكتمهم حتى جاءهم العذاب (تاريخ الطبري ١ :
٢١٧-٢١٨) • ولابي بكر بن عياش وجه آخر لهذه الرواية حدث بها
الطبري •• ملخصه : ان ذلك الرجل اتى جبال مهرة ، فصعد ، فقال :
اللهم اني لم أجنك لاسير فافاديه ، ولا لمريض أشفيه ، فاسق عادا ما كنت
مسقيه • فرفعت له سحابات ، فنودي منها : اختر • فجعل يقول : اذهبي
الى بني فلان • فمرت آخرها سحابة سوداء ، فقال : اذهبي الى عاد •
فنودي منها : خذها رمادا رمدا ، لا تدع من عاد احدا • وكتمهم والقوم
عند بكر بن معاوية يشربون ، وكره بكر أن يقول لهم من أجل انهم عنده ،
وانهم في طعامه ، فاخذ في الغناء وذكرهم (تاريخ الطبري ١ : ٢١٩) =

ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد^(٥٥) ، وتخلف لقمان لانهم لم يرئسوه ورأسوا قبلاً^(٥٦) ، وخرج مرثد من منزل معاوية حتى أدركهم بها قبل ان يدعوا الله بشيء مما خرجوا له^(٥٧) . وكانوا اذا دعوا أجابهم نداء من السماء أن سلوا ، فيعطون ما سألوا^(٥٨) ، فلما انتهى اليهم مرثد ، قام يدعو الله ، فقال : اللهم اعطني سؤلي وحسدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد !!

وقال وفد عاد : اللهم اعط قبلاً ما سألك ، واجعل سؤلنا مع سؤلهم !
 وقال قيل : يا ألهنا .. ان كان هود صادقاً فاسقنا .. فانا هد هلكنا^(٥٩) .
 فأشأ الله لهم ثلاث سحابات : بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم نادى مناد من السماء : يا قيل .. اختر لنفسك ولقومك من هذه السحاب

= اما زيد بن حباب في خبره الذي اسنده بالبكري فقد زعم : ان عاداً قحطوا فبعثوا قبلاً وافداً ، فنزل على بكر (!!) ، فسقاه الخمر شهراً ، وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فخرج الى جبال مهرة ، فنادى : انى لم اجىء لمريض فادويه ولا لاسير فافاديه .. اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه . فمرت به سحابات سود ، فتودي منها : خذها رماداً رمداً لا تبقى من عاد أحداً (تاريخ الطبري ١ : ٢١٩) .

وفي كلتا الروايتين نجد ان الصلة مقطوعة بين اقطاب الوفد العادي وبين لقمان بن عاد . وهذا يلهمني ان الحارث البكري قد هجر ، عمداً ، اسطورة لقمان ونسره نكابة بالروايات الاسرائيلية !!

(٥٥) تاريخ الطبري ١ : ٢٢١

(٥٦) الفاخر : ٨٣

(٥٧) تاريخ الطبري ١ : ٢٢١

(٥٨) الفاخر : ٨٤

(٥٩) تاريخ الطبري ١ : ٢٢١

فقال : أما البيضاء فَجَبَلٌ [= أي أراقت ماءها ثم ذهبت جافلا] ،
وأما الحمراء فعارض [= أي معترضة في الأفق] ، وأما السوداء فهطله وهي
أكثرها ماء (٦٠) . فاختارها ، فناداه مناد : قد اخترت لقومك رماداً رمداً ،
لا تبقي من عاد أحداً ، لا والدأ ولا ولدأ ، الا جعلته همدا . . الا بني اللوذية
المُهْدَى (٦١) .

وسير الله السحابة السوداء التي اختارها قيل الى عاد (٦٢) . . حتى
خرجت عليهم من واد يقال له المغيث ، فلم تدع منهم أحداً (٦٣) .

تلك هي قصة وافد عاد الى مكة ، وقد رأيت أن أحتفظ بثمالتها هنيهة
لأقول ان ما مرَّ ، معنا ، من وقائع وأحداث يكاد يكون نسيج الرواية
العربية الخالصة ، ويكاد يوثقه القصص القرآني وهو بمعزل عن الخيال
الاسرائيلي الذي افترس صلة هذه القصة الرائعة فمسحها اسطورة من
أساطير الأولين !

ان ما سوف أذكره من هذه القصة سيكون في مستوى الشبهات ،
وستحوم فوقه الشكوك والظنون والمزاعم ، فقد وجدت الطبري - حيث
استهل بقية القصة - يقول : « انهم يزعمون والله أعلم » و « هذا فيما

(٦٠) الفاخر : ٨٤

(٦١) بنو اللوذية هم بنو لقيم . . كانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ،
ولم يكونوا مع عاد بارضهم . . وهكذا ، حتى يهلك الله عاداً (تاريخ
الطبري ١ : ٢٢١)

(٦٢) الفاخر : ٨٤

(٦٣) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٢

يزعمون» (٦٤) ، ووجدت الهمداني صاحب الاكليل ، في هذا الصدد ، ينقل عن عبيد بن شرية الجرهمي عن وهب بن منبه ، فلم يملك الاب استئناس ماري الكرمللي أعصابه ، فيثور على هذا التزوير قائلاً : لقد مات وهب في سنة ١١٦ هـ ومات ابن شرية في نحو سنة ٦٥ هـ ، فكيف يستشهد ابن شرية بوهب الذي جاء بعده بمائة سنة ؟ اذن فالوضع ظاهر لا ينكر (٦٥) .

ووجدت ، أخيراً ، وهب بن منبه رائد الاختلاق الاسرائيلي يصول ويجول في اسطورة النسر - المأساة دونما خوف من تقرير ناقد أو تأنيب مؤرخ غيور !! * * وهذا هو الذي حمل الجاحظ على أن يجعل من نسر لقمان أداة للتهكم بأحمد بن عبدالوهاب * * اعتقاداً منه بأن الروح الاسطوري قد استغرق نهاية لقمان من جميع أقطارها .

ودون القاريء تمام القصة :

وقيل - فيما يزعمون والله أعلم - لمرثد بن سعد وقيل بن عتر ولقمان بن عاد حين دعوا بمكة : قد اعطيتم مناكم ، فاختاروا لانفسكم ، الا انه لا سبيل الى الخلد ، فانه لا بد من الموت .

فقال مرثد : يارب ! اعطني برأ وصدقاً . فاعطني ذلك .

وقيل لقيل : اختر لنفسك .

(٦٤) المصدر السابق .

(٦٥) الاكليل ٨ : ٢١٧ هامش رقم (١) .

فقال : أختار أن يصيني ما أصاب قومي •

فقيل : انه الهلاك !

قال : لا ابالي ، لا حاجة لي في البقاء بعدهم •

فأصابه ما أصاب عاداً من العذاب ، فهلك • فقال لقمان : اعطني عمراً •
فقيل له : اختر لنفسك ، الا انه لا سبيل الى الخلد : بقاء ايعار ضأن عمر في
جبل وعر لا يلقى به الا القطر •• أم سبعة أنسر اذا مضى نسر خلوت الى
نسر (٦٦) •

فاختار لقمان لنفسه النسور ، فعمّر - فيما يزعمون - عمر سبعة أنسر ،

(٦٦) ايعار : شياه ، عفر : جريئة •• شديدة ، القطر : المطر
(تاريخ الطبري ١ : ٢٢٢ - ٢٢٣) وقد خير لقمان بين أن يعيش عمر سبع
بقرات أو عمر سبعة أنسر (حياة الحيوان ٢ : ٣٥١) ونودي لقمان :
سل ! ، فسأل عمر ثلاثة أنسر (الفاخر : ٨٤) والشعر الجاهلي الذي
قيل في لقمان لا يؤيد ادعاء (الفاخر) ، وقد مرت بنا قبل قليل نماذج منه ،
فليرجع القارىء اليها • وهذا هو السجستاني يذهب مذهب الطبري والدميري
بقوله : اعطى من العمر عمر سبعة أنسر (المعمرين والوصايا : ٤) وقال
وهب بن منبه : كان لقمان يدعو قبل كل صلاة ويقول :

لاهم يارب البحار الخضر والارض ذات النبت بعد القطر

أسألك عمراً فوق كل عمر

فنودي : قد اجيبت دعوتك ، واعطيت سؤلك ، ولا سبيل الى الخلود ،
فاختر بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعر لا يمسهن ذعر •• وان شئت بقاء
سبعة أنسر ، كلما هلك نسر عقب بعده نسر ، فاختار لقمان بقاء سبعة
أنسر (الاكليل ٨ : ٢١٤) •

وكان كل نسر - فيما زعموا - يعيش ثمانين سنة^(٦٧) يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكر منها لقوته حتى اذا مات أخذ غيره .. فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع^(٦٨) ، ولما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للمقمان : أي عم ! .. ما بقي من عمرك الا عمر هذا النسر .

فقال له لقمان : أي ابن أخي ! .. هذا لبد [ولبد - بلسانهم - الدهر] . فلما أدرك نسر لقمان وانقضى عمره طارت النسور ، غداة ، من رأس الجبل ، ولم ينهض فيها لبد ، وكانت نسور لقمان لاتفیب عنه ،

(٦٧) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٣ (فيكون لقمان قد عاش ٥٦٠ سنة) ، وقال وهب بن منبه انه عاش ٢٤٠٠ سنة ، وقال عبيد بن شرية الجرمي : كان عمره ١٧٦٤ سنة (الاكليل ٨ : ٢١٤-٢١٥) ، وقالوا : يعيش النسر ألف سنة (عجائب المخلوقات : ٢٥٨) ولما خص النسر من طوال العمر يقال انه أطول الطير عمرا وانه يعمر ألف سنة (حياة الحيوان ٢ : ٢٤٩) ، وعاش لقمان كما زعموا ٣٠٠٠ سنة اذ يعيش الفرخ ٥٠٠ سنة أو أقل أو أكثر (مجمع الامثال ١ : ٤٢٩) .

أما السجستاني فقد ناصر ما ذكره الطبري ، فقال : أطول الناس عمرا بعد الخضر لقمان بن عاديا الكبير ، عاش ٥٦٠ سنة ، عاش عمر سبعة أنسر ، عاش كل نسر منها ثمانين سنة .. ولكن لم يثبت على قوله ، فقال : او انه عاش ٣٥٠٠ سنة (المعمرين والوصايا : ٤) .

(٦٨) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٣ .. أو كان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله في جوبة (أي : حفرة أو فجوة) في الجبل الذي هو في أصله ، فاذا مات أخذ آخر مكانه .. حتى هلكت كلها الا السابع : أخذه ، فوضعه في ذلك الموضع ، وسماه لبدًا ، وكان أطولها عمرا (مجمع الامثال ١ : ٤٢٩) والمعمرين والوصايا : ٤) أو كان يأخذ فرخ النسر من وكره ، فلا يزال عنده حتى يموت (الفاخر : ٤٨) .

انما هي بعينه ، فلما لم ير لقمان لبدأ نهض مع النسور .. انطلق الى الجبل ينظر ما فعل لبد ، فوجد لقمان في نفسه وهناً لم يكن يجده قبل ذلك^(٦٩) ، فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدأ واقعا من بين النسور ، فناداه : انهض لبدأ !!

فحاول لبد أن ينهض ، فلم يستطع : عربت قوادمه ، وقد سقطت^(٧٠) ، ولما مات جاء لقمان لينهض ، فاضطربت عروق ظهره ففخر ميتاً ، فرناه المتى بن عمرو العمليق بأبيات من الشعر ، ثم انطلق الى اناس من قومه العماليق فأخبرهم بأمر لقمان ونسره ، فانطلقوا حتى دفنوهما^(٧١) .
وكان دفنه بالاحقاف الى جوار قبر هود ، وكان ذلك في زمن ملك فارس^(٧٢) .

(٦٩) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٣ وقال وهب بن منبه : لما دنا الموت من لقمان قال : يا قوم .. دعوني من سنن الجبارين ، واسلكوا بي سبيل الصالحين : احفروا لي ضريحا ، وواروني فيه ترابا ، وحسبا ، ولا تجعلوني للناظرين نصبا (الاكليل ٨ : ٢١٧) .
(٧٠) تاريخ الطبري ١ : ٢٢٣

(٧١) الاكليل ٨ : ٢١٥ حيث توجد المرثية الشعرية ..
(٧٢) المصدر السابق ٨ : ٢١٥ و ٢١٧ وقد وردت اسطورة لقمان الانسر عند الثعلبي موجزة (العرائس ، مطبعة عاطف - القاهرة ، دون تاريخ ، ص ٣٩) كما ذكر المسعودي أمشاجا منها في أخبار الزمان (ص ٨٢) وجاءت على قدر متفاوت ايجازا وتفصيلا في طائفة كبيرة من كتب التفسير ، والمع الى جزء منها الشريشي (شرح مقامات الحريري ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجة ، المطبعة المنيرية - القاهرة ١٩٥٢ ، ٢ : ١٣٧-١٣٨) .

الأزبياء الشعبية

في مقامات الحريري

شهدت سنة ١١٠١ م ، في مسجد بني حرام بالبصرة ، ولادة معجزة
فنية فحصت بالعبارة الرشيقة أخلاق الناس وموازينهم الحضارية في معاشهم
اليومي . ففي يوم بهيج من أيام هذه السنة كان أبو محمد القاسم بن علي
بن محمد الحريري يجتمع في ذلك المسجد بنخبة سالحة من ائمة الادب
والنحو واللغة ، يجاذبهم أطراف الحديث في المنازع الجديدة التي سددها
الفكر العربي الى المجتمع العراقي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي . وكان
الحريري ، وقتئذ ، وهو على عتبة الخمسين من العمر ، مأخوذا بالعطاء
الاجتماعي الذي فجرته مقامات الهمداني في جميع الاندية والمحافل والمساجد

العربية والاسلامية ، فهو يمني ان يعارضها ، ويقفو أثرها ، ويحاكيها
اداء وسبكا . وبينما هو يقلب الفكر في هذه الطارقة وقد أخذ ينتف لحيته
والقوم ينظرون اليه . . . اذ دخل عليهم المسجد شيخ رث الثياب ، مثقل
بوغاء الطريق . . . وبعد أن رشقهم بنظرة هادئة ، بادلهم الكلام بعبارة
فصيحة ، فسألوه : « من أين الشيخ ؟ » فقال : من سروج . فاستخبروه
عن كنيته فقال : ابو زيد .

وفارقهم الرجل ، ثم تفارقوا . . . وبعد أيام عاضد الحريري نشر
العرب الفني بأولى مقاماته ، وهي (المقامة الحرامية) ، سارداً فيها مغامرات
أبي زيد السروجي على لسان الحارث بن همام . وسرعان ما التقتمتها الآذان ،
وتلقفتها الاقلام ، وطارت لها شهرة حميدة . . . ولجت مسامع الاستاذ
شرف الدين (وقيل : جلال الدين) وزير الامام المسترشد بالله العباسي ،
فأعجبه ، وأشار على مبدعها أن يضم اليها غيرها ، فأتىها أبو محمد خمسين
مقامة بعد تسع سنوات .

ولد الحريري سنة ١٠٥٤م في مدينة البصرة . . . حيث ظل - منذ
نعومة أظفاره - يتزود بثقافة عصره . وفي ديوان الخلافة ، هناك ، لمع
نجمه عندما تولى وظيفة صاحب الخبر . وتردد هذا الرجل على بغداد ،
وادي فريضة الحج ، وأشارت اليه أصابع الادباء ، في كل مكان ، بفخر
واعزاز ، وخلده الذوق العربي أفضل من امتلك ناصية اللغة العربية في
النثر والشعر .

وقد أقسم العلامة الزمخشري بالله وبآيات الله أن مقاماته خليقة بأن

تكتب بالتبر لانها معجزة اذهلت الناس •

وتوفى هذا النابغة البصري سنة ١١٢٢م •• ولكن مقاماته ظلت معقد
اهتمام العلماء في الشرق والغرب ، فوسعوها شرحا ودرسا ، وترجموها الى
بعض اللغات السامية والاوربية ، وقد قيص الله لها من ينقل نصوصها الى
اللغتين العبرية والسريانية • وفي القرن الثامن عشر قام المستشرق الهولندي
شولتنز Schultens (المتوفى سنة ١٧٩٠) يعاونه المستشرق الالماني
ريسكه Reiske (المتوفى سنة ١٧٩٤) بنقل طائفة منها الى اللغة
اللاتينية • وطبعها سنة ١٨٢٢ المستشرق الفرنسي البارون سلفستردى ساسي
S. de Sacy (المتوفى سنة ١٨٣٨) طبعة تذكارية محلاة بشروح ومقدمة
باللغة العربية • وفي سنة ١٨٢٦ ترجمها الى اللغة الالمانية المستشرق روكرت
Ruckert (المتوفى سنة ١٨٦٦) ، كما ان المستشرقين شتاينجاس
Steingass وجمري Chemery قد تعاونوا على نقلها الى اللغة
الانكليزية سنة ١٨٩٨ •

ومن الماع شرح هذه المقامات كان شميم الحلبي والشريشي • وقام
عميد المدرسة البغدادية في الرسم الفنان يحيى الواسطي بتصوير مشاهد
احدى مخطوطاتها بالالوان الطبيعية ، ولا تزال المكتبة الوطنية في باريس
Bibliothèque Nationale حتى اليوم تحتفظ بهذه المخطوطة المصورة •
وقبل عدة سنوات وضعت هذه المكتبة في متناول الايدي اكثر اللوحات التي
رسمها الواسطي عندما طبعتها في بطاقات بريدية Carte postale

وعلى كارتونات خاصة بحجوم مختلفة •

وقد انطوت مقامات الحريري على ثروة فولكلورية نفيسة ، تغري الباحثين بالتصدي لها ، فهي قد سجلت ، بصدق ، أساليب الشحاذين ووصاياهم والمآكل الشعبية والأزياء والشتائم وأثاث المنزل وأدوات الزينة والعقائد والأوهام •• وغير ذلك من مقومات التاريخ الاجتماعي • وانني ، في هذه الدراسة ، سأقدم للمقاريء هذا الثبت الأزيائي مستوعبا فيه اقنعة الوجه وألبسة الرأس والجسد والرجل •• التي وزعها الحريري على مقاماته كلها •• ليكون في عون من يريد ان يدرس خصائص المدرسة البغدادية القديمة في الرسم ، ومدى أمانة الاستاذ يحيى الواسطي في تشخيص الأزياء الشعبية التي المع إليها الحريري •• وهذا هو الثبت :

الأزار : هو المئزر الذي يلبس عوضا من السراويل ، أو هو الملحفة ، أو كل ما يوارى الشخص ويستتره (المقامتان : الرقطاء والشتوية) •

البيجاد : كساء صوفي مخطط يشتمل به (المقامة البكرية) •
البرد : ثوب مخطط ، موشى ، ووجه التسمية فيه أنه بقي من البرد ، وهو مخطط تخطيطا يشبه التجزيء • والتجزيء هو التفريق والتقسيم ابعاضا • (المقامتان : الديماطية والتنيسية) •

البرقع : ما تستر به المرأة وجهها ، وفيه خرقان في موضع العينين تبصر المرأة منهما • ويقال : برقع موصوص اذا كان صغير العينين • وأشار الحريري الى برقع أحمر (المقامة الحلوانية) •
البزة : الثوب الحسن من الكتان او القطن (المقامة الكرجية) •

الجلباب : الملحفة أو الرداء •• أو هو ثوب يلبس على الثياب ، ويكون
أوسع من الخمار ، ودون الرداء •• تغطي به المرأة رأسها وصدرها ، أو
تجلل جميع الجسد ، وقد يطلق على ازار الليل وهو الثوب السابغ الذي
يشتمل به النائم فيغطي جسده كله (المقامات : البغدادية والكرجسية
والبكرية) •

الحبرة : أو الحبير ، برد موشى ، مخطط يصنع باليمن أو هي ملاءة
سوداء تلبسها نساء مصر اذا ظهرن من منازلهن • وكان رسول الله (ص)
يلبس حبرات اليمن (المقامتان : الكوفية والرقطاء) •

الحذاء : النعل ، وهو ما وقيت به القدم من الارض (المقامة
البكرية) •

الحلة : القميص والازار والرداء ، ولا تكون أقل من هذه الثلاثة ،
فهي عند العرب ثلاثة • وسميت حلة لانها تحل على لابسها • وذكر
الحريري الحلة السعيدية ، وهي المنسوبة الى سعيد بن العاص • وكان
رسول الله (ص) كساء - وهو غلام - حلة ، فنسب جنسها اليه (المقامة
الشتوية) ، وذكر الحلل السود للحداد (المقامة الحلوانية) ، وذكر الحلة
المصرة وهي المصبوغة بالمصرة أي العصفر قبل أن يوضع فيه الخل
(المقامة الدمشقية) •

الخف : ما يلبس في الرجل ، وهو اطول من النعل ، وسمي خفا
لخفته (المقامة الشتوية) •

الخميصة : كساء أسود مربع فيه علمان (المقامة الصناعية) •

الخيش : ثوب خشن ينسج من مشافة الكتان ، غليظ الخيوط ، متخلخل النسيج ، أو من شجر اللباب • والمشافة ما يبقى من الكتان بعد المشق • • وهو أن يجذب في ممشقة - وهي آلة كالمشط - حتى يخلص خالصه (المقامة النجرانية) •

الدرع : القميص ، وغالبا ما تلبسه المرأة (المقامة البغدادية) •
الدست : الثوب (المقامة الشعرية) •

الرداء : ما يلبس فوق الثياب كالعباءة والجببة • وقد يطلق على الوشاح (المقامة الصناعية) •

الربطة : ثوب لين ، رقيق يشبه الملحفة أو هي ملاءة من قطعة واحدة ونسج واحد • • تصنع من الخز أو القصب (المقامة الكرجية) •

السربال : كل ما يلبس من قميص أو غيره (المقامتان : البرقعيدية والفراتية) •

السروال : لباس يستر النصف الاسفل من الجسم ، والعرب لاتعرفه ، لانه من أزياء الفرس • ويقال ان اعرابيا وجد سراويل ، فظننها قميصا • • فأدخل يديه من على ساقها ، والتمس من أين يخرج رأسه ، فلم يجد ، فرمى بها ، وقال : هذا قميص الشيطان (المقامة البرقعيدية) •

الشعار : ما تحت الدثار من اللباس ، وهو يلبي الجسم (المقامة الحلوانية) •

الشلاق : يزعم الشريشي ، شارح المقامات ، انه ثوب مرقع • • بينما

تشير المعاجم الى انه شبه مخلاة للفقراء (المقامة الصورية) •

الشملة : كساء مخمل كالتقطيفة يشتمل به أو عباءة يشتمل عليها صاحبها ويديرها حواليه • ويقال : اشتمل فلان الشملة الصماء • • حين يدير الثوب على جسده كله لا يخرج منه يده • • أو حين يلتحف بثوب غير مخيط أو يتجلل بالثوب ولا يرفع منه جانبا أو أن يردده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن ، فيغطيها جميعا (المقامتان : التليسة والبصرية) •

الشوذر : ثوب قصير أو ملحفة ، وهو معرب جاذر بالفارسية ، وهذا الثوب تجتابه المرأة الى طرف عضدها ، وقد يكون بردا يشق فتلبسه المرأة من غير كمين ولا جيب ، وقيل ان الشوذر هو الاتب • • وهذا ثوب يشق فتلقبه الجارية في عنقها ، أو هو قميص غير مخيط الجانبين (المقامة الكوفية) •

الصقاع : خرقة بالية تجعلها المرأة على رأسها تقي بها الخمار من الدهن • وتسمى - أحيانا - الصوقعة • والخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها • وقيل ان الصقاع هو البرقع (المقامة الصورية) •

الطوق : الثوب يلبسه المولود بغير جيب (المقامة المروية) •

الطيلسان : ثوب من الخز الاخضر ، أو كساء مدور لا أسفل له ، لحمته وسداه من صوف ، يلبسه خواص العلماء والمشايخ (المقامة الشعرية) •
العباءة : كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب (المقامة البصرية) •

العمامة : ما يلف على الرأس • ويقال ان فلانا أعتم القفداء اذا لث

- عمامته على رأسه ولم يسدل لها عذبة (المقامتان : السنجارية والطيبية) .
- الفراء : جمع فروة ، وذكر الحريري فروة كانت بالنهار لباسه وفي الليل فراشه • والفروة نصف كساء كان يتخذ من أوبار الابل • وعرف العرب الفراء المغشاة وهي المغطاة بغيرها من الثياب (المقامة الكرجية) •
- الفوطة : ثوب غليظ ، كان يجلب من الهند ، يلبسه أهل مصر وأهل المشرق ، وهي ضرب مما يعتم به • وقيل انها مثزر مخطط يشتره الجمالون والأعراب والخدم بالكوفة • وتخليل الحريري صورة السروجي وقد لوى على رأسه فوطة بالية (المقامة الكرجية) •
- القميص : ما يلبس على الجلد ، أو ما يلي الجسد من اللباس ، ويكون من صوف أو قطن ، ويسميه المولدون بالشعار • أو هو لباس فوق الشعار يكون من قطن (المقامة الواسطية) •
- الكساء : الثوب (المقامة التبريزية) •
- اللتام : ما يجعل على الأنف والقم ، أو هو ما على الأنف من نقاب أو عمامة ، أو ما كان على القم من النقاب (المقامة التفليسية) •
- المطرف : رداء (أو ثوب) من خز ، مربع ذو أعلام في أطرافه (المقامات : الديماطية والمراعية والكرجية) •
- النطاق : ما يشد على الوسط كالحزام أو هو شقة كانت تلبسها المرأة وتشد بها وسطها ، أو هو شبه ازار فيه تكة كانت المرأة تتنطق به (المقامة المكية) •

النقاب : ما يغطي به الوجه ، أو هو القناع على مارن الانف تستر به
المرأة وجهها (المقامة البغدادية) •

النعل : ما وقيت به القدم من الارض (المقامتان : الصنعانية والبكرية) •

الوشاح : الحزام ، وهو المنطقة ، وقيل انه شبه قلادة ينسج من جلد
عريض يرصع بالجواهر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها (المقامة الرملية)

الوشي : نوع من الثياب المرقومة بألوان شتى من الحرير (المقامة
الكوفية) •

ليلة المحبة

للشيخ جلال الحنفي رأي طريف في ما يتعلق بليلة « المحيا » ، فهو أول من كشف عن بعض الجذور الدينية والتاريخية لهذه الليلة البغدادية التي تفتق عنها المؤلف الشعبي المتوارث .. وعن طريق الشيخ الحنفي ، ومما شاهدناه في هذه العصر ، عرفنا كيف يتأهب أبناء الشعب لاستقبال هذه الليلة المجيدة بـ « الطرقات » و « الزنابير » و « سخاط رحلو » و « عين الشمس » و « البوتاز » .. ولكنه يعتقد ان الأصل في هذه الليلة يتشعب الى مسألتين ، تتوكلأ احدهما على ان ليلة النصف من شعبان ليلة تفتح فيها أبواب السماء ، ويستجاب فيها الدعاء ، ولذلك يبادر الناس الى احيائها بالدعاء والعبادة .. بينما تستند الاخرى الى رأي الاستاذ الحاج كاظم شكاره الذي جعل احياء تلك الليلة امتدادا للاحتفال بميلاد السلطان عبدالحميد .

انني اؤيد الشيخ الحنفي فيما ادعاه ، اؤيده بالرغم من انه حام فوق
(الأصل) ولم يقع عليه . فالحديث النبوي الذي أكد استجابة الدعاء ساعة
تفتح أبواب السماء في ليلة النصف من شعبان •• يكاد ينعقد عليه الاجماع
في جميع ما وجدته في المظان الخاصة بالأدعية والاوراد لدى أهل المذاهب
الخمسة والمتصوفة ، حتى ان الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه (الغنية)
قال : « ان بعض العلماء جمع الليالي التي يستحب احيائها ، فوجدها أربع
عشرة ليلة في السنة ، منها ليلة النصف من شعبان » •

ويذهب العقل الشعبي المصري في تمجيد هذه الليلة الى أبعد من ذلك ،
فقد أخبرنا المستشرق ادوارد وليسم لين في كتابه (المصريون : شمائلهم
وعاداتهم) بأن المصريين يعظمون ليلة النصف من شعبان باعتبارها وقت
ثبتت مصير الانسان في العام التالي •

هذا فيما يتعلق بالجذر الأول الذي يستمد منه وجود الأصل في ليلة
المحيا • أما الجذر الثاني وهو ما يراه الحاج كاظم شكاره فانه يتشبه ببعض
الصواب والحق •• اذ قد يكون من المألوف جدا أن يسهر البغداديون
صاخبين حتى مطلع الفجر ارضاء لشهوة السراي العثماني في الاحتفال بميلاد
السلطان عبدالحميد ليلة النصف من شعبان •• ولكن الاعتقاد بتفجير المرفقات
في تمثال الشيخ حسن الخيون ، وجعل ذلك أحد مستلزمات ليلة المحيا ••
انما هو ضرب أخماس لأسداس ، فلو كان ذلك حقا لاطردت هذه العادة
ورسخت في مأثوراتنا الشعبية مدة معقولة تفرينا بالتصديق وتزودنا باليقين •
على انني لا أنكر ان تمثال الشيخ حسن الخيون الذي كان يتألف من خشبتين

متصالبتين يكسوهما « زبون البتة » والعباءة والعقال واليشماغ .. وقد لعب دورا كبيرا في أفراح المجتمع البغدادي في أثناء المناسبات التقليدية الخاصة بالختان والزواج ، فقد كان هذا التمثال بمثابة الشعار (الراقصة) الذي يستطيع أن يخلع على الحفلات مزيدا من البهجة والحبور .. وفي ذلك ما فيه من اهانة بالغة للشيخ الثائر على السلطة العثمانية المرحوم حسن الخيون .. باعتبار الرقص مهنة داعرة لايجيدها الا ذوو الأخلاق المرذولة .

وهكذا ظل الشيخ الخيون هدفا للسخرية حتى أواخر سنة ١٩٣٤ ، وذلك بعد أن قيص الشيطان للمجتمع البغدادي راقصا يهوديا محترفا خيرا بهز الردف والبطن .. عرفه الناس باسم موشي الشعار . فكانت بدايه هذا الالعوبة النهاية الطبيعية لحسن الخيون .

وأيا كان الامر ، فان الاصل في ليلة المحيا ما يزال غامضا تعتوره الشبهات من جميع جوانبه ، وان باستطاعة أي باحث فولكلوري أن يكتب حوله ما يشاء .. ولكن هذا لن يجتاز به حدود الاحتمال أو الاجتهاد ، فاذا كان البعض يرى ان احياء هذه الليلة انما هو تكريم لميلاد عاهل قصر يلدز ، فان البعض الآخر يصر على ان ذلك باطل ما أنزل به الواقع البغدادي من سلطان ، ويؤكد - بحماس - ان ليلة المحيا ما هي الا مهرجان شعبي يقام للتعبير عن الفرحة الكبرى بميلاد الامام المهدي صاحب الزمان .

ان البحث الفولكلوري يرحب بكل اجتهاد ويصافح جميع الاحتمالات بسرور بالغ طمعاً في تخليد الدراسات الشعبية على الصعيد الميثولوجي .
انني لا أميل مع الشيخ الحنفي الى الايمان المطلق بالأصل الذي ابتكره

تلك الليلة فقد غابت عنه ملابس شتى كانت تزخرف المواكب الشعبية وهي تطوف في محلات بغداد ودروبها •

انني أعتقد ان الجذور التاريخية لهذه الليلة تمتد الى أبعد من ثمانمائة سنة ، ويغذي هذا الاعتقاد ما وجدته في كتاب (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير) المنسوب لابن الساعي عند كلامه على حوادث سنة ٦٠١ للهجرة ، حيث قال : في ليلة النصف من شعبان هبت ريح شديدة ومعها غبرة وقررة (ثم أكد وقوع عدة اصابات بين قتييل وجريح وغريق) •• ثم قال : وفي يوم السبت ١٧ من شعبان اجتمع جماعة من عوام باب الازج وقتلوا سبعا على عادتهم في ذلك ، وجاءوا به الى باب الازج وهموا أن يطوفوا به المحال ويجتازوا به في المأمونية ، فسامع أهل المأمونية بذلك ، فوعدوهم وراسلوهم بالمنع من الاجتياز عندهم • فجمع أهل باب الازج خلقا من العوام ، فشاع ذلك ، وخاف الناس من وقوع الفتنة ، فدخلوا بينهم ، وصالحوهم وسكن الأمر •• ولكنهم في ليلة الأحد ١٨ شعبان بعد عشاء الآخرة خرج جماعة من شباب باب الازج المظهرين للقوة والشجاعة في خلق كثير من أهلها ملبسين بالسلاح ، متأهين للقتال ، وقصدوا المأمونية بمن فيهم من المقاتلة ، والتقى الجمعان عند البستان الكبير وانتشبت بينهم الحرب ، فجرح من الفريقين خلق كثير •

فهذا النص يضع بين أيدينا الحقائق التالية :

١ - كانت نية شباب محلة باب الازج متجهة الى الخروج بسبعهم المقتول ليلة النصف من شعبان لولا أن داهمتهم العاصفة الترابية التي صرعت

عددا كبيرا من الناس وحالت دون طواف موكبهم في المحلات •

٢ - كان خروج هؤلاء الشباب بالأسد المقتول عادة مطردة ومألوفة شعبيا ثابتا ، بدليل قول ابن الساعي : (اجتمع جماعة من عوامهم على عادتهم) •

٣ - كان خروجهم بعد عشاء الآخرة •• أي ليلا •

٤ - كانوا متأهين للقتال •

وهذه الحقائق تساعدنا على عقد دراسة مقارنة بين محية القرن العشرين ومحية القرن الثالث عشر •• فإذا كان أسلافنا يخرجون بأسد قتيل بعد عشاء الآخرة ليلة النصف من شعبان يجوسون خلال المحلات البغدادية ، فإن آباءنا في الربع الأول من القرن العشرين كانوا ينتظمون في مواكب والدنايك بين أيديهم والبوتاز في جيوبهم والاقنعة التي تمثل وجوه بعض الحيوانات على وجوههم والطرطور فوق رؤوس بعضهم •• ولا تلبث بهم الحال حتى يخوضوا معاركهم الحاسمة بالبوتاز مع أبناء المحلات المجاورة بعد أن يمهدوا لذلك ب « تعزيل » المقاهي ، وتهديد أصحابها برشق أئانها وأبوابها بالحجارة •• وهم ينشدون : « لو يعزل جاسم •• لو نكسر تخوته » • وهذه الصورة الشعبية ان دلت فهي تدل على أن وضع القناع الذي يمثل وجه قرد أو أسد على وجه أحد سفهاء المواكب •• انما هو نزوع صريح الى احياء ماضي بغداد على عهد الخلافة العباسية ولو بصورة تقريبية •• نظرا لانقراض الاسود في أدغال مدينة السلام ، وتسدل كذلك على ان استبدال الآلات الجارحة والقاتلة كالنشاب والسيوف بقذائف البوتاز والزناير الطائرة ••

أما هو تخفيف مباشر لغلواء الحرب التي كانت تندلع ، بضراوة ، بين شبان باب الأزج والمأمونية •

أذن ، فليلة المحيا •• كانت ولا تزال ميدانا لآظهار البطولات والشقاوات واحتمال الأذى والصبر على المكاره والقدرة على القتال •• ومن هنا كان الحق مع المقريري حين ذكر لنا في كتابه (المواعظ والاعتبار) بأن في شعبان يشعب القتال (أي يظهر) •

أما المظاهر الماجنة التي كانت تلازم المواقب ليلة المحيا •• ولاسيما عند اقتحام المحلة ومطاردة أبنائها بالمنفجرات القوية •• فإنها كانت تسم بطابع الابتذال والوقاحة ، فلطالما سمعنا من أفواه رجال الموكب المنصور كلمات بذئمة كانوا يرشقون بها نساء المحلة المقهورة ، مثل قولهم : « العايفها رجلها تروح ويانا » •• ولعل هذا الاعتداء المباح ، والمجون الحلال كان تقليدا ومحاكاة ليلية المجونية التي كانت تحياها دمشق في سنة ٦٤٥ للهجرة عند حلول الظلام مساء السابع والعشرين من رمضان •• فقد ذكر لنا ابن شاكز الكتبي في الجزء الثاني من كتابه (فوات الوفيات) بأن علي بن الحسين الحريري كان حورانيا ، قدم دمشق صبيا ، ونشأ بها ، وكان مستخفا بأوامر الشرع ونواهيها ، منتهكا للحرمات •• وكان يلبس الطويل والتقصير والمفرج والمدور والابيض والاسود والقطنسوة وحدها وثوب المرأة والمطرز والملون • وقد سجن الوالي جماعة من أصحابه فترأوا منه ، وشموه • ثم طلب وحبس بقلعة (غرفا) • ولما مات سنة ٦٤٥هـ سن أصحابه المحيا في شهر رمضان كل ليلة سبعة وعشرين وهي من ليالي القدر ، فيحيون تلك الليلة

الشريفة بالدفوف والمزامير والملاح والرقص الى السحر • وفي ذلك يقول
علاء الدين الوداعي :

حاز الحريري فضلا لميت ما تهيا
في كل ليلة قدر يرى له الناس محيا

وفي هذا النص نستطيع أن نقع على وجوه الشبه القريبة والبعيدة بين
الليلة الدمشقية التي أطلق عليها ابن شاعر الكتبي اسم (محيا) وبين الليلة
البغدادية التي اشتهرت في أوساطنا الشعبية باسم (محية) •

وقبل أن أختتم هذه الدراسة أحب أن أشير الى ما ذكره الاستاذ أحمد
القزويني تعقيا على مذهب الشيخ الحنفي ومذهبي في أصل ليلة (المحية) •
فالاستاذ القزويني وجد من الأسانيد التاريخية ما يثبت ان الاحتفال بهذه الليلة
لم يكن عادة لأهل بغداد فحسب ، وانما هو عادة اسلامية عريقة رسخت في
المجتمع الاسلامي منذ قرون بعيدة • ومن الأدلة القاطعة التي لا ترقى اليها
الشبهات في اثبات ليلة المحية واحياؤها من قبل المسلمين في شتى أمصارهم
ما رواه الرحالة ابن بطوطة عن احتفاء أهل مكة بليلة النصف من شعبان ،
وعن احتفال أبناء النجف بليلة السابع والعشرين من رجب وهي ليلة المحية
عندهم ، وبذلك أصبح لدينا عن هذه الليلة المجيدة ما يقطع الشبهات
والاكاذيب •

السعلاة

عاشت السعلاة (السعلوة) حيناً من الدهر تبث الرعب في حياتنا الشعبية ، وتمسخ ليلينا المواتع جحيماً • واذا شاخت سيادتها - قبل اليوم - وأصابها العطب مع الغزو الكهربائي •• فإنها تسنمت ترائنا الشعبي أجيالا بعد أن أتاح لها الظلام والجهل والمرض أسباب الجبروت والقهر •

واننا حين نداعب ذكرى « السعلوة » ونفحص منزلها المرموق في الاسطورة العراقية ، فهذا لا يعني اننا نريد أن نبشر بها كواقع معقول يجب الايمان به ، والتعصب له •• وانما هدفنا أن نتناول هذا الكائن الميتافيزيقي بالدرس - بعد أن آذنت معلمه بالاندثار - وأن نكشف جميع الرواسب عن جذوره التي اكتنفت ملامح العراق يوم بزغت حضارته الانسانية الاولى •
وقديما قال الجاحظ : « وللناس في السعلاة ضروب من الدعوى ، وعلماء

السوء يظهر وتجويزها وتحقيقتها « وهو ، هنا ، انما يشير الى رجل معاصر له .. كان يروج حكايات السعالى ، وقد هاجمه بقوله : « وهذا وأشباهه مأمونون على الناس ، فما أقرب افساده لهم من افساد المتعمد لافسادهم » .. والجاحظ لم يجانب الحق في ما زعم ، ولكنه - مع ذلك - لم يكن يوما من الايام عدوا للتراث العقائدي الشعبي .. وقد فاضت مؤلفاته بأوهام الناس وخرافاتهم ، فهو لم يعب روايتها .. وانما عاب الايمان بها ، والتوكيد لمعانيها .. وهذا هو مذهبي أيضا في صدد السعلوة • فللخرافات ميدانها وعلمائها ، وقد قال المؤرخ المعاصر ول ديورانت : « لا تكاد توجد سخافة في الماضي الا وهي منتشرة في مكان ما في الوقت الحاضر ، وما من شك في ان تحت كل حضارة بحرا من السحر والتخريف والشعوذة .. ولعل هذه ستظل باقية بعد أن يزول من العالم نتاج عقولنا وتفكيرنا » •

ان المدونات الحضارية تؤكد على أن تقديس الأنهار كان من العقائد الدينية القديمة التي اطمأن بها القلب الآسيوي ، وتؤكد أيضا على ان الشعب العراقي - حين قامت دولته البابلية - كان له في خلق الآلهة خيال ملهم دفاق .. ولكن هذه الآلهة انقلبت عليه وبالا حين استخدمها الكهنة واولو الأمر أداة للتحكيم الوثني في حسم النزاع الادبي والقانوني المعروض أمام القضاء • فالآلهة كانت تشكل البوليس السري للدولة البابلية ، وكان حمورابي نفسه يخشى سلطانها ولعنتها •

وإذا عبد المصريون النيل ، وأقام الاغارقة الهياكل لاله النهر ، فاننا - قبلهما - قد اخترنا النهر ليقضي قضاءه بين الناس ، فكان من يتهم بالسحر

أو من يتعسف في استعمال حقوقه يرمى به - طبقا لشريعة حمورابي - في
النهر المقدس . وعلى ضوء هذا التحكيم الجائر نستطيع أن نقول انه ليس
على الجاني بمستكر أن ينجو من الهلاك والغرق اذا كان يتحلى بشيء من
الحذق وجودة التصرف . . . فالبقاء - تحت مصباح التحكيم الوثني - انما هو
للأحيل . . . لا للأصلح . ومن هنا تفاقم خوف العراقيين القدامى من النهر
الذي يلتقم ظالمهم ومظلومهم على السواء . . . ومن الكائن المجهول المخيف
الذي يترصد للضحايا في أعماق النهر . ولذلك كان من نتيج هذا الرعب
المشروع أن يعبدوا - كما يقول عالم الآشوريات ل . ديلاپورت - آلهة الماء
(نينا) ، وأن يرمزوا لها بسمكة في وسط حوض ، وأن يشيدوا لها هيكلًا
في (لجش) وأن يكرسوا لها احدى ضواحي هذه المدينة الخالدة .

وقد تشبث في العقل الشعبي العراقي ان (نيسابا) اخت (نينا) اعتادت أن
تجلس فوق كومة من الأغصان ، وكان يحلو لها أن ترسل شعرها متموجا
على كتفيها . فلا غرو - بعد ذلك - اذا انبثق مفهوم (السلوة) بشكله
البدائي من صميم التشريع العراقي الذي أبدع التحكيم الوثني ، ومن غمرة
الخوف الذي قذفه النهر في الأفئدة ، ومن العبودية التي فرضتها (نينا) على
الناس ، ومن الخيال الذي حام حول (نيسابا) . . . وأخيرا من جمهرة الطقوس
المعقدة التي أداها شعبنا في هيكل آلهة النهر . . . هناك في لجش .

وبعد أن فقد العراق القديم استقلاله تحت ضربات الفرس الاخمينيين
. . . غاب مفهوم السلوة تحت ركام هائل من العقائد الوافدة الجديدة ، وقد
خضع لتفاعلات ميثولوجية أجنبية غذاها الاغريق السلوقيون والفرس

الفرثيون ، فاستقام كائنا غيبيا متكاملا في عهد الفرس الساسانيين الذين عززوا موافعهم الاستعمارية في وادينا السعيد على أنقاض المجد الفرثي الذي أدركه الموت بهدوء •

وفي هذه المرحلة التاريخية اعتاد عرب العراق أن يشوا اخوانهم عرب الحجاز والشام واليمن شجونهم في الأسواق الموسمية التي آزرها العصر الجاهلي •• فلا عجب اذا قذف العراقيون حديث السعالي في آذان اخوانهم الذين اجتمعوا ، من كل حدب وصوب ، للتبادل التجاري والثقافي ، ولا عجب - أيضا - اذا خلغ الخيال البدوي ، حينئذ ، التهاويل على السعلاة ليوزع نوادرها في الآفاق •

وبعد أن حرر العرب المسلمون عراقنا من الجشع الساساني عاش شعبنا تجربته الجديدة في ظل الاسلام ، فافتحم جميع الحقول التي ترامت فوقها المعرفة الانسانية •• ولكنه - الى جانب ذلك - وضع للسعلاة صيغة محدودة ، ومهد لها جميع السبل لكي تغزو نوادي المؤانسة والامتاع في المدن العراقية وفي الامصار التي خضعت ، بعد ذلك ، للنفوذ العباسي •

فالسعلاة ، عندهم ، كالقول والعفريت •• ذات نسب وهمي يربطها بالجن ، وأكد الدميري في كتابه (حياة الحيوان) على انها من سحرة الجن ، وهي ما يترامى للناس في النهار •• بينما ذهب المجلسي في كتابه (بحار الانوار) الى أن لها تليسا وتخيبلا • وأخبرنا المسعودي في كتابه (أخبار الزمان) بأنها تظفر بالرجل في الصحراء أو الخراب ، فتأخذ بيده وترقصه حتى يتحير ، ويسقط ، فتمص دمه •• ولكن القزويني في كتابه (عجائب

المخلوقات) يقول بأن السعلاة أكثر ما توجد في الغياض ، وربما اصطادها الذئب - ليلا - فأكلها ، فإذا افترسها ترفع صوتها قائلة : ادركوني ، فإن الذئب قد أكلني • وربما تقول : من يخلصني ومعني ألف دينار يأخذها • ولكن الناس يعرفون انه كلام السعلاة ، فلا يخلصها أحد ، فيأكلها الذئب • وفرض الأدب العربي على السعلاة حياة زوجية قد تتمرد - أحيانا - على العرف وقواعد الأحوال الشخصية ، فالجاحظ في كتابه (الحيوان) يزعم ان سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من بلاد السعالي حنّت وطارت اليهم ، بل يزعم ان ابنها هو عمرو بن يربوع • ونهج المسعودي في (أخبار الزمان) نفس الطريق ، فقال : ان صنفاً من السعالي يتصورون في صور النساء الحسان ، وقد يتزوجن برجال الانس •• ولكي يدعم زعمه ذهب الى ان سعيد بن جبير تزوج سعلاة وهو لا يدري ، فأقامت عنده وأنجبت له أولادا •• ولكنها فارقه بعد أن أوصته بهم خيراً •

وقد شاعت بين العرب أنباء الزواج القائم بين ابن آدم والسعلاة ، وأطلقوا على المتولد بينهما اسم « العملاق » •• والثعالبي في كتابه (فقه اللغة) نص على ذلك ، ولكن اللغوي ابن سيدة جعل للسعلاة زوجا من الحيوان ، وهو القطرب •• وهذا عند الديميري طائر يجول الليل كله لاينام ، وقيل انه كلب صغير •

ذلكم هو محتوى السعلاة في الخيال العربي ، وهو غني بالظلال والألوان •• ولكنه لم يقدم لنا وصفا عاما لهذا الكائن ، وقد أرهقني البحث

في النصوص القديمة عن بعض النقاط التفصيلية التي تستطيع أن تزودنا بالمظهر الوصفي للسعلوة ، وما وجدته عند ابن الوردي في كتابه (خريدة العجائب) لا يشبع ولا يعني ، فهذا الرجل تكلم على جزيرة السعالي ، فوصفها بأنها عظيمة ، وبها خلق كالنساء .. الا ان لهم أنيابا طوالا بادية ، وعيونهم كالبرق الخاطف ، ووجوههم كالأخشاب المحترقة ، ولباسهم من ورق الشجر .

وأياً كان الأمر ، فان ابن الوردي قد رسم للسعلوة لوحة مشرقة عكست ، بصدق ، الاطار الوصفي الذي نسجه العقل الشعبي في عصره .

اذن ، فالخيال العربي - منذ العصر الجاهلي حتى عشية الفتح المغولي - قد أمد السعلاة بالدم والحياة ، ومنحها عناصر القوة والخلود ، وغذاها بروح المغامرة ، وشجعها على أن تغادر محيطها الشعبي الى الوسط العلمي الذي أነع في العراق تحت الحكم العثماني .. فقد وجدنا بين علمائنا المؤرخين من ضرب المثل بشجاعة السعلوة وصبرها الجميل على احتمال المكروه .. وكأنها مخلوق مألوف ذو حظ من الواقع والوجود ، فالمؤرخ عبدالرحمن السويدي تحدث في كتابه (حديقة الزوراء) عن تمرد بعض القبائل العراقية على السلطة العثمانية سنة ١٧٣٩ ، وتحصنهم في مكان قرب شفائة ، وأخبرنا كيف عزم الوزير أحمد بن حسن باشا على تأديبهم .. وبعد أن وصف طبيعة المكان الذي دارت فوقه المعركة ، بالغ في مدح الباشا وفي قدرته على استسهال الصعب بقوله : « .. وأمامه الشهباء .. وهي البادية البيداء التي تفرع قلوب السعالي من المقام فيها » ..

فإذا مالت النخبة الصالحة من أعلام العراق الى الاعتراف بالسعلة
اعترافاً واقعياً ، فان جماهير الشعب كانت الى الهتاف بوجودها أميل ، وذلك
ان دل فعلي ان السعلة أوشكت أن تتجرد من ثوبها الفصيح لترتدي ثوب
السعلة الشعبي ، وعلى ان هذا الحيوان الغريب تناوله التطور من جذوره
فأصبح برمائياً يرتع في دجلة والفرات وبطائح الجنوب ، ويسكن المغاور
والزارات ، ويتهادى فوق الشواطئ والضفاف .. وقد كان ، قبل ذلك ،
برياً أليف صحار وصيدق مفازات •

لقد حفل العراق العثماني بأفاصيص شتى تناولت حياة السعلة الخاصة
والعامية .. ولكن مما يؤسف له ان هذا التراث القصصي لم يدون ، وانما
ظل حراً .. تصبه الافواه في الآذان ، وينحدر من الاجداد .. الى الأبنال
.. الى الأحفاد ، وتقاذفت به القرى والمدن والارياف العراقية بلا هوادة •
وتناقل الموصليون والبغاددة ، بصفة خاصة ، مغامرة « الجلاج »
التكريتي حسين النممن الذي تزوجته السعلة راغم الأنف .. ولا تزال
هذه المغامرة تعيش في بعض العقول حتى يومنا هذا ، ولكنها - بمرور الزمن -
قاربت أن تنطفئ ، ومن حسن الحظ ان الباحثة الانكليزية ليدي دراوير
عندما كانت في بغداد ، قبل أربعين سنة ، اجتمعت بقاصة بغدادية عجوز
ساعدتها على تدوين جميع الحكايات الشفاهية التي دارت مع السعلة
وحسين النممن ، وقد سجلتها - من بعد ذلك - في كتابها (حكايات شعبية
من العراق) ومنه علمت ان السيد النممن ورفاقه قد انحدروا بالكلك مع
دجلة .. وعندما ابتعدوا عن تكريت هبت ريح جنوبية ، فاضطرب النهر ،

ولم يعد الكلك قادراً على التقدم ، فأخذ ملاحوه يجرونه جراً •• وبعد ان مسهم التعب جلسوا يتناولون الطعام ، وبينما هم كذلك اذا بالسعلوة تخرج من الماء وتقفض على حسين النمنم ، فهرب رفاهه ، وانطلق بهم الكلك مع التيار •

أخذت السعلوة بجمال حسين النمنم ، فقادته الى عرينها في الشاطيء حيث بادلته الغرام ، ولحست ساقيه حتى أضحت هزيلا ، نحيفا ، وفقدت عظامه صلابتها وبدا كأنه « فتيلة شمعة » •• وفي اليوم الرابع شعر الزوجان بالجوع ، فمضت السعلوة الى السوق لجلب الطعام •

وتحفل الحكاية - بعد ذلك - بتفاصيل يعرفها جيلنا المعاصر جيدا ، وهي تتعلق بكيفية خلاص حسين النمنم من ربقة السعلوة • ولكن مما لا بد من تسجيله ، هنا ، هو ان السعلوة بعد أن يئست من عودة الزوج الهارب •• منحتة - للذكرى - هدية خارقة تجعل بصاقه وبصاق جميع أحفاده من الذكور والاناث ذا قدرة علاجية في شفاء جميع الالتهابات التي تصيب عيون الناس •

وقد شاع الاعتقاد في جهات تكريت بأن للسعلوة على شاطيء دجلة غابة معروفة باسم (زور السعلوة) وهو الذي اعتقلت فيه زوجها البأس لقضاء شهر العسل معه ، وانها - أيضا - أنجبت فيه طفلها الأول (ديب الليل) •• وكان للسعلوة على الجانب الآخر اخت لها خمسة أطفال ، هم : صيدة وصميذة وسماد البحر ومكة ومدينة • وذات ليلة حالف المرض ديب الليل ، فنادت السعلوة اختها •• تسألها الدواء بقولها :

داده •• داده ! عندج حوايج للّوايج ؟
ديب الليل ، طول الليل ، يعالج من أقاده •
فأجابتها اختها :

وحياة صيدة والصيدية •• وسماد البحر ،
ومكة ومدينة •• ما عندي غباره •
أما عندنا ، في بغداد ، فقد نشر العدد (٩١) من جريدة (المفيّد)
البغدادية ، في صعيدنا الشعبي ، صبيحة اليوم الأول من آب سنة ١٩٢٢ ،
هذا الخبر الطريف :

« روى لنا حضرة غريب افندي مدير حديثه انه رأى قرب ناعور
السيد لطوفي الآلوسي حيوانا في نهر الفرات يشبه البعير بقوائمه وشكله ،
والانسان بكفيه ووجهه ، له شعر أخضر اللون ، ورأس مستطيل أحمر
اللون ، وله ذنب يشبه ذنب السمكة • وقد قال الراوي ان كثيرا من
الأهلين قد شاهدوه أيضا ، وقد أطلقوا عليه الرصاص ، فلم يصيبوه ••
وكان يتسم عند اطلاق الرصاص عليه ، ويفوص في الماء على اثر الطلق ،
وأصبح هذا الحيوان حديث الخاص والعام في هاتيك الجهات » •

واحتدم جدل لاهب في البيوت والمقاهي حول طبيعة هذا الحيوان
الغريب ، وتهاوت الآراء على السعلوة ، فباتت حديث القوم في أزقة بغداد
ذات الفوانيس الكئيبة •• فهناك في أعماق محلة التكاثرية في كرخ بغداد ،
وفي نهاية « الدربونة » المشهورة باسم « جوّه الطاك » كانت « ريمة »
تمضغ ذكرياتها القديمة النابعة من أيام الوالي العثماني محمد نامق باشا ،

وتقص على صويجاتها كيف كانت السلوة تقف لدى باب دراها لتستعير
قدراً تطبخ فيه طعامها ، وكيف فتح « محمود » - ضيفهم تلك الليلة -
نيران بندقيته عليها ، وصرعها •• فتناثرت قلاذتها على الأرض • وعرضت
ريمة قلاذة السلوة على المستمعات ، فأمنَّ بما قالت ، وحدقن - بامعان -
في الألوان البهيجة المتألقة على أحجار تلك القلاذة •• وقد قيل لي ان
حائكاً في محلة سوق حمادة في بغداد يدعى « علي المنصور » شاهد ومحص
هذه القلاذة ، وانترع منها خرزتين سوداوين تميلان الى الزرقة واتلفهما
تخلصا من وبالهما الخرافي •

وفي هدأة من الليل ، تذكر الفتى الأديب أحمد حامد الصراف جدته
وهي تصف له السلوة عندما كان طفلاً فدخل في روعه انها امرأة طويلة
سوداء ، ذات شعر كثيف ، وثديين عظيمين كل منهما أكبر من الزق ،
وانها تسكن تحت الماء ، وتحوم حول الاجراف لتخطف رجلا تتخذه لها
بعلا •• وتذكر أيضا كيف ان احدى النساء حدثت جدته عن خروج
السلوة في پروانة (وهي بلدة على الفرات في أنحاء هيت) وقد اشتركت
في اللطم والنواح على رجل برواني كريم توفاه الله (•• ذلكم هو ما ذكره
الاستاذ الصراف في مجلة لغة العرب) •

وهكذا استقام للسلوة الكيان الواقعي في أواخر الاحتلال العثماني ،
فأصبحت في عقلنا الشعبي مخلوقا يألف الانهار والبساتين القريبة من انبياه
الجارية ، ويغطي جسمها شعر طويل ، ولها ثديان بارزان يتدليان حتى
الركبتين ، وعندما تريد أن ترضع أطفالها الذين تحملهم على ظهرها ترمي

تديها فوق كنفها .. فهي امرأة ، ولكن لها ذيل سمكة بدلا من ساقها ،
وهي مولعة باللحم البشري ولكنها تتخذ أزواجها من بني آدم ، وهي
- أخيرا - تموت كأى مخلوق ما عدا الملائكة .

وقد اعتاد البغادة أن يحذروا أطفالهم - ليلا - بقولهم :

« السلوة .. السلوة .. جتتك السلوة .. »

ويخلط الموصليون بينها وبين الدامية ، فيقولون : جت الدامية
(أي جاءت) ، ومرادهم بالدامية السلوة ، وطعامها دم بني آدم . وفي
جنوب العراق عُرف الدامي وأريد به الشى الغول .

واستكمالا للبحث أقول انني عندما كنت معلما في مدرسة النجابة
الابتدائية التي كانت تجاور مقبرة الشيخ معروف في كرخ بغداد .. حيث
لا يزال للسلوة مرتع .. أردت الوقوف على صورة بغدادية أصيلة لها
من خلال القصص الشعبي الذي يتداوله تلاميذنا الصغار نقلا عن جداتهم ،
وقد استمعت الى عشرين حكاية عن السلوة .. يوميء أكثرها ، من بعيد
أو من قريب ، الى جميع الارتسامات الخيالية التي تزاومت على تجسيد
السلوة في تراثنا الشعبي خلال العصور .

فمن أفواه رواتنا الاطفال التقطت ان السلوة كذابة ، يثرها اللحم
الانساني ، وتقوى على نضال الأسد ، وتهيم بمطاردة الديك لتفترسه ..
ولكنها تخشى ابن آوى والجرذي .. وانها سوداء اللون ، تشخذ أسنانها
ليلا ، وتمشط شعرها نهارا ، وتربي الاطفال ، وتخدع الرعاة ، وتضيف
الغرباء بكرم .. وان المرأة البشرية تستطيع أن تلد سلوة . وعند فريق

من التلاميذ ان للسعلوة أخاً يدعى (محمداً) وان لها ولدين هما جنجل
وجنيجل • وعند فريق آخر ان لها ولدا واحدا يسمى « الصلايح » ••
وقد أجمع أرباب الحكايات على انها تستطيع أن تقتحم مساكن العجن ،
وأن تمسح نفسها سخلة ، وتسخر الطبيعة في جلب الرياح ، وان لها
قروناً من خشب ، وان أي شخص يستطيع أن يرى السعلوة عندما يأكل
سبع تمرات ثم يرمي نواها في الشط ، وان كلمة « الله أكبر » قيمة
بالقضاء عليها •

ومهما يكن من شيء ، فان السعلوة قد حققت رسالتها في دنيا
الميثولوجيا العراقية ، بعد أن زرعت الارهاب في مدننا وقرانا رديحاً من
الزمن •• وألهمت العقل الشعبي العراقي يوم كان نهباً للجهل والظلام ••
أما اليوم ، فقد أصبحت من أساطير الأولين ، ومن الخرافات البائدة التي
تقصها عجائزنا حول موافد الشتاء •••

تعويذة اندلسية

حين وضعت دراستي عن الزوج المخذول في ليلة (الدخلة) بعنوان (الزوج المربوط)^(١) كان من داوعي أسفي ضياع الجذر التاريخي للفعل (ربط) الذي اشتق منه أطباء العرب القدامى ومؤلفو الكشاكيل ومجاميع الحكمة كلمة (مربوط) الناظرة الى من كبا الجواد به ليلة الدخلة ... وقد أزعجني كثيرا أن أجد معجمات اللغة العربية وقواميسها خلوا من المفهوم الشعبي الذي يستوعبه (المربوط) في المحيط اللغوي ، فحاولت ، بجهد وعنت ، أن أعثر ولو على شاهد شعري واحد في المظان الادبية العربية القديمة يعزز واقع المربوط في فترة ما من فترات الزمن .. ولكنني لم أقع

(١) طبع هذا الكتاب ببغداد سنة ١٩٦٤ في مطبعة أسعد .

على ما يحقق امنيتي ، فبت شاعرا بفداحة المصاب وهول الخسار ، غير انني
 - مع ذلك - استأنفت المعركة مع المصادر العربية بحثا عما كنت أرجو
 العثور عليه ، فقررت عيني اذ أسعفني كتاب (الكتيبة الكامنة في من لقيناه
 بالاندلس من شعراء المائة الثامنة) بالشاهد الشعري الذي أكد وجود
 المربوط في اسبانيا الاسلامية خلال القرن الثامن الهجري (القرن الرابع
 عشر الميلادي) متواريا في قصيدة تتألف من ثلاثة عشر بيتا ، نسبها المؤرخ
 الاديب لسان الدين بن الخطيب الى القاضي أبي الحسن النباهي صاحب
 (المرقبة العليا في تاريخ قضاة الاندلس) تشفيا به ، وتأكيذا للبغضاء التي
 بزغت بينهما بعد الفة ووداد .. فلقد أنى ابن الخطيب على النباهي في
 كتابه (الاحاطة في أخبار غرناطة) حيث قال : « هو عين الأعيان بمالقة ،
 المخصوص برسم التجلة والقيام بالعقد والحل) .. وحين اكفهر الجو
 بينهما ذكره في (الكتيبة الكامنة) بما يشين ويجرح ، ولم يقنعه ذلك حتى
 ألف فيه كتابا بعنوان (خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن) ،
 فكان ذلك ذريعة تشبث بها النباهي متعاوناً مع ابن زمرك في مصرع
 لسان الدين •

ان القاضي النباهي ، في عقيدة ابن الخطيب ، قرد شارذ من قروذ
 اليمن ، وملهاة تشغل بها الصبيان اذا بكت .. وهو مما يعاب به الزين كمي
 لا تصيبه العين • وكان يعلق على بيته تيممة ، ويتحرف ببيع الحروز ،
 ويدعي انه يعقد اللسان •

ويحدثنا لسان الدين قائلا : « وأنشد - أي القاضي النباهي -

بمحضري قصيدة غريبة أولها :

خليلي مرّ أبي على أم مآرب ولا تعذلاني انني غير آيب !

فقلت لبعض أصحابنا : ضاقت على الفقيه أبي الحسن أرض الحجاز ،
فذهب الى أرض مآرب • فقال : هو ، كما تعرف ، يحاول الغزائم ،
ويستنزل الجنون •• وخاطب خليله من الجن ليعيد له حديث تميم الداري
رضي الله عنه •

وما بث ابن الخطيب واذا لم يكن خافيا على صاحبه النباهي •• وهذا
هو في إحدى رسائله الى لسان الدين يؤكد عقيدته بجدوى الرقية قائلا :
« ••• مذهبي غير مذهبكم ، وعندني ما ليس عندكم ، رأيكم تكثر في
مخاطباتكم من لفظ الرقية في معرض الإنكار لوجود نفعها ، والرمي بالمنقصة
والحرق لاستعملها » •

ومن هنا يرتفع العجب اذا وجدنا لسان الدين ينسب الى القاضي النباهي
أحدى القصائد الفولكلورية التي تدعو الى التأمل والاناة في تحديد عناصرها •
ولأدع ، الآن ، فقيه الاندلس ينشد هذه القصيدة :

اعوذ من يمسي عليه معلقاً
من الجن والعمار أو ام ملدم
ومن ام صبيان وسحر وبغضة
ومن ساكن الحمام والفرن والرحي
ومن غولة في القفر أو صوت هاتف
حجابي بطه أو ياسين والخمس
وتلك هي الحمى ، ووسوسة النفس
ومن ربط ذي عرس تكلف في عرس
ومن ساكني قبر القليل من الانس
ومن وجع في الرأس يخرج عن حس

بهرشاهيا هرشاهيا وشراهيا وباسم عظيم جاء في آية الكرسي
 فخذنه على طهر ولا تدخلن به خلاءك ، واسم الله نزه عن الرجس
 ونحه ان جامعت زوجك يا أخي الى أن تجيد الطهر من ذلك اللبس
 وجلده واغسله بماء وحل في به ما شئت من زعفران ومن ورس
 ونثر به واشرب لكل أذاية ترى النفع حقاً حين تصبح أو تمسي
 وقل رحم الله الفقيه فذكره بخير له خير من اجرة ذي الطرس
 ووالله يا انسان لولا وصية لشيخ نصيح كان من خيرة الجنس
 بأن لا يرى أجراً له غير درهم لبيع بألف وهو يشكو من البخس

ولهذه القصيدة ، بازاء النقد الفولكلوري ، اطار غيبي قوامه :
 (١) طه (٢) ياسين (٣) الخمس (٤) الجن (٥) العمار (٦) ام ملدم
 (٧) وسوسة النفس (٨) ام الصبيان (٩) السحر (١٠) البغضة (١١) الربط
 (١٢) سكان الحمام والفرن والرحى (١٣) ساكن قبر القليل (١٤) الغول
 (١٥) الهاتف (١٦) الصداع (١٧) هرشاهيا وشراهيا (١٨) اسم الله الاعظم
 في آية الكرسي •

ومحتوى قصيدة النباهي •• هو ان الشاعر يكره (زيداً) من الناس ،
 فأراد أن يهجوّه ، وأن يذمه أفدع ذم •• فجعله موثلاً للشتر ، ومستودعاً
 للوباء • ولكي يكفى الناس أحابله وضع تعويذة وقائية تعصم من يحملها
 من أذاه • وهذه التعويذة يسترها حجاب من الجلد ، وفيها عاذ النباهي
 بطله ويس والخمس •

وطه انما هي السورة العشرون من سور القرآن الكريم ، وهي سورة مكية آياتها خمس وثلاثون ومائة ، ويلاذ بها كما تشير بعض الكتب المصنفة في خواص القرآن لانطواء الآية (١١١) منها على اسم الله الاعظم ، في قوله تعالى : (وعنت الوجوه للحي القيوم) .. وقد تنفع هذه السورة في توثيق أواصر المحبة بين الناس متعاونة مع سورة (يس) وكلمة (اهايا سراهايا) .



و (يس) هي السورة السادسة والثلاثون ، وهي مكية آياتها ثلاث وثمانون .. وحام فوقها اجماع على انها مجربة في الخير ، وذهب علماء الاوفاق الى أن فيها عشرين بركة ، ومن خواصها القضاء على الحمى اذا قرئت سبع مرات على خيط عُنُقِد سبع عقد ، وعلق على عضد المحموم الأيمن .



و (الخمس) .. كلمة مبهمة ، غامضة .. لا أدري ماذا أراد بها القاضي النباهي . فالشيخ عبدالقادر الجيلاني يرى الخمس مائلة في احرف كلمة (رمضان) التي يدل راؤها على رضوان الله ، وميمها على محابة الله ، وضادها على ضمان الله ، وألفها على الفة الله ، ونونها على نور الله . وفي شهر رمضان - كما هو معروف - تصفد مردة الشيطان .

ويشير المرحوم أحمد أمين والاستاذ عدلي طاهر نور ، في هذا الصدد ، الى (الخمسة والخميسة) ، وهي عبارة عن كف فيها خمسة

أصابع ، وتصنع - عادة - من عاج أو من فضة أو من نحاس مطلي ••
 ويزعمون انها تستلفت النظر ، فتقع عين الحسود عليها ، فلا يؤذى الشيء
 الذي وضعت عليه •• ويعلقونها على كل من يخشون حسده خصوصاً اذا
 كان جديداً •• وقد تؤدى (الخمسة) وظيفتها برفع اليد الى وجه الحاسد ،
 أو بصنع أحجية على شكل اليد لذلك الغرض ••
 على اني أميل مع الذين ذهبوا الى وجود خمس آيات في القرآن
 الكريم تحفظ من جميع الآفات ، واعتقد انها هي التي استهدفها النبهي
 في قصيدته •• والى هذه الآيات الخمس أشار الشيخ أحمد البوني بقوله :
 خمسون قافاً في الكتاب العالي في خمس آيات بلا محال
 وهي :

(١) ألم تر الى المأ من بني اسرائيل •• الخ (سورة البقرة) ••

(٢) لقد سمع الله قول الذين قالوا ••• الخ (آل عمران) ••

(٣) ألم تر الى الذين قيل لهم ••• الخ (النساء) ••

(٤) واتل عليهم نبأ ابني آدم •• الخ (المائدة) ••

(٥) قل من رب السموات والارض •• الخ (الرعد) ••

وذكر سليمان بن مقاتل ان هذه الآيات ما قرئت في وجه عدو الا

غلب وقهر ••

وبما لسورتى طه ويس والآيات الخمس من خواص عوذ النبهي
 حامل حجابه •• من الجن والعمار وام ملدم والوسوسة وام الصبيان

والسحر والبغضة والربط والاتف الحمام والفرن والرحى ومن سكن قبر
القتيل والغول والهاتف والصداع •

والجن أرواح غير منظورة ، وفي عقيدة العرب انهم أرواح غير
خالصة ، لان باستطاعتهم أن يتجسّموا متى شاءوا ، وهم - في خصائصهم
العامة - طبقة من الكائنات تتوسط بين الملائكة والانس •• انهم خلقوا من
نار السموم أو من مارج من نار ، ويستطيعون أن يتشكّلوا بأشكال الاناس
والبهائم ويختفوا عن الانظار كما يريدون، وهم يشربون ويأكلون ويتناسلون
كالبشر أو معهم •• ومنهم من اعتق الاسلام ، وكفارهم شياطين يرأسهم
ابليس • وهم غالباً ما يظهرّون في الليالي على شكل قطط وكلاب سود •
ويقال انهم يسجنون في أيام شهر رمضان •

وذهب بعض المعينين بشؤون الجن الى أنهم أجسام هوائية لها عقول
وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة • وهم عند الحنابلة أجسام مؤلفة وأشخاص
مثلة ، ويجوز أن تكون كثيفة •• بينما يراهم المعتزلة أجساماً رقيقة
ولرقتهم لا يرون •

ويدعى الجنّي الذي يسكن مع الناس عامراً ، والذي يعرض للصبيان
روحا ، والذي خبث وتعرم شيطاناً ، والذي يكون اعنى الشياطين وأغواهم
مارداً •• فاذا زاد على ذلك فهو عفريت ، فاذا ظهر ونطق وأتقى وصار
خيراً كله فهو ملك •

وفي مذهب الشافعي ان ممن ترد شهادته ولا تسلم له عدالته من يزعم

انه يرى الجن عياناً ، ويدعى ان له منهم اخواناً •
ولا يستطيع الجنى قتل أخيه الجنى أو حبسه ، وللقرآن والذكر
والرقى تأثير بالغ في أبدانهم •• ووجدت من بين العلماء من يؤكد ان
القرآن يذيب الجنى •• ومن هنا كان شيطان المؤمن مهزولاً •

وللجنى قدرة على شق الحائط واختراقه بلا مشقة ، ولذلك بات
صعباً التحرز منه •• ولكن الاستعاذة بالله منه أو الوضوء أو الصلاة أو
قراءة المعوذتين أو آية الكرسي أو سورة البقرة •• أو الاستعاذة بكلمة
(قلنهود) •• كل ذلك ، بعضاً أو كلاً ، يقهر الجنى ويكرهه على الفرار •

والعمار ، ومفردهم عامر ، هم الذين آثروا السكنى مع الناس •
وروى بدرالدين الشبلي في كتابه (آكام المرجان) نقلاً عن ابن عقيل انه
كان في محلة المظفرية ببغداد دار كلما سكنها أناس أصبحوا موتى • وذكر
الامام الغزالي عن ابن قتيبة قال : حدثني شيخ من بني كعب ، قال : دخلت
البصرة ، فوجدت داراً قد نسج عليها العنكبوت ، فقلت : ما بال هذه
الدار ؟ •• قالوا : هي معمورة ! فقلت لمالكها : أتكري دارك ؟ • فقال :
انح بنفسك فان فيها عفرتياً قد اتخذها منزلاً ، يهلك كل من أتى اليها •
ولكني أصررت على اكترائها ، فاكتريتها ، وكافحت العامر بأية الكرسي •
وتزعم العامة ان الله قد ملك الجن والشياطين والعمار أن يتحولوا في
أي صورة شاءوا •

والعامر حريص على اجابة « العزيمة » ، ويقول الناس فلان مخدوم

يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والارواح والعمار أجابوه وأطاعوه •
ولكعب الارنب أهمية كبيرة في تطهير المكان من العامر ، واعتقد
عرب الجاهلية أن تعليقه يهزم عمار الحي وغول القفر • ويقال عند
صرفهم : يا عمار هذا المكان انصرفوا الى قاع الجبل المجوف •• والا
ارسل عليكم شواظ من نار ونحاس !!

وقد يعمد أهل التعزيم الى تخويف العامر بيت من الشعر ، كما جاء
في قولهم :

بايارش بهيارش وهيارش جلّ المهيمن منزل القرآن
يا عامراً هيا الرحيل باذن من انشاك يا هذا من النيران

اما ام ملدم ، فهي الحمى •• التي يعتقد العوام انها نوع من الجن ،
تلبس الانسان ، فيمرض بها • وقد جاء في بعض المظان انها من فيح جهنم •
ويستطيع المرء ان يسلطها على خصمه باحدى الكلمات السحرية ، كما لو
قيل : سلطت الحمى بقدرتك يا شيتي (••• أو يا هولاً طاهوس) على
جسد فلان بن فلانة !

وللتخلص منها يكتب النص الآتي ، ويعلق على عضد المحموم :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، براءة من العزيز الحكيم •• الى ام ملدم التي
تأكل اللحم وتشرب الدم وتهشم العظم •

اما بعد ، يا ام ملدم ، فان كنت مؤمنة فبحق محمد ، وان كنت يهودية

فبحق موسى الكليم ، وان كنت نصرانية فبحق المسيح .. لا أكلت لعلان
ابن فلانة لحمًا ، ولا شربت له دمًا ، ولا هسمنت له عظماً . وأن تتحولني
عنه الى من اتخذ مع الرحمن آلهًا آخر .. لا اله الا الله العزيز الحكيم ،
والا فانت بريئة من الله ، والله بريء منك » .

وهذا النداء المشفوع بالتهديد قد يدخل في باب الرسائل الوقائية التي
لا تخلو من خيال أخاذ ، ويستطيع هذا الادب الجديد أن يشق طريقه
ليتبوأ مكانه بين أروع الرسائل المعروفة في تاريخ الادب العربي .

ومما تضيق به السيدة ام ملام من رسائل الادب الفولكلوري قول
القائلين : « ... لا تسلط على فلان بن فلانة شيئاً مما خلقت بسوء ، وارحم
جلده الرقيق وعظمه الدقيق من فورة الحريق .. اخرجني يا ام ملام ،
يا آكلة اللحم وشاربة الدم ، حرها وبردها من جهنم .. ان كنت آمنت
بالله الاعظم لا تأكلي لفلان بن فلانة لحمًا ، ولا تمصي له دمًا ، ولا تنهكي
له عظماً ، ولا تثيري عليه غمًا ، ولا تهيجي عليه صداداً ، وانتقلي من شعره
وبشرته ولحمه ودمه الى من زعم ان مع الله الهًا آخر » .

وذكرت كتب السحر الابيض النافع صيغة اخرى لاحدى رسائل
المحمومين .. هذا نصها : « اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق
من شدة الحريق .. يا ام ملام ! .. ان كنت آمنت بالله العظيم الأعظم ،
فلا تصدعي الرأس (.. وفي رواية : لا تؤذي الرأس) ، ولا تفسدي
الفم (وفي رواية : لا تضري) ، ولا تأكلي اللحم ، ولا تشربي الدم ..

وتحولي عن حامل هذا الكتاب (وفي رواية : وتحولي عني) الى من جعل
مع الله (وفي رواية : اتخذ) الهاً آخر •
ووردت في المظان السحرية رقية للحمي ، زعموا انها مستقاة من
خزانة السماء السابعة • وتداوي العامة الحمى أحياناً بأن يلصقوا ذبابة
من ذباب الخيل بقطعة عجين ، ويلزمون المريض بابتلاعها •

اما الوسوسة فهي الحركة والصوت الخفي ، وقد تكون هذياناً يؤكد
الموسوس عند من يلقيه اليه •• ويحتمل أن تكون الوسوسة كلاماً خفياً
يدرکه القلب ، ويمكن ان تكون هذا الذي يقع عند الفكر ويكون
منه مس •

قال أحدهم : كنت أجد من الوسواس شيئاً ، فسألت المعلى بن زياد
فقال : يا ابن أخي انما مثل ذلك مثل اللصوص يمرون بالبيت ، فان كان
فيه خير نالوه وان لم يكن فيه خير طووا عنه •

وزعم بعضهم ان الوسواس هو الشيطان في صورة خنزير معلق في
قلب ابن آدم يجري منه مجرى الدم • وقد كوفح الوسواس بقراءة
المعوذتين أو بآية الكرسي •

اما ام الصبيان ، فهي ، في الطب العربي القديم ، مرض يعتري
الاطفال ، سببه فرط الرطوبة المزاجية واللبنية وضعف الحرارة ، فتصعد
الرطوبة بخاراً رطباً يضرب الرأس ، فيخمره ، ثم يسيل الصاعد ، فيجبس

النفس ولا فرق بينه وبين الصرع إلاّ عدم الزبد على الفم .. هذا ما ذكره داود الانطاكي في (تذكرة اولي الالباب) ، ويقول الرازي : انما هي الصرع الذي يعرض مع حمى حادة يابسة ، وزعم انها هي التي سماها ابن سينا بريح الصبيان ، وسماها غيره بام الشياطين ، وقيل هو الصرع الصفراوي .

وسبب ام الصبيان في الطب الشعبي نظرة من معيان ، ولا سيما في الاماكن المألوفة للجن كالحمامات . وهي في الفولكلور العراقي المعاصر اثني مسالمة لا تكدر صفواً ، وانما هي تتطلع الى الحب والسلام ، وهي - أبداً - تمشي بالصلح بين المتزوجين والعشاق .. ولكن المشهور عنها انها تخنق الاطفال أو تسبي عقولهم .

وورد في السنة استحباب الاكثار من الدواجن في البيوت لتشاغل بها الشياطين عن الصبيان . وذهب الدميري الى ان الناس اختلفوا في ام الصبيان ، فقيل هي البومة ، وقيل هي التابعة من الجن .

والتابعة ، في الاطار الغيبي ، هي ام الصبيان التي تهدم الدور والقصور ، وتقلل الرزق ليلاً ونهاراً وتزرع الشر بلا حساب .. وقد اعترفت لسليمان بن داود (ع) بأنها من عمار القبور ، وانها منبع كل داء وضرر ، وهي التي تسبب البلاء العظيم والفقر وخسارة التاجر وعسر الولادة .. وأحياناً تدق عظام الاطفال وتأكل لحمهم وتشرب دمهم ، وتسكن الجسد البشري .

لقد أقبلت يوما على سليمان (ع) فرآها عجوزاً من الجن أنيابها

كأنياب الفيل ، وشعرها كسعف النخيل ، يخرج من فيها ومنخرها الدخان ،
ولها صوت كالرعد القاصف ، ونظرة كالبرق الخاطف .. وهي ذات
منطق شنيع *

قالت لسليمان (ع) : اسمي الهمة بنت الهمة ، وكنيتي ام الصبيان ..
اسكن الهواء بين السماء والارض *

وهي تسلط على اراذل النساء والرجال ، وعلى من لم يكن معه آية
من كتاب الله ، أو من لم يحمل خاتم سليمان ، وتعوي عواء الذئاب ،
وتصفر صفير الثعبان ، وتزأر زئير النمر ، ومن اسمائها المعروفة في كتب
الغزائم : قلندش ومقاوش ويلوش وقرقوش وعمروش وايلاقوش
وقمطنوش ومقرقوش *

ولها أعوان من العفاريت يسكنون البحر والرمال والكهوف والغيظان
والاودية والطرقات والقفار والهواء *

وأخذ عليها سليمان بن داود (ع) سبعة عهود لسلامة الناس منها *
وقد كوفحت بخصائص قَسَمَ لسليمان ذكر السيوطي نصه الكامل في
كتابه (الرحمة في الطب والحكمة) : ووردت في بعض المظان السحرية
رقية تعوذ الناس منها بالعين التي لا تنام ، والركن والمقام ، والملك العلام ،
والعرش الذي لا يزول ، والكرسي الذي لا يحول ، والثمانية الذين
يحملون العرش *



اما السحر فهو تسخير القوى الخفية في دفع الضرر وجلب النفع

أو العكس ، وهو يحدث عجايبه بفعل الملائكة والجن وأسرار بعض أسماء الله ووسائل أخرى خارقة للعادة كالادعية التي تكفل بتحقيق الرغبة •

والطلسم هو العمل الذي يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان ، أو بناء على أمره ، على الورق أو القماش أو المعدن أو الخشب أو الاحجار الكريمة أو المعجون (كالشمع والطين) بشكل مخصوص وبحجم وصورة معينة لضرر نفر أو أكثر في شخصه أو في ما يملكه • ويحوي الطلسم كلمات ورسوما ونقوشا مكتوبة أو محفورة او بارزة ملونة وغير ملونة وكلها في غاية الدقة والصعوبة •

ويأمل الساحر من (الكلمة) السحرية أن تناوي ابلis وتقاوم كيد السحرة وتزهق الباطل •• أو يرجو منها النقيض •

ان الاعمال السحرية النافعة التي تشبث بالخير وتساجل الشر ، وهي ما تسمى بالسحر الابيض قد استقامت مع الحس الديني المعتدل والمتزمت ، ولذلك بات مألوفاً أن ينصرف بعض رجال الدين ، وطائفة كبيرة من أتباع الطرق الصوفية الى التكسب بهذا الضرب من السحر ، والى ممارسته علناً دون خوف من رقيب أو رادع •

والسحر الذي أشار اليه القاضي النباهي في قصيدته انما هو السحر الاسود الذي يستخدم في اذى الناس •

أما البغضة فهي نموذج بارز من نماذج السحر الاسود ، يحققه الساحر لتمكين العداوة بين الاصدقاء أو لتفريق المجتمعين على فساد أو معصية ، كما يحققه لتأكيد التباغض والقطيعة والتهاجر بين المتزوجين •

وقد تبطل البغضة بكتابة بعض الاسماء الوهمية بمسك وزعفران على ورقة تدفن في قبر يهودي أو مجوسي • أو بالاستفادة من أدمغة الحمير والخيل ، ودماء العنز والهدهد وبعر الطيبي ، أو بالاستعانة بابي مرة (وهو ابليس) أو ما يدعونه (امهاكال) و (شهردون) •

ولتحقيق البغضة يستخدم الساحر (الترنجيات) المنسوبة الى الزهرة أو المريخ أو المشتري أو زحل أو عطارد •• مع استعمال أدمغة الغراب الاسود والجاموس والهدهد ودماء الحمار والقرود والخنزير ، وشحم القرود والارنب والنمر ، وعود اللبان ، وأتياب السنور الاسود ، والعذرة النائفة ، ومخاط الشيطان ، وشعر الخنزير •

كما تتحقق البغضة بطلسم ، وفق وقت مخصوص ، ومع التبخير بالسندروس • وفي كتاب (الدر المنظوم) احدى صيغ هذا الطلسم •



اما الربط فهو عمل سحري يعمله (الشيخ) ويتلو عليه عزائم يزعم الناس انه يعوق الرجل عن اتيان الاعمال الجنسية • وفي المعتقد الشعبي ان الانسان يستطيع بالدعاء أو بالرقية أو سواها أن يسخر قوة غير منظورة في ربط أعدائه •

وللمربوط ، خلال الجذب الوقي الطاريء ، أخيلة ينسجها الوهم تنفيذاً لارادة القوى الماورائية •• فقد يشعر هذا الرجل التاعس انه غريق في جحيم من الاهوال ، أو انه يعيش على هامش الوصال الجنسي • واقتصر ربط الرجل ، بصورة شاملة ، على تجريده من مظاهر

الرجولة أمام عروسه في ليلة (الدخلة) • ودفعاً للاضرار الناجمة عنه اتخذ العقل الشعبي اجراءات وقائية ضده ، فعاد بالحرص ليؤدي وظيفة التأمين على رجولة العريس في اليوم والغد •
وتحاشياً للاطالة والاسهاب في هذا الموضوع أحيل القاريء الى كتابي (الزوج المربوط) حيث سيجد فيه ما ينقع غلته •

اما سكان الحمام والفرن والرحى ، فهم الجن •• لانهم غالباً ما يوجدون في مواضع القمامات والقاذورات كالحمامات والمراحيض والمزابل •• وهم وان كان جبل قاف مسكنهم الرئيسي ولكن بعضهم فضلوا السكنى في الانهار والخرائب والآبار والافران والرحى •• وهؤلاء أو بعض هؤلاء أصبحوا خداماً للقسَم المعروف بـ « قسم العوالم الارضية » الذي يقرأه الساحر لتحقيق مراده •

اما ساكن قبر القليل ، فهو (الهامة) ، وكانت العرب تعتقد ان روح القليل الذي لم يؤخذ بثأره تصير هامة ، فترقو عند قبره ، وتقول : « استقوني ، استقوني من دم قاتلي » ، فاذا اخذ بثأره طارت •
وزعم بعضهم ان عظام الميت (أو روحه) هي التي تصير هامة •
وذهب بعضهم الى أن معنى الهامة طير ليلي أو طائر صغير يألف المقابر •
وقيل ان الصدى طائر يخرج من رأس المقتول اذا بلي • ونهى الرسول (ص) عن الاعتقاد بهذه الاساطير •

ويتصور بعض العرب النفس طائرا ينسبط في الجسم ، فاذا مات أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشا يصدح على قبره • وغالبا ما يوجد في الديار المعطلة وحيث القبور ومصارع القتلى •

وسكنت الجن المقابر ، وهي من المواضع الرئيسية المهمة المأهولة بهم ، ولذلك يخشى كثير من الناس ارتيادها ليلا •• متوهمين ان الهامة ترفرف على قبر القتيل •

ويزعمون في بعض البيوت انها مسكونة ، ولا سيما اذا حدثت في البيت حادثة قتل ، فهم - أحيانا - يسمعون أننا •

وذكر الامام الياضي عن بعض الاولياء من أهل مدينة زبيد باليمن انه قال : خرجت مع جنازة قبيل المغرب ، فلما دفن الميت ورجع الناس ، وجاء الليل •• رأيت شخصا في النوم على صورة كلب دخل القبر ، ثم خرج منه ثعبان أعور العين اليمنى ، فقلت له : ما قصتك ؟ فقال لي : اردت الميت بسوء ، فمنعتني سورة يس ، وأخرجت عيني •

وقد يطيب للساحرة أن تلازم قبر الميت القليل لاستخراج مخه الذي تدسه في طعام من تريد به جنونا •

اما الغول فهو حيوان خيالي حامت حوله أساطير كثيرة ، فيقال اذا كان مع الانسان سلاح وضربه به فانه يقتله ، فاذا ضربه مرة ثانية يحيا •• ولذلك اذا كان الضارب عارفا لا يثني الضرب •

وعيون الغول مشقوقة بالطول ، واذا حدثت في انسان خرج منها

الشرر •

قال الاصمعي : خرج رجل بحضرموت ، ففر من الغول - وهي

ساحرة الجن - فلما خاف أن ترهقه دخل في بئر ، فبالت عليه من فم

البئر ، فتمعط شعره ولم يبق عليه شيء •

وذهب بعض الاخباريين الى أن الغول شيء يخوف به ، ولا وجود

له ، كما قال الشاعر :

فعلمت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

ولذلك سموا الغول خيتعورا •• أي شيء لا يدوم على حال ويضمحل

كالسراب •

وذكر القزويني ان الغول حيوان شاذ مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وانه

لما خرج مفرداً لم يستأنس ، وتوحش وطلب القفار •

وقال بعضهم : ان الشياطين اذا أرادوا استراق السمع تصيهم الشهب ،

فمنهم من احترق ، ومنهم من وقع في البحر فصار تمساحا ، ومنهم من وقع

في البر فصار غولا •

وقال الجاحظ : الغول تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها الا

رجليها ، فلا بد من ان تكونا رجلي حمار •

ويذكرون ان الشاعر الجاهلي تأبط شرا رفع كبشا تحت ابطه ،

واخذه معه الى الحي ، فصار يبول عليه في الطريق حتى اذا قرب من

مكانه ثقل عليه ، فرمى به •• فاذا هو الغول •

ويقال : ان الغيلان طبقة من الشياطين (أو اناث الشياطين) يظهرون في اشكال الحيوانات والوحوش ويسكنون المقابر ، ويأكلون الجثث ، ويقتلون من يوقعه سوء الحظ في طريقهم ويلتهمونه •

وجاء في الاخبار : ان الغول توقد بالليل النيران للعبث والتخيل وصدّ المسافرين عن سبيلهم ، فاذا قصدها أحدهم أضلته وأهلكته •

ويقول السعودي : وللعرب في الغيلان أخبار طريفة ، فيزعمون ان الغول تتغول (تتلون) لهم في الخلوات وتظهر لخواصهم في أنواع الصور ، فيخاطبونها ، وربما ضيفوها •



اما الهاتف فهو صوت صادر من مصدر غير مرئي ، وقد ورد في القصص الجاهلي بكثرة ، وهو تكهن - في الغالب - اما لتحذير من القيام بعمل ما ، واما لارشاد الى عمل • ومن المعروف ان الجن تقوم بأعمالها بشكل غير منظور ، وهي قد تحذر الانسان أو ترشده بصوت مسموع يقال له الهاتف • ويقول الجاحظ ان الاعراب واشباه الاعراب لا يتحاشون من الايمان بالهاتف •

وذهب السعودي الى أن الناس تنازعوا في الهواتف والجان ، فذكر فريق منهم ان ما تذكره العرب من ذلك يعرض لها من قبل التوحد في القفار والتفرد في الاودية والسلوك في المهامه الموحشة •• لان الانسان اذا صار في مثل هذه الاماكن يوجد له تفكير ووجل وجبن ، واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاهام المؤذية والسوداوية الفاسدة ، فصورت له

الأشخاص ، واوهتمته المحال بنحو ما يعرض لذي الوسواس ، فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له •

اما الصداع فهو مرض طاريء معروف ، يزول بتناول قرص أو قرصين من الاسيرو •• ولكنه في كتب الحكمة القديمة عرق نعار •
وعالجه الطب الشعبي برسم صليب بالريق على صدغ المصدوع أو بقول : بسم الله الكبير نعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار •

اما البيت الذي اودع فيه القاضي النباهي (أهيا شراها) •• هذه الكلمة الغامضة ، فهو :

بهرشاهيا هرشاهيا وشراها وباسم عظيم جاء في آية الكرسي والكلمة هنا مصحفة لضرورة من ضرورات الشعر ، والا فان (هرشاهيا وشراها) قد وردت في جميع المظان السحرية بصيغة (اهيا شراها) ، وهي عند الفيروز ابادي في قاموسه (أهيا وأشراها) واعتبرها كلمة يونانية تؤدي معنى الازلي الذي لم يزل ، وقال ان الناس يغلطون ويقولون (أهيا شراها) وهو خطأ على ما يزعمه أحبار اليهود • وقد علق الاستاذ طاهر أحمد الزاوي مرتب القاموس على قول الفيروز ابادي قائلا : الصواب انها عبرانية •

وكلمة (اهيا شراها) جزء من عبارة كاملة معروفة في الأوساط

السحرية على هذا الشكل (اها شراها ادوناي اصابؤت آل شداي) .
وذكرت (اها شراها) في القصيدة الجدلجوتية هكذا :

باهيا شراها ادوناي عزنا بال باهيال اموري تيسرت°
وأوصى الشيخ أحمد البوني الناس بذكر هذا البيت عقب كل صلاة سبع
مرات ، فان في ذلك عزاً وهيبة وقبولاً .

ان انصار الحرف والكلمة يتوسلون انقادا لضحايا الوباء الشيطاني
بالكائنات الاسطورية والملائكة .. وخلال منظومات السحر كانت تسري
فكرة كبيرة توميء الى أن (الكلمة) هي القوة الاولى التي يستطيع بها
الانسان أن يقهر القوى المناهضة له .. فما دام السحر حليف الدين
البدائي أصبحت (الكلمة) عتاده الفعال .. ومن هنا رسخ المعتقد على أن
العزائم قادرة على اذلال العمالقة الغيبين وتسخيرهم في خدمة الانسان .
فلا غرو اذا نودي (اها شراها) في معرض المحنة الطارئة ليحطم الأغلال ،
أو ليذ بالتمايم لمناجزة العدو المجهول .

واستغرقت هذه الكلمة جميع العزائم التي تستخدم في جلب النفع
وتوثيق عرى الغرام والمحبة ، كما في هذه العزيمة : « .. هيجوا فلاناً بن
فلانة على محبة فلانة بنت فلانة حبا شديدا وعشقا تاما باها شراها ادوناي
اصباؤت آل شداي » .. أو كما في هذه الصيغة : « حب اللهم يا رب
فلانا بن فلانة الى فلانة بنت فلانة ، بحق هذه الاسماء : يا هي ياهي انوه
انوه وهييه وهو يهو يهو بهيه باها شراها ادوناي اصابؤت سبوحا سبوحا

سبوحا « أو كما في هذه العزيمة : « عزمت عليكم يا رؤوس التوابع بحق
 شمعون وسمعون ويسنون اهيا شراها صروحيا عططال .. الا ما اجبتم
 وسمعتم واطعتم ، فان لم تفعلوا فاني اعزم عليكم ... الخ » •
 وقد قيل في معنى (اهيا شراها أدوناي اصباؤت آل شداي) انها :
 يا حي يا قيوم رب الجنود والجيوش الذي لا يحصيهم غيره •
 وقد ثبت في بعض المظان السحرية انها مرتبة على البروج الاثني
 عشر •

وظلت (اهيا شراها) منعزلة عن جميع العزائم التي انفردت بذكر
 ابليس وابنته ومعشر الشياطين ورؤساء الجن والمردة وجنود الشيطان •
 وأسهمت (اهيا شراها) في فعاليات أكثر العزائم المشهورة كالعزيمة
 الجامعة المنسوبة الى آصف بن برخيا وزير سليمان (ع) ، وكالدعوة
 المعروفة بدعوة التيجان •
 ودخلت عائلة (اهيا شراها) في الشعر العربي ، كما في قول
 بعضهم :

ادوناي اصباؤت يسطع نوره ويجذب خدام الطهاطيل داعيا
 وبأل شداي وبهجة نوره اجبوا دعائي واحضروا بمقاميا

اما الاسم العظيم الذي جاء في آية الكرسي ، فهو اسم الله الاعظم ،
 حتى سميت هذه الآية بآية اسم الله الاعظم كما في رواية أسماء بنت يزيد •
 ويقال ان من يعرف اسم الله الاعظم يستطيع بمجرد النطق به أن

يأتي بالمعجزات • وهذا الاسم مجهول ، لا يعرفه الناس •• ولكنه يتكشف
للانبياء ولأولياء الله الصالحين •

وذكر مَنْ أَلْفَ في بعض علوم القرآن الكريم ان آية الكرسي لما
نزلت نزل معها سبعون ألف ملك من الملائكة •

واشتركت آية الكرسي ، بما تطوي عليه من أسرار ، في حرق
الذين تقمصوا انسانا • وقراءتها تعين على ازالة الكرب وكشف الغمة ، وهي
تنفع في القضاء على الحمى •

ذلك ما رأيته لازما لكشف ما يعطى عقيدة القاضي النباهي التي تناولها
في قصيدته الفولكلورية ، واني لارجو أن اكون قد وفقت بعض التوفيق •

المراجع :

- ١ - الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى
البابي ، القاهرة ١٩٤٧ •
- ٢ - الاصول والضوابط المحكمة للبوئي ، القاهرة ١٩٥٦ •
١٩٥٦ •
- ٣ - الانوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري ، تبريز ، دون تاريخ •
- ٤ - خزينة الاسرار لمحمد حقي النازلي ، القاهرة ، دون تاريخ •
- ٥ - بغية العشاق في معرفة الاوفاق للبوئي ، القاهرة ١٩٥٦ •
- ٦ - الدررة البهية في جوامع الاسرار الروحانية لعلي بن محمد الطندتائي ،
القاهرة ١٩٥٦ •
- ٧ - الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبدالقادر الجيلاني ، مطبعة
مصطفى البابي ، القاهرة ١٩٥٦ •

- ٨ - شرح البرهتية للبوني ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٩ - شفاء الضمان بسر قلب القرآن لاحمد الدمهوري ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، دون تاريخ .
- ١٠ - عجائب المخلوقات للقزويني ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ١١ - شمس المعارف الكبرى للبوني ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، دون تاريخ .
- ١٢ - ترتيب القاموس المحيط لطاهر أحمد الزاوي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ١٣ - كتاب السحر لمحمد محمد جعفر ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٩٦١ .
- ١٤ - شرح الجملوتية الكبرى للبوني ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ١٥ - تذكرة أولى الالباب ، لداود الانطاكي ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ١٦ - تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ، الجزء الخامس ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٦ .
- ١٧ - بحار الانوار للمجلسي ، طبع حجر ، ايران ، المجلد ١٩ ، دون تاريخ .
- ١٨ - كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، تحقيق لطفي عبدالبديع ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٩ - نفع الطيب للمقري ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، الجزء السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ٢٠ - كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
- ٢١ - الدر المنظوم و خلاصة النسر المكتوم لعمر الكشناوي ، مطبعة البابي ، القاهرة ١٩٦١ .
- ٢٢ - الزوج المربوط لعبدالحميد العلوجي ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٦٤ .

- ٢٣- المصريون المحدثون لادوارد وليم لين ، ترجمة عدلي طاهر نور ،
مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٠ .
- ٢٤- المدخل الى الفولكلور العراقي لعبد الحميد العلوجي ونوري الراوي ،
مطبعة المؤسسة العراقية ، بغداد ١٩٦٢ .
- ٢٥- الكتيبة الكامنة لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق احسان عباس ،
مطبعة عيتاني الجديدة ، بيروت ١٩٦٣ .
- ٢٦- آكام المرجان في غرائب الاخبار وأحكام الجان لبدر الدين الشبلي ،
دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ٢٧- مجربات الديرابي الكبير للشيخ أحمد الديرابي ، مطبعة المنار ، تونس،
دون تاريخ .
- ٢٨- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لاحمد أمين ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ٢٩- الادب الشعبي لاحمد رشدي صالح ، مطبعة دار الهنا ، القاهرة
١٩٥٤ .
- ٣٠- الكنز المدفون والفلك المشحون للسيوطي ، مطبعة مصطفى البابي ،
القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣١- الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي ، المطبعة اليوسفية ، القاهرة ،
دون تاريخ .

المائة العراقية

في مقامات الحريري

أنا راسخ على ان مقامات الحريري من الآثار الفكرية العربية التي ظلمها النقاد والباحثون بعزوفهم عن فحصها ، وزهدهم في مدارسها أشياءها وأحيائها .. وانني اعجب لهم يتهاكون على (ألف ليلة وليلة) يقيدون شواردها ، ويقسئون أبعادها ، ويضيئون غوامضها ، ويحصون مدنها وبحارها وأنهارها ، ويصفون أزياءها وطبيخها ومصوغاتها المعدنية وموسيقاها وسجايا ملوكها وامرائها وخلفائها وأخلاق شخصوها ، ويستخرجون عقائدها واساطيرها .. وهم ، مع ذلك ، يغمطون معجزة الحريري ، ويصدون عنها مترفعين .. وكأنها لم تتفجر بذلك العطاء الفكري الذي خدم المصطلح الحضاري العربي مع الدهر .

انتي حاولت أن افحص المقامات وانتبش كنوزها التي استقر عليها ما يستقيم مع تاريخنا الاجتماعي ، ويسعدني أن اسلط ضوءاً رقيقاً على العيش الرافه الذي عكسته المائدة العراقية فيها •

لقد تناول الحريري في مواضع متفرقة من مقاماته شؤون المائدة وماكلها وأطباقها والاتيكت الذي يتناغم معها • وقد كناها ، في المقامة النصيبية ، بأبي جامع •• وهذه الكنية تدور مع الخوان الذي يؤكل عليه الطعام ، ويكون - على الاغلب - من الخشب ، وله قوائم • ويسمى في عصرنا بطاولة السفرة ، وقد يطلق أبو جامع على ما يعرف بالترابيزة Table كيفما كانت أو كان الغرض منها ، ويستقيم ايضاً مع المصطلح الفرنسي Table à Manger الذي ينظر الى الخوان ذي القوائم سواء كان عليه طعام أم لم يكن • وقد يلصق أبو جامع بأبي جامع آخر ، ويجلس الآكلون عليه صفيين متقابلين •• وهذا هو ما دعاه الحريري بـ « السماط » في مقامته الصورية •

وللمائدة ، عند الحريري ، لازمة اجتماعية تنهض على تنظيف الايدي والاسنان من آثار الحلوى والطيخ بعد الاكل ، وتطهير الايدي والافواه من شوائب الوسخ قبل الاكل • وقد أشار في المقامة الشيرازية الى « الطاس » الذي يستعمل لغسل الايدي بعد الطعام ، كما أشار في المقامة النصيبية الى « المراس » الذي هو غسل اليدين وذلك بعضها ببعض • وفي المقامة الشتوية ورد « المشوش » وهو المنديل الذي تمسح به الايدي ، والذي أطلق - حديثاً - على فوطة الطعام Serviette • اما العويد الرقيق

الذي يعين الأكل على اتزاع بقايا الطعام من خلل الأسنان وهو ما يدعى Toothpick فقد اطلق عليه الحريري في المقامة البرقعيدية اسم

« الخلالة » .

ولم ينس الحريري وسائل حفظ الاطعمة والاشربة في البيت العراقي، فأشار الى « الجراب » في المقامة الفرضية و « المزود » في المقامة المغربية على انها وعاءان للخبز ، والى « الشلاق » في المقامة السورية وهو خريطة تحفظ فيها كسر الخبز .

وقد وجدت وعاء التمر ، وهو الحلة الصغيرة التي اشتهرت في الوسط الشعبي العراقي باسم « حلانة » يرتدي اصطلاح « النوطة » في المقامة المراغية .. وهناك خريطة اطلق عليها الحريري اسم « الوفضة » في المقامة الصناعية ، وهي التي كان فقراؤنا يستعملونها في حفظ ازوادهم كالكلعك أو السويق أو التمر أو الدقيق .

ونثر الحريري أسماء الصحاف والقدر والاقداح والاباريق في أماكن متفرقة من مقاماته ، فأشار الى (أسود الدار) في المقامة الطيبية قاصدا بها الآلات المستعملة في المطبخ كالقدر والجفنة (وهي القصعة العظيمة) ، كما اشار الى (المرجفين) في المقامة النصيبية ليدلا على (الطست) - من آنية الصفر - والابريق الذي قالت عنه المعاجم اللغوية انه اناء أو كوز من الخزف أو المعدن له عروة وفم وبليلة .. يكون للماء والشراب . واوما الحريري في المقامة الملطية الى ابريق آخر بغير عروة .

وفي المقامات ثلاثة آنية اختصت احداها بالحلوى وهي (الجام)

– كما في المقامة السنجارية – وهذا الاناء أو الكوب كان يصنع من الزجاج أو الفضة ، والى جانب ذلك كان (الطاس) الذي ورد ذكره في المقامة الشيرازية ، وهو الاناء الصغير المقعر الذي يشرب منه ، واطلق عليه الافرنج كلمة Tasse ، وكان أيضا (الكأس) •• وهو الاناء يشرب فيه ، أو ما دام فيه الشراب والافهو قدح •

اما صحاف الطعام فقد ذكر الحريري منها (صحاف الخلنج) في المقامة الواسطية ، و (صحاف الغرب) في المقامة السنجارية • والخلنج ضرب من الخشب تتخذ منه الاواني • وقيل انه آية جفنة أو صحيفة صنعت من خشب ذي طرائق موشاة • بينما الغرب نوع من الخشب النفيس عمل منه العرب الاقداح البيض • وحدد اللغويون الصحيفة بانها شبه قصعة متسعة عريضة تشعب خمسة رجال ، واطلقها المجمع اللغوي المصري على وعاء الاكل الكبير الذي يطوف به خدم الدعوة (الندل) لانه يؤدي وظيفة ال Plat Commun .

وللاطعمة في المقامات حديث ذو آفاق ، فهناك اطعمة اليد واليدين (المقامة السنجارية) ، وقد جعل العرب الثريد ونحوه ليد الواحدة ، والدجاج والشواء ونحوهما لليدين • وهناك ماأكل المناسبات الاجتماعية ، كحلاوة اللقاط (المقامة السورية) مثال الكعك والخبيص اللذين كانا يثران للحاضرين في محافل العرس • والمعروف ان تثار العرب في عرسهم كان التمر ولا شيء سواه • وأشارت المقامة الواسطية الى اعداد حلواء الخوان بعد الانتهاء من خطبة عقد القران في مدينة واسط • وخص

الحريري فقراءنا ، يومئذ ، بمصاصة النوى (المقامة التفليسية) والجراد المشوي (المقامة الشتوية) والنجوة (المقامة المراغية) وهي التمرة الرديئة أو لفاظة التمر اذا سقطت لا يبالي بها •

أما الاطعمة التي كانت سيدة الوجبات على المائدة العراقية ، فقد عقدها الحريري على الالبان ومشتقاتها والعصائد والهرايس والثرائد والبقول والمسكرات واللحوم والخبز والحلواء وبعض العناصر الضرورية التي ما لمائدة عنها غنية كأبي ثيف وهو الخل ، وأبي عون وهو الملح (المقامة النصيبية) والماء العذب البارد المحفوظ في المزملة (المقامة النجرانية) •• وهذه المزملة من الكلمات العراقية العباسية ، أطلقها أجدادنا على ما يماثل قارورة الترمس Thermus اليوم ، وكانت جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب مركب فيه قصبه فضية أو رصاص يشرب منها في فصل الصيف والايام القاتظة ، وكانوا يضعون عليها لفائف من الثياب الخشنة تغشى بجلد أو ثوب مزخرف ، مزين يسر الناظرين •• وتحتها مرفع من عود أو حديد يرتفع بها عن الارض •• فهو سريرها • وقد تلف بخيش أو غيره ، ويجعل بجانبها وبين خزفها التبن يبرد بها الماء ليلا بالبرادات ويصب في المزملة ، فيبقى باردا •

ذلك ما اردت الافصاح عنه قبل أن اتناول الاطعمة بالبيان • وما عليّ - الآن - الا أن أقول كلمتي • ففي معرض الالبان ومشتقاتها أشار الحريري في المقامة الشيرازية الى (الشوب) ، وفسر الشريشي (شارح المقامات) الكلمة بانها اللبن المزوج بالماء •• وانا لا أدري كيف جعل

الشوب كذلك ، وهو - في الحقيقة - ليس سوى ما يخلط بغيره ، أو هو قطعة من العجين ، وقد قيل : سقاه الشوب بالروب : أي العسل باللبن •• وقيل أيضا : لا شوب ولا روب : أي لا مرق ولا لبن ، ومن هنا لا يصح ما ذكره الشريشي عن الشوب الا على المخيض الذي ورد في المقامة المكية ليدل على اللبن يمزج بالماء • وهناك غير المخيض من عائلة اللبن ذكره الحريري في غير موضع من مقاماته كالروب وهو اللبن الخالص (في المقامة الشيرازية) ولربما هو الصق بالرائب الذي يكون بعد المخض ونزع الزبدة ، وكالثور (في المقامة الشتوية) وهو القطعة من الاقط أي اللبن المستحجر •• أو شيء يتخذ من المخيض الغنمي أو اللبن الحليب أو من ألبان الابل ، وكاللأ (في المقامة الفرضية) وهو أول اللبن عند الولادة ، أقله حلبة واحدة وأكثره ثلاث حلبات • وفي هذه المقامة أيضا أشار الحريري الى (أزهي راكب على اشهى مركوب) ، ويريد بالراكب التمر وبالمركوب اللأ •• لان التمرة تشق ويعترف بنصفها من القدح الذي فيه اللأ ، ويميل الحريري الى لبأ السخلة • وفي المقامة المكية ورد (الحارز) وهو اللبن الحامض و (النهيدة) وهي الزبدة والتمر ، وهذان كانا مأكولين لذيقين عند العرب • وقيل ان النهيدة هي أن يغلى لباب الهيد (أي حب الحنظل) ، فاذا نضج وتكاثف ذر عليه دقيق القمح ، ثم اكل •

اما العصائد فقد ذكرها الحريري في المقامتين البكرية والمكية ، والعصيدة دقيق يلت بالسمن ويطبخ وتلوى بالمسواط • واشارت المقامة النصيبية الى (ام جابر) وهي الهريسة التي كانت تستحضر من طبخ الحب

المدقوق • والى التريد او مات أيضا المقامتان البكرية والمكية ، وهي ما كان
يهشم من الخبز ويبل بالامراق ، وعرف العرب ثريدة غسان ، وكانت
من أطيب التراث مركبة من المخ والمح •

ومن الاطعمة التي عرفتها المائدة العراقية كانت البقول بمختلف
أنواعها • وقد انطوت المقامة البكرية على (الكامخ) وهو البقل في الطعام •
ووجدت بين اللغويين من انكر هذا المدلول ، فذهب بعضهم الى انه طعام
يؤتدم به ، وحسبه سواهم معرب (كامه) وهو ادام أو خاص بالمخللات
المشهيات للطعام •• ولكنني اميل الى انه البقل الذي دعاه الحريري في المقامة
النصيية ب (أبي جميل) •• وهذا المأكول كان يستوعب أحرار البقول
التي يؤكل ورقها كالخس ، والبقول الثمرية كالخيار والقرع ، والبقول
الحية كاللوبياء والفل ، والبقول الجذرية كالجزر والملفت •

وللخبز ، على المائدة العراقية ، سلطان كبير ، فهو شيخ الوجبات
وموئل الحمد والشكر ، وقد نوه به الحريري في اكثر من مقامة ، فأشار
الى القرص في المقامتين البكرية والبرقعيدية ناظرا الى معنى الخبز ، والقرصة
هي الخبزة الصغيرة جدا ، وقد رأيناها في عصرنا هذا ماثلة في أفراس
(الكليجة) و (المريس) التي تعرفها البيوت والاسواق البغدادية • والى
(الرغفان) أشارت المقامة البرقعيدية لتمسك بضرب آخر من أفراس
الخبز •

ويبدو ، بعد مطالعة المقامة المكية ، ان هناك نوعين من الخبز ،
احدهما : الرقاق ، وهو الخبز الرقيق أو ما لا يزال يسمى عندنا اليوم

ب « خبز رگاک » ، والآخر : الجردق وهو الرغيف المدور أو الخبز الغليظ •• كما ان هناك ، في المقامة النصيبية ، نوعين آخرين من الخبز دعا أحدهما ب « أبي نعيم » وهو الحواري الذي أطلقه العرب على الطحين (نمره صفر) الذي يكون خبزه من أنعم الاخباز ، ومن الجدير بالذكر ان الحريري سماه ، في المقامة الصناعية ، بالخبز السميد • اما النوع الآخر فهو (ام الفرج) الذي شاع بين البغاددة يومئذ باسم (الجوزاب) وهو الخبزة التي تعلق في التور وعليها طير أو لحم يسيل ودكهما عليها ما دامت تطبخ ، فتغنى الأكل ، عند ذاك ، عن الادام ، فلا يحتاج اليه ، فهي خبز بادامه • ولعل (خبز العروك) هو الصيغة المتطورة التي تمثل ام الفرج في ايامنا •• ولا عبرة بقول من قال بان الجوزاب انما هو طعام يتخذ من سكر وارض ولحم (أي : ما يشبه الطرشانة على تمن) ما دام مفهوم الجوزاب - على الطراز الذي أشار العرب ليؤدي معنى الخبز المؤدم - مألوفاً في المعاجم العربية •

وألم الحريري الى طائفة من اللحوم التي تفاوت على المائدة العراقية، فذكر الشواء والتقيدة (وهي اللحم المشرر المملوح المجفف في الشمس او ما قطع منه طوالاً) في المقامة المكية ، وام القرى (وهي السكباج أي اللحم المطبوخ بالخل) في المقامة النصيبية التي ورد فيها أيضاً ذكر (أبي حبيب) وهو الجدي المشوي على الجمر (وغالباً يكون من المعز) • وفي المقامة الصناعية وجدت الحريري يسقط على جدي حنيد فوق

احدى الموائد ، وهذا الجدي كان يشوى بالحجارة المحمأة ، كما وجدته في المقامة المكية يعمن النظر في (الشهيدة) وهي الشاة المشوية التي قلما كان لحمها يؤكل الا بالراقق . وقيل انها الدجاجة أو السمكة المحشوة .

ومع الحلواء دار الحريري في اكثر من مقامة ، فهو في المقامة الصعدية يذكر الشهد (وهو العسل الخام على الاغلب) وفي المقامة الصناعية يشير الى الخبيصة (وهي ما كان يعمل بالتمر والسمن ، ولا يزال البغادة يأكلونها متوارية في أعماق الحيني) ، وفي المقامة السنجارية ينوه بحلواء الضرب (أي العسل الابيض أو العسل اذا غلظ) ، والحلواء الملونة التي كانت تتضوع برائحة الافويه ، ولقائف النعيم المضمخة بالطيب (وهي ما كان يلف من الحلوى ويطوى بعضه على بعض) . وقيل ان اللفيف هو الطعام المخلوط من جنسين فاكثر ، وقد اختص باللوزينج أو القطائف . ومن المعروف ان اللوزينج حلواء تؤدم بدهن اللوز . اما القطائف فقد جاء ذكرها أيضا في هذه المقامة على انها الدقيق المرقق بالماء على التشبيه بخمير القطائف التي تفرش ، وتناصرت المقامتان السنجارية والسمرقندية على ذكر حلواء القند (وهو عسل السكر أو عصارة قصب السكر تصب في القوالب حتى تتجمد ، واذا اريد أكله طحن القصب وجعل على الطعام لينوب) . وبوسع القاري أن يجد (أبا العلاء) في المقامة النصيبية رمزا يشير الى الفالودج وهو الحلواء المعمولة من لباب الحنطة . ومما لا بد من الاشارة اليه في معرض الحلواء هو أن التمر كان رئيس الحلوى على المائدة العراقية ،

وقد أشار الحريري في مقاميه المراغية والمكية الى (العجوة) ليعنى بها
أشرف التمر وأطيبه .

اما في محافل الترفيه عن النفس ، والارتفاع بها عن تكاليف الحياة
الثقيلة ، فقد ذاق المحيطون بالمائدة ألوانا من المسكرات ذكر الحريري منها
(الغبراء) في المقامة الشتوية ، وهي خمرة الذرة التي انحدرت اليها من
الاحباش معروفة باسم السكركة . كما ذكر في المقامة الواسطية (خييص
البنج) وهو الحلواء المخلوطة بلبن الخشخاش (الافيون) .

ذلكم هو قوام المائدة العراقية في القرن السادس الهجري ، وقد
استجلبته في مقامات الحريري . . . وعسى أن تكون هذه الدراسة طليعة
دراسات أخرى تتقاسم الجوانب المشرقة من تاريخ العراق الاجتماعي .

مَرَّاجِعُ الْعَامِيَّةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

استأثرت العامية ، في بقاع العرب ، باهتمام الفيلولوجيين والمتفكرين من عرب وغير عرب •• وهؤلاء تناولوها بالدرس والبحث المقارن وامتحان النصوص • فكان لنا ، من وراء ذلك ، نتاج لهجوى عريض ، لا يحيط به ثبت ولا فهرس • وقد حاولت - في وقت قصير - أن اعتقل ما كتب حول اللهجات العربية تحت خيمة واحدة ، فجاءت محاولتي محدودة ، بترء ، لا تنقع غلة ، ولا تطفىء حنينا •• ولكنها - بالرغم من ذلك - تستطيع أن تجود بالنفع والفائدة • ولسوف اعود ، مرة أخرى ، في أيام قادمة الى تسيق هذه المراجع وفق اللغات التي كتبت بها ، وعندئذ لا بد أن اطلع على الناس بما لا يخلو من نفاسة واحاطة •

واني اذ ادمع محاولتي بالهزال •• أراني مدفوعا الى الاعتراف
 بفضل من سبقني في هذه الحلبة ، وبصدقة من كان له أثر في هذا الصدد •
 واذا كان لي أن اوميء الى الجهد الشخصي الذي بذلته في اعداد هذه
 المراجع ، فاني اؤكد - في معرض الاقتباس - تطفلي على ما كتبه المرحوم
 عيسى اسكندر المعلوف في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، وما أشار اليه
 الاستاذ كوركيس عواد في كتابه (المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين
 المحدثين) ، وبحثه عن (الآثار المخطوطة والمطبوعة في الفولكلور العراقي)
 المنشور في مجلة التراث الشعبي ، وما المع اليه الاستاذ غريغوري شرباتوف
 في كتابه (الاستعراب في الاتحاد السوفيتي) ، والاستاذ أحمد رشدي صالح
 في كتابه (فنون الادب الشعبي) ، والاستاذ نجيب العقيقي في كتابه
 (المستشرقون) •••• وكذلك على ما جاء في (جمهرة المراجع البغدادية)
 و (مؤلفات ابن الجوزي) ، وعلى طائفة من المجلات العربية أخص منها
 بالتبويه مجلة معهد المخطوطات العربية ، ومجلة اللسان العربي •
 وحسبي - بعد ذلك - انني اجتهدت دون شوق الى ثواب ، وعسى
 ان أكون ، في عملي هذا ، من النافعين •

آخفليدياني (ف.غ) :

بعض المسائل المتصلة بتغير الاحرف الساكنة في اللغة العربية العامية •
 مطبوع باللغة الجورجية في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٤ •

ابراهيم الابياري :

ازمة التعبير الادبي بين العامية والفصحى •

• دار الطباعة الحديثة (القاهرة ١٩٥٨) ١١٠ ص

ابراهيم أنيس :

• في اللهجات العربية

• الطبعة الثانية ، لجنة البيان العربي (القاهرة ١٩٥٢) ٢٣٨ ص

ابراهيم حركات :

الدارجة المغربية أفصح اللهجات العربية • مجلة اللسان العربي (العدد

الرابع ١٩٦٦) ص ٣٣-٣٤ •

ابراهيم السمارائي :

١ - الاصول التاريخية للعامية البغدادية في ألف ليلة وليلة • مجلة سومر

(بغداد ١٩٦٤) المجلد ٢٠ ص ١٧٥ - ٢٠٨ واعيد نشره في كتابه

(التطور اللغوي التاريخي) دار الرائد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٤٩ -

• ٢٠٢

٢ - أصول اللغة العامية البغدادية •

بغداد ١٩٦٥ • يقع في ٣٥ ص •

٣ - الافعال الرباعية في العامية العراقية • في كتابه : الفعل زمانه وابنيته

(مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٦) ص ١٥١-١٨٣ •

٤ - ضلة العربية بين المولد الجديد والمصطلح الفني •

مجلة المعلم الجديد (بغداد ١٩٥٩ ، جزء ٤) ص ٢٦-٣١ •

٥ - اللغة التونسية •

دمشق ١٩٦٤ ، في ٢٣ ص حيث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق ، واعد نشره بعنوان (العربية التونسية) في كتابه (التطور
اللغوي التاريخي) ، ص ٢٠٣ - ٢٢٣ .

ابراهيم عبدالقادر المازني :

• اللغة العامية العراقية

• مجلة الهلال (القاهرة ١٩٤٥) الجزء الاول ، ص ٢٢-٢٤ .

ابراهيم المنذر العلوف :

• كتاب المنذر

• طبع أولا سنة ١٩٢٧ في ٩٢ ص ، وكرر طبعه بزيادات ، فبلغت

• صفحات آخر طبعاته ١٦٠ ص .

ابن الانباري :

• الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس . منه نسخة مخطوطة

• في خزانة أسعد أفندي باستانبول رقمها ٣٢١٥ ، واخرى رقمها ٣٢١٦ .

ابن باني السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ هـ :

• لحن العامة

ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ :

١ - تقويم اللسان

• مخطوط في مكتبة طلعت المهداة الى دار الكتب المصرية رقمه ٤٢٧ لغة

(وقد حققه الدكتور عبدالعزيز مطر واخرجه مطابع البلاغ في

القاهرة سنة ١٩٦٦ في ٢٧١ ص) ومنه مختصر مخطوط في مكتبة

مدرسة سبهاالار بطهران •

٢ - غلطات العوام •

ويسمى أيضا : تقويم اللغة • منه نسخ مخطوطة في المكتبة البودلية

٢ : ٣٨٣ (٢) ، وبرلين ٦٥٢٨ ، ولالهلي ٣٥٧٣ ، ويحيى افندي ٤٣٩

(٢٧) • وورد بعنوان (ما يلحن فيه العامة) وهو مخطوط مكتبة جامعة

برنستون بالولايات المتحدة ، رقمه ٢٧٤٥ في ١٩ ورقة •

ابن حزم الاندلسي :

التقريب لحد المنطق والمدخل اليه بالالفاظ العامية والامثلة الفقهية •

منه نسخة مخطوطة في المكتبة الاحمدية بجامع الزيتونة بتونس ،

رقمها ٦٨١٤ • وطبع بتحقيق الدكتور احسان عباس في مطبعة دار العباد

بيروت ١٩٥٩ في ٢٢٤ ص •

ابن الخنبلي :

بحر العوام فيما أصاب فيه العوام •

منه نسختان مخطوطتان ، احدهما في خزانة احمد زكي باشا ،

والاخرى في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية ، وقد حققه عزالدين

التوحي ، وخرج عن مطبعة ابن زيدون في دمشق •

ابن خاتمة الانصاري :

ايراد اللآل من اشاد الضوال •

وهو مختصر لكتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة • نشره
المستشرق جورج كولان في مجلة هسبيريس (الجزء ١٢ سنة ١٩٢١) •
وحققه الدكتور ابراهيم السامرائي وأعدده للطبع •

ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ هـ :

لحن العامة •

ابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ :

١ - رسالة التعريب •

منها نسخة مخطوطة في خزانه عيسى اسكندر المعلوف لدى ولده
رياض في زحلة - لبنان •

٢ - كتاب التبيه على غلط الجاهل والبيه •

مخطوط ضمن مجموعة في خزانه عيسى اسكندر المعلوف • نشرها
المستشرق لندبرج في لايدن سنة ١٩٢٤ ، كما نشرها عبدالقادر

المغربي (دمشق ١٩٢٥) في ٤٦ ص •

ابن هشام اللخمي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ :

المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان •

منه نسختان مخطوطتان في الاسكوريال ، احدهما برقم ٩٩ ، والاخرى

برقم ٤٦ (وهذه بعنوان : الرد على الزبيدي في لحن العوام) • ومنه

مخطوطة في خزانه عاشر افندي ٢ : ١١٢١ (٢) ، واخرى مصورة في خزانه

المكتب الدائم لتتسيق التعريب بالرباط • وقد حققه الاستاذ عبدالله الجبوري

وأعدده للطبع •

ابو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ :

• لحن العامة

ورد ذكره في تاج العروس ٢ : ٢٧١ • ويسمى أيضا : ما تلحن

فيه العامة •

ابو عبيد المتوفى سنة ٢٢٣ هـ :

• ما خالف فيه العامة لغة العرب

• ورد ذكره في لسان العرب ٧ : ٢٦٣ •

ابو عميدة المتوفى سنة ٢٠٩ هـ :

• لحن العامة

ابو القاسم الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

• درة الغواص في أوهام الخواص

• طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٨٥٦ وفي ليبسك سنة ١٨٧١ ، وفي

ايران والاسنانة • واعاد طبعه الاستاذ قاسم محمد الرجب بالافيسيت سنة

١٩٦٦ عن الطبعة الاوربية •

ابو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٤٦٥ هـ :

١ - اصلاح ما تغلط فيه العامة •

٢ - التكملة فيما تلحن به العامة •

• طبع في ليبسك سنة ١٨٧٥ •

٣ - المغرب من الكلام الاعجمي •

طبع قسم منه في ليسانس سنة ١٨٦٧ ، وكاملا بتحقيق أحمد محمد
شاكر (دار الكتب - القاهرة ١٩٤٢) ٤٥٥ ص •

ابو هلال العسكري المتوفى ٣٩٥ هـ :

• لحن الخاصة •

ابو الهيدام العقيلي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ :

• ما تلحن فيه العامة •

احمد ابو الخضر منسى :

• حول الغلط والفصح على السنة الكتاب •

• مكتبة دار العروبة - القاهرة ١٩٦٣ في ٦٧ ص •

احمد بدوي وخرمن كيس :

• المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية •

• طبع الهيئة العليا لشؤون المطابع الاميركية - القاهرة ١٩٦٦ وهو

تقسيم ومقارنة بين اللغة المصرية القديمة والحديثة والدخيل فيها •

احمد تيمور باشا :

١ - الرتب والالقب •

دمشق ١٩١٩ في ٢٤ ص (وهي بحسب اصطلاح مصر عند العامة

وما يقابلها من الفصحى) •

٢ - الكنايات العامية - مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٦٠ • احتوى ٣٣٦

• كناية •

٣ - معجم اللغة العربية المصرية العامية •

احمد بن حاتم الباهلي المتوفى سنة ٣٢١ هـ :

• ما تلحن فيه العامة •

احمد حسن الزيات :

• مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية •

• مجلة العلوم (بيروت - العدد ٩) ١٩٥٦ ، ص ١١ - ١٢ و ٧٣ •

احمد رضا :

١ - رد العامي الى الفصح •

• صيدا ١٩٥٢ •

٢ - العامي والفصح •

• مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩ (١٩٤٤) ٢٥١ وما بعدها

• و ٢٠ (١٩٤٥) ٢٤٢-٢٥٢ و ٤٣٢-٤٣٩ •

٣ - الغريب الفصح في العامي •

احمد بن سعيد البصري :

• ما قالته العرب وكثر في أفواه العامة •

احمد عيسى :

• المحكم في اصول الكلمات العامية •

• مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٩ •

احمد فارس الشدياق :

• اصول اللغة العربية المحكية

• (باللغة الانكليزية) لندن ١٨٥٦

احمد بن يحيى ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ :

• ما يلحن فيه العامة

ادي شمير المتوفى سنة ١٩١٥ م :

• الالفاظ الفارسية العربية

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٨ في ١٩٤ ص ، واعيد طبعه

• بالافست سنة ١٩٦٤ في بيروت

اسحاق موسى الحسيني :

العلاقة بين الفصحى والعامية • مجلة الثقافة (القاهرة - العدد الرابع -

السنة الاولى) ١٩٣٩ ص ٢٣ - ٢٥

اقلوديس لبيب المصري :

• الالفاظ القبطية واللغة العامية المصرية

• جمعها سنة ١٩٠٣ وبلغ عددها ١٥٥ لفظة

اقليميس يوسف داود الموصلبي المتوفى سنة ١٨٩٠ هـ :

• بيان لغة أهل دمشق في أيامنا

• طبع باللغة الفرنسية

الياس بقطر السيوطي المتوفى سنة ١٨٢١ :

• القاموس العامي الفرنسي

فيه أمشاج من لغة مصر والشام والمغرب وتونس العامية • غني بشره
وتصحيحه وزاد عليه المستشرق كوسان دي برسيغال (باريس ١٨٤٨
و ١٨٦٤) ، وطبع في مصر سنة ١٨٧٢ •

انستاس ماري الكرملي المتوفى ١٩٤٧

١ - أصل كلمة (حقباز) العراقية •

• مجلة لغة العرب ٣ (١٩١٤) ٥٥٠

٢ - أصل كلمة (عنفص) •

• مجلة لغة العرب ٣ (١٩١٣) ٤٣-٤٥

٣ - أصل كلمة (قزلقرط) •

• مجلة لغة العرب ٣ (١٩١٣) ١٤٥-١٤٦

٤ - أصل لفظة التمن بمعنى الارز •

• مجلة لغة العرب ٣ (١٩١٤) ٤٨٩-٤٩١

٥ - الباء العامية في المضارع •

• مجلة المشرق ٣ (١٩٠٠) ٤١٥-٤١٩

٦ - الجمپارات او الجربارات او الجآقات ومرادفاتها •

• مجلة لغة العرب ٣ (١٩١٤) ٤٩٢-٤٩٤

٧ - الكلمات الاجنبية والعامية في اللغة العربية •

• مجلة الزهور ١ (١٩١٠) ٣٤٠-٣٤٣

- ٨ - اللغة العامية •
 • مجلة لغة العرب ٤ (١٩٢٦) ٨٤-٨٥
 ٩ - اللغة العامية توأمة اللغة الفصيحة •
 • مجلة المقتطف ٤١ (١٩١٢) ٤٢٢-٤٤٥
 ١٠- اللكنة التركية في اللغة العراقية •
 • مجلة دار السلام ٢ (١٩١٩) ٢٠٩-٢١٢
 ١١- ما معنى زقنبوت ومن أي لغة هي ؟
 • مجلة لغة العرب ٢ (١٩١٣) ٥٧٦-٥٧٧
 ١٢- معنى كلمة (ملا) •
 • مجلة لغة العرب ٤ (١٩٢٦) ٢٩١-٢٩٢^(١)

أنور الجندي :

- اللغة العربية بين حمايتها وخصومها •
 القاهرة ١٩٦٣ في ٢٨٤ ص • وهو سجل حافل بالصراع بين العامية
 والفصحى •

انيس فريجة :

- ١ - اللهجات واسلوب دراستها •
 • معهد الدراسات العربية العليا - القاهرة ١٩٥٥
 ٢ - معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية •

(١) راجع (الاب انستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته) تأليف
 الاستاذ كوركيس عواد (مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٦) في مواضع متفرقة •

منشورات كلية العلوم والآداب بالجامعة الاميركية - جونية ١٩٤٧ في
١٩٥ ص *

اوساني (جبرائيل الكلداني) المتوفى سنة ١٩٣٤ :

اللغة العامية البغدادية *

مجلة الجمعية الشرقية الاميركية ٢٢ (١٩٠١) ص ٩٧ وما بعدها *

ايلدر (أي) :

اللهجة المصرية للقارىء العربي *

(باللغة الانكليزية) لندن ١٩٢٧ *

بارتيليمي (ادريان) المتوفى سنة ١٩٤٩ :

١ - رسالة في لغة حلب العامية *

باريس ١٩٠٥ *

٢ - القاموس العربي الفرنسي عن اللغة العامية في حلب ودمشق ولبنان
والقدس *

يقع في خمسة مجلدات ، نشر الرابع والخامس منه الاب هنري

فليس اليسوعي في باريس سنة ١٩٣٥ *

٣ - نبذة في لهجة القدس *

باريس ١٩٠٦ *

برازين (الياس) المتوفى ١٨٧٠ :

لهجات الجزيرة وما بين النهرين *

برجستراسر (ج) :

• حول اللهجة العربية في دمشق

• (باللغة الألمانية) هانوفر ١٩٢٤

برنييه (لويس جاك) المتوفى سنة ١٨٦٩ :

١ - بحوث في اللغة العامية في الجزائر

٢ - مفتاح كنوز النحو والادب لعلوم العرب

• فيه رسائل بالعامية المغربية ، وأخبار بعامية الجزائر

• باريس ١٩٠٦

٣ - منتخبات أدبية - باللغة العربية العامية

• الجزائر ١٨٤٦

البشبيشي المتوفى سنة ٨٢٠ هـ :

• التذليل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل

بشير مسكوني المتوفى سنة ١٩٦١ :

• اللغة العامية العراقية

• طبع باللغة الفرنسية

بكر بن محمد المازني المتوفى نحو سنة ٢٤٨ هـ :

• ما تلحن فيه العامة

بلقاسم بن سديري :

• كتاب في لهجة الجزائر

باللغتين العربية والفرنسية • وضعه المؤلف سنة ١٨٨٢ وفيه العامية

• والفصحى

بوركت :

• اللهجة المصرية الحديثة للغة العربية

• (بالغة الانكليزية) مطبوع

• بوسيه (٠١) المتوفى سنة ١٨٧٣ :

• المعجم العلمي العربي الفرنسي

• جمع فيه التعابير اللغوية المستعملة في لهجات شمال افريقيا • طبع على

• الحجر في الجزائر سنة ١٨٨٧

• بيركلند (٠٥) :

• تطور اللهجة العربية المصرية وبنائها

• (بالغة الانكليزية) اولسو ١٩٥٢

• بيرون (٠١) المتوفى سنة ١٨٧٦ :

• العربية العامية في الجزائر

• طبع سنة ١٨٣٢

ج • منصور :

• لهجة يهود بغداد العامية

• مجلة الدراسات اليهودية ٨ (١٩٥٧) اص ١٨٧-١٩٨

جاسم الياسري :

القاموس الريفي • مجلة الاصلاح الزراعي (بغداد ١٩٦١ -
١٩٦٢) •

جرجس فيلوئاوس عوض :

اللغة القبطية •

فيه ألفاظ قبطية يستعملها المصريون في لهجتهم العامية (مصر ١٩١٦)
في ٨٠ ص •

جرجي جنن البولسي :

مغالط الكتاب ومناهج الصواب •

حريصا (لبنان) ١٩١٣ في ١٣٦ ص •

جرجي شاهين عطية :

رد الشارد الى طريق القواعد •

بيروت ١٩٢١ في ٤٠ ص •

جعفر الخليلي :

أمثلة من الكلمات الفارسية الدخيلة في اللغة المصرية •

مجلة اللسان العربي (الرباط ١٩٦٥) العدد ٣ ، ص ١٠١-١٠٢ •

جلال الحنفي (الشيخ) :

١ - أسماء الاصوات في العامية البغدادية •

مجلة التراث الشعبي ، الجزء الثاني ١٩٦٣ ، ص ٤٣ •

- ٢ - أسماء الالوان في العامية البغدادية •
 مجلة التراث الشعبي ، الجزء الاول ١٩٦٣ ، ص ٤٨ •
- ٣ - الاعجميات في عامية بغداد •
 • جريدة الفتح البغدادية (الاعداد ٧-١٣) الصادرة سنة ١٩٣٩ •
- ٤ - الاعداد في الكنايات البغدادية •
 • مجلة التراث الشعبي ، العدد ٦-٧ (١٩٦٥) ص ٣٧ •
- ٥ - الالفاظ الهندية في العامية البغدادية •
 • مجلة بغداد ، العدد ١٢-١٣ (١٩٦٤) ص ٨٠ •
- ٦ - الايمان البغدادية •
 • مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦٢) العدد ٣٣ ، ص ٢٠-٢٢ •
- ٧ - الايمان البغدادية •
 قدم له وعلق عليه كاتب هذا البحث ، مطبعة التضامن - بغداد ١٩٦٤
 في ٦٦ ص •
- ٨ - البغداديون والفاظ الحيوانات •
 • مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦٢) العدد ٤١ ، ص ١٦-١٨ •
- ٩ - التمن في الالفاظ البغدادية •
 • مجلة بغداد ، العدد ١٠ ، شباط - آذار ١٩٦٤ ، ص ٣٩ •
- ١٠- الفصحى الاصل الاول للعامية البغدادية •
 • مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦١) جزء ٢٢ ، ص ١٨-١٩ •
- ١١- في اللغة العامية البغدادية : قاموس الاطفال •

- مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦٢) جزء ٢٧ ، ص ٧-٩ •
- ١٢- قاموس الاطفال البغداديين •
- لا يزال مخطوطا لدى مؤلفه •
- ١٣- القلب والابدال في العامية البغدادية •
- مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦١) جزء ٢٠ ، ص ٤-٥ •
- ١٤- القلب والابدال وحروف الزيادة في العامية البغدادية •
- لا يزال مخطوطا لدى مؤلفه •
- ١٥- معجم الالفاظ التونسية •
- رأيته مخطوطا عند مؤلفه •
- ١٦- معجم الالفاظ الصناعية •
- وضعه المؤلف أثناء وجوده استاذا زائرا في الصين الشعبية عام ١٩٦٦ •
- ١٧- معجم الالفاظ الكويتية •
- مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٤ ، في ٤٢٤ ص •
- ١٨- معجم الالفاظ المعمارية البغدادية •
- لا يزال مخطوطا لدى مؤلفه •
- ١٩- معجم الكنايات البغدادية •
- لا يزال مخطوطا لدى مؤلفه •
- ٢٠- معجم اللغة العامية البغدادية •
- يتألف من ثمانية أجزاء • الجزء الاول (مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٣ ،
- في ٤٣٤ ص) والثاني (مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٦ في ٢١٣ ص) •

- ٢١- النصوص البغدادية
- لا تزال مخطوطة لدى مؤلفها

جلال الدين السيوطي :

- غلطات العوام
- منه نسخة مخطوطة في مكتبة كوبرلي باستانبول

جليل العطية :

- لغة الشاعر الشعبي حسين الكربلائي
- مجلة الاصلاح الزراعي (بغداد ، العدد الثالث ١٩٦٢)

جوزيب بربرة الصقلي :

- العربية البربرية في اللغة الصقلية الايطالية

حسن توفيق :

- أصول الكلمات العامية
- مصر ١٨٩٩ في ٤٦ ص

حسن حسني عبدالوهاب :

- تاريخ اللهجة العامية في المغرب ولاسيما تونس

حسن علي البدرائي :

- عجالة في مرادف العامي والمحرف والدخيل
- مصر ١٩٠٨ في ٤٠ ص

حسن المصري :

- أحسن النخب في معرفة لسان العرب
- (وهو في تعليم اللغة المصرية الدارجة) مصر ١٨٦٩ في ٢٦٦ ص •

حسين علي الحاج حسن :

- ١ - الالفاظ الفارسية في لهجة الفرات
- مخطوط لدى مؤلفه في بغداد •
- ٢ - الكنايات الفراتية
- مخطوط لدى مؤلفه •
- ٣ - المستدرک على معجم الالفاظ الكويتية
- مخطوط لدى مؤلفه •
- ٤ - معجم الالفاظ الفراتية
- احتوى حروف : الباء والتاء والتاء • ولا يزال مخطوطا لدى مؤلفه •

حسين علي محفوظ :

- ١ - الالفاظ الاروبية في اللهجة العراقية
- مخطوط لدى مؤلفه •
- ٢ - الالفاظ الانكليزية في العامية العراقية
- مخطوط لدى مؤلفه •
- ٣ - الالفاظ التركية في اللهجة العراقية
- مجلة التراث الشعبي ، الجزء السادس ١٩٦٤ ، ص ٣٣ وما بعدها •
- ٤ - الالفاظ الفارسية في اللهجة العراقية

- مخطوط لدى مؤلفه
- ٥ - خصائص اللهجة العراقية
 - مخطوط لدى مؤلفه
- ٦ - خصائص اللهجة اللبنانية
 - مخطوط لدى مؤلفه
- ٧ - قواعد اللهجة البغدادية
 - مخطوط لدى مؤلفه
- ٨ - معجم الالفاظ الاجنبية في اللهجة البغدادية
 - مخطوط لدى مؤلفه
- ٩ - معجم الفاظ اللهجة البغدادية
 - مخطوط لدى مؤلفه

حسين فتوح ومحمد علي عبدالرحمن :

- الدرر السنية في الالفاظ العامية وما يقابلها من العربية
- مصر ١٩٠٨ ، في ٦٤ ص

حفني ناصف :

- ١ - رسالة في المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري
 - المطبعة الاميرية - القاهرة
- ٢ - مميزات لغات العرب وتخريج العامية عليها
 - مصر ١٨٨٦ في ٤٨ ص ، وأعدت جامعة القاهرة طبعه سنة ١٩٥٧ في ٤٤ ص

حليم دموس :

• قاموس العوام

• مطبعة الترقى - دمشق ١٩٢٣

حليم فهمي المصري :

• جدول المحرف والعامي

• (الطبعة الثالثة) مصر ١٩٢٥ في ٤٧ ص

حمزة فتح الله :

• الترجمة والتعريب

• فيه بحوث في اللغة العامية • طبع على الحجر بمصر سنة ١٨٨٦ في

• ٣٠ ص

حميد مجيد هلو :

• الايمان الكربلائية

• نشر ذيلًا لكتاب الشيخ جلال الحنفي (الايمان البغدادية) ص

• ١٥٩-١٦٧ فيه تعابير عامية مشروحة

خسرو زاده (محمد بن مصطفى) :

• غلطات العوام

• خليل ابراهيم العطية :

• القلب والابدال في العامية • مخطوط لدى مؤلفه

خليل رشيد :

• الفصح في لغة العامة

مجلة بغداد ، العدد ٢١ (١٩٦٥) ص ٣٤-٣٥ • واعيد نشره في مجلة

التراث الشعبي ، العدد ٦-٧ (١٩٦٥) ٣٠-٣١ •

خليل بك سعد :

• المعجم السعدي - في اللغة العامية وما يقابلها من الفصحى

لم يطبع • نشر أمثلة منه في جريدة الهدية البيروتية •

خليل اليازجي المتوفى ١٨٨٩ :

• الصحيح بين العامي والفصح

فيه لهجتا سوريا ومصر • لا يزال مخطوطا •

داود الجلبلي المتوفى ١٩٦٠ :

١ - الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية •

• مطبعة النجم - الموصل ١٩٣٥ في ٩٠ ص •

٢ - كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي أنحاء العراق تليها

كلمات كردية وهندية • عنى بنشرها نوري الخيري • مطبعة العاني -

بغداد ١٩٦٠ في ٢٢٣ ص •

داود فتو البغدادي المتوفى ١٩٢١ :

١ - بغية المشتاق الى لغة العراق •

نشر منه فصلا في مجلة لغة العرب ٣ (١٩١٤) ص ٤٨٢-٤٨٥ بعنوان :

الكلمات الكردية في العربية الموصلية •

٢ - معجم عربي انكليزي •

يشتمل على لغة أغلب أهالي العراق • لم يطبع • ذكره رزوق عيسى

في مجلة لغة العرب ١ (١٩١١) ص ٣٢٨ •

داود كوهين :

الفصحى والعامية واللهجات والالحن •

ترجمة الدكتور محمد فريد غازي • مجلة اللغات (تونس ١٩٦٢)

العدد ٥ و ٦ •

دسبارمي :

الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد •

(باللغة العامية) طبع في البلدة - الجزائر ١٩٠٥ في ٢٨٨ ص •

دلاويلا :

قواعد العربية باللغة العامية •

روما ١٦٥٠ •

دوناتني (برونو) :

قواعد العربية المتكلمة في طرابلس •

بولونيا (ايطاليا) ١٩٣٣ •

دي سيقاري :

اصول اللغة العربية العامية والفصحى •

(باللغة اللاتينية) نشره لانكلاز سنة ١٨١٣ بتقيق ميخائيل الصباغ •

ديميرسيمان :

- ١ - قواعد الحقاوة في لغة أهل تونس •
مجلة معهد الآداب العربية (تونس ١٩٤٥) المجلد الثامن •
- ٢ - المنطق الشعبي في تونس •
مجلة معهد الآداب العربية (تونس ١٩٣٧) المجلد الاول •

رحيم عجينة :

الثقافة بين العامية والفصحى • مجلة المثقف (بغداد ، ١٩٥٨ ، العدد الثاني) ص ٥٤-٥٧ •
رزوق عيسى المتوفى ١٩٣٩ :

- ١ - بغية الانام في لغة دار السلام •
مجلة لغة العرب ١ (١٩١١-١٩١٢) ١٢-١٤ و ٤٠٠-٤٠٤ •
- ٢ - مفردات عوام العراق •
مجلة لغة العرب ١ (١٩١١-١٩١٢) ٤٩٥-٤٩٦ و ٢ : ١٦٧-١٦٨ •
- ٣ - المنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد • مجلة لغة العرب ١ (١٩١١-١٩١٢) ٢٥٥-٢٦٠ •
- ٤ - نظرة عامة في لغة بغداد العامية •
مجلة لغة العرب ١ (١٩١١-١٩١٢) ص ٦٩-٧٣ و ١٥١-١٥٥ •

رشاد الخطيب الهيتي :

• الايمان الهيتية

نشر ذيلًا لكتاب الشيخ جلال الحنفي (الايمان البغدادية) ص

• ١٣٥-١٢٩

رشاد دارغوث :

المسرحية بين العامية والفصحى • مجلة الاديب (بيروت ، السنة الثانية

• (١٩٤٣ ، العدد ٦)

رشيد عطية :

١ - الدليل الى مرادف العامي والدخيل •

• مطبعة الفوائد - بيروت ١٨٩٨ في ٣٦٠ ص

٢ - معجم عطية في العامي والدخيل •

• سان باولو - البرازيل ١٩٤٤

رو (ارسين) :

١ - مفردات حوشية عربية وبربرية من المغرب •

• المجلة الافريقية ١٩٣٦

٢ - ملاحظات حول لهجة مسلمي مراكش •

مجلة اوريس ، العدد الثاني (١٩٥٢) ص ٣٧٦-٣٨٤ فيه معلومات

عن لهجة مكناس التي يتكلمها نساء البربر في وسط مراكش • وهذا

الكتاب مطبوع باللغة الفرنسية •

دوسى (اتورى) المتوفى ١٩٥٥ :

١ - العربية العامية في صنعاء •

• روما ١٩٣٩ •

٢ - المفردات القحطانية في لغة اليمن الحالية •

• مجلة الدراسات الشرقية (١٩٤٠) المجلد ١٨ •

روفائيل بطي :

العامية في الشعر والنثر • مقدمة ديوان الكرخي (مطبعة الكرخ -

بغداد ١٩٣٣) الجزء الاول ، ص (س-غ) ، واعيد نشره في مقدمة

هذا الديوان (الطبعة الثانية - مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٦) الجزء

الأول ، ص (ص-ق) •

رينيه باسيه المتوفى ١٩٢٤ :

لهجة واحة سيوه بصحراء طرابلس الغرب • طبع سنة ١٨٩٠ •

ساطع الحصري :

• حول الفصحى والعامية •

• مجلة العلوم (بيروت) ، السنة الثانية ، العدد ٦ •

سامي (توقيع مستعار) :

• لغة العوام أو الخلقيات •

• مجلة المرشد البغدادية ١٩٢٧ •

ستومه :

١ - اللهجة الطرابلسية المغربية •

• (باللغة الالمانية)

٢ - النحو والصرف في اللهجة التونسية •

سقراط اسبيرو :

• الالفاظ الايطالية في العربية العامية المصرية

• طبع بالعربية والانكليزية سنة ١٩٠٤

• سلامة بن عياض المتوفى ٥٣٣ هـ :

• ما تلحن فيه العامة

• سلامة الكفرطابي :

• ما تلحن فيه العامة

• سليم البصري :

• بين الفصحى والعامية

• جريدة العرب (بغداد ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦)

• سموسن (البرت) :

• لهجة عرب هواة في المغرب الأقصى

• سموسه (اي ٠) :

١ - الالفاظ التركية في لهجة الدماشقة العامية •

(نشره المعهد الفرنسي بدمشق) بيروت ١٩٢٩ في ٥٥ ص ، باللغة

الفرنسية وفيه نحو ٦٠٠ لفظة تركية •

٢ - القرقوز في لهجة الدماشقة العامية •

• نشر سنة ١٩٣٧-١٩٣٨

سيانكوفسكي (يوسف) :

• اللهجات العامية العربية

سيمينوف (ف) • :

• منتخبات في اللغة العربية العامية

• (حول اللهجة السورية)

شاكور شكير المتوفى ١٨٩٦ :

• لسان غصن لبنان في انتقاد العربية العصرية

• بعيدا (لبنان)

شرباتوف (غريغوري) :

١ - بعض خصائص اللهجة العراقية •

(باللغة الروسية) نشر في صحيفة الانباء الموجزة لمعهد الاستشراق

السوفيتي ، العدد ٤٠ (١٩٦٠) ص ٩٣-٩٩ •

٢ - الجمل الاستفهامية والمنفية في اللهجة المصرية •

صحيفة الانباء الموجزة لمعهد الاستشراق السوفيتي ، العدد ٢٩ (١٩٥٩)

ص ٥٢-٥٨ •

٣ - معاني وقواعد اللهجة المصرية الحديثة •

• موسكو ١٩٥٥

٤ - منتخبات في اللهجة المصرية •

• موسكو ١٩٥٤

شربونو المتوفى ١٨٨٢ :

• معجم فرنسي عربي على لغة اهل الجزائر

شفيق الكهالي :

١ - اصول اللهجات البدوية •

• مخطوط لدى مؤلفه •

٢ - لغة الشعر البدوي •

• مجلة التراث الشعبي ، العدد ٤-٥ (١٩٦٣-١٩٦٤) ص ٣-١٤ •

شكري اسبير

• قاموس اللغة العامية •

• (باللغتين العربية والانكليزية) •

شهاب الدين الخفاجي :

١ - شرح درة النواص في أوهام الخواص •

• طبع مع الدرّة في مصر سنة ١٢٧٣ هـ ، وفي الاستانة سنة ١٨٨١ •

٢ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل •

• مصر ١٨٦٥ في ٢٤٥ ص ، وبتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي (مكتبة

• الحرم الحسيني) القاهرة ١٩٥٢ في ٢٣٥ ص •

صلاح الدين الصفدي :

- تصحيح التصحييف وتحريير التحريف
- مخطوط في دار الكتب المصرية رقمه ٣٧ (لغة)

طاهر الجزائري :

- التقريب لاصول التعريب
- مصر في ١٥٦ ص

طاهر الطناحي :

- هل في اللغة العامية أدب يستحق البعث • مجلة الهلال (القاهرة ١٩٣٣) الجزء ١٠ ص ١٣٢٥ - ١٣٣١
- طنوس الشمدياق المتوفى ١٨٦٤ :
- معجم الالفاظ العامية
- لم يكمله • ورد ذكره في مجلة الجمعية الشرقية الالمانية ٩: ٢٦٩

عارف النكدى :

- ١ - قاموس اللغات : آراء ومقترحات • مجلة اللغات (تونس ١٩٦٢)
العدد ٩ ص ١٧-١٩ فيه ملاحظات حول بعض الالفاظ العامية المستعملة في البلاد العربية
- ٢ - اللغة العربية بين الفصحى والعامية •
مجلة العلوم (بيروت ، السنة الاولى) العدد العاشر

عامر رشيد السامرائي :

- ١ - بحث في اللهجة العامية *
نشره في جريدة الثورة (بغداد ١٩٦٠) العدد ٣٩٩ و ٤١١ *
- ٢ - اللهجة العامية *
في كتابه : آراء في العربية (مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٥) ص
١٣٠-١٥٠ *
- ٣ - من الفاظ الضرب في سامراء *
مجلة التراث الشعبي (١٩٦٣) الجزء ٣ ، ص ٢٣ *

عباس محمود العقاد :

- ١ - أغراض البحوث في الفصحى والعامية *
مجلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء ١١ ص ٧٥ *
- ٢ - الفصيحة والعامية *
مجلة البلاغ الاسبوعي (القاهرة ٢٢ ابريل ١٩٢٧) واعيد نشره في
كتابه (ساعات بين الكتب) ص ٩٧-١٠٠ *

عبدالجبار محمود العمر :

- * اصول اللهجة البغدادية
- * مخطوطا لدى مؤلفه في بغداد *

عبدالحسن المفوعر السوداني :

- * الايمان العمارية *

نشره في كتاب الشيخ جلال الحنفي (الايمان البغدادية) ص

• ١٢٧-١١٩

عبد الحميد السيد طلب :

• من لهجات الجزيرة وأدبها بالسودان

رسالة جامعية قدمت الى كلية الآداب في جامعة القاهرة سنة ١٩٥٩

• وتقع في ٤٠٠ ص

عبد الحميد العلوجي :

ماسنيون وعامية بغداد • في كتابه (من تراثنا الشعبي) مطبعة دار

الجمهورية - بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٧-٣٧ •

عبدالرحمن أيوب :

١ - الجزء الفعلي في اللهجة المصرية •

(باللغة الانكليزية) بحث قدمه الى جامعة لندن سنة ١٩٤٩ لنيل

• الماجستير

٢ - النظام الفعلي في اللهجة النوبية •

(بالانكليزية) قدمه سنة ١٩٥٢ الى جامعة لندن لنيل الدكتوراه •

٣ - النفي في اللهجة العربية المصرية ، والعراقية ، والسورية ، والاردنية •

• مجلة كلية الشريعة (بغداد ١٩٦٥) الجزء الاول ، ص ١٤٥-١٥٨ •

عبدالرحمن التكريتي :

• قاموس العامية البغدادية •

مخطوط لدى مؤلفه • يقع في ثلاثين دفترًا احتصن كل دفتر بحرف
من الحروف الهجائية •

عبدالرؤوف ابراهيم وسيد علي الالفى :

الخلاصة المرضية في الكلمات العامية وما يرادفها من العربية •
• طبع ثلاث مرات •

عبدالعزیز الاهواني :

الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة •
مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة ١٩٥٧) المجلد ٣ ص
١٢٧-١٥٧ و ٢٨٥-٣٢١ •

عبدالعزیز بنعبدالله :

- ١ - الاصول الفصحى في العامية المغربية •
- مجلة اللسان العربي (الرباط ١٩٦٤) الجزء الاول ص ١٣٤-١٤١ •
- ٢ - الالفاظ العامة المشتركة بين العاميتين في المغرب والشام •
- مجلة اللسان العربي (١٩٦٤) الجزء الاول ص ١٤٢-١٤٨ •
- ٣ - معجم الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية •
- نشره المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط •
- ٤ - نحو تفصيح العامية في العالم العربي •
- مجلة اللسان العربي (١٩٦٤) الجزء الاول ص ١٢-٢٢ •

عبدالعزیز مطر :

- دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر
- رسالة ماجستير قدمت في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٠ ،
في ٣٤٠/١١٠/١٥ ص

عبدالقادر عياش :

- كنايات من الفرات - مطبعة الفرات دير الزور في ٦٤ صفحة
- يشتمل على الف كناية

عبدالقادر المغربي :

- ١ - الاشتقاق والتعريب
• مصر ١٩٠٩ في ١٤٦ ص ، واعد طبعها في القاهرة سنة ١٩٤٧
- ٢ - تصويب كلمات شائعة في اللغة العامية لا وجود لها في اللغة العربية
• مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء التاسع ، ص ٩٧
- ٣ - دراسة في اللهجة المصرية
• مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (١٩٣٦) ، الجزء الثالث ، ص
٢٩٠-٣٠١

عبدالكريم الامين :

- الايمان الناصرية
- نشره في كتاب الشيخ جلال الحنفي : (الايمان البغدادي)
ص ١٥١-١٥٨

عبد اللطيف ثنيان المتوفى ١٩٤٤ :

- معجم اللغة العامية البغدادية
- بخط مؤلفه عند ولده يحيى في بغداد

عبدالله عبدالرحمن :

- كلمات من اللهجات السودانية واصولها العربية
- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ٩ ، ص ١٢٢

عبدالله بن أحمد العذري :

- التذليل والتكميل مما استعمل من اللفظ الدخيل

عبدالمك بن قريب الاصمعي :

- ما يلحن فيه العامة

عبد المنعم الفلامي :

- مستدرك الايمان الموصلية

نشره في كتاب الشيخ جلال الحنفي : (الايمان البغدادية) ص

• ١١٨-١٠٩

عزيز الحجية :

- قاموس ابن الحجية في العامية البغدادية
- مخطوط لدى مؤلفه في بغداد

علي بن بالي :

- خير الكلام في التخلص من غلط العوام
- منه مخطوطة في مكتبة الفاتح بالاستانة

علي بن حمزة الكسائي :

- ما تلحن فيه العامة
- ويسمى : رسالة في لحن العامة
- حققها ونشرها عبدالعزيز الميمنى الراجكوتي في كتاب (ثلاث رسائل) بمي ١٣٤٤ هـ ، ونشرها المستشرق بروكلمان في مجلة الآشوريات المجلد ١٣ ص ٣١-٤٦

عمار مصطفى نافع يحيى :

- لغة الاذاعة بين العربية والعامية
- نشر حوله بعض الملاحظات المستشرق الروسي يعقوب فيلنتسيك في مجلة المكتبة الشرقية العدد ١٠ (١٩٣٧) ص ١٩٧-١٩٨

عمانويل ماتسون :

- دروس صوتية على لهجات العامية في بيروت

عمر بن مكى الصقلي :

- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان
- مخطوط في خزانة مراد ملا باستانبول ، رقمه ١٧٢٥ ، ومنه في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة صورة على ميكروفيلم . وكتب عنه بحثا

المستشرق الايطالى اوميرتو ريزيتانو ، ونشر مقدمة الكتاب في مجلة الدراسات الشرقية للآباء الفرنسيسكان (القاهرة ١٩٥٦) العدد ٥ في ٢٧ ص •

عميسى اسكندر المعلوف المتوفى ١٩٥٦ :

١ - اللغة العربية العامية وآدابها •

• نشر في عشرات الاعداد من جريدة المنار البيروتية سنة ١٨٩٨ •

• (وهي اعداد السنة الاولى) •

٢ - اللهجة العامية في لبنان وسوريا •

مجلة مجمع اللغة العربية الملكى (١٩٣٩) الجزء الرابع ، ص

• ٢٩٤-٣١٥ •

٣ - اللهجة العربية العامية •

• مجلة مجمع اللغة العربية الملكى •

(القاهرة ١٩٣٤) الجزء الاول ، ص ٣٥٠-٣٦٨ ، والجزء الثالث

• (١٩٣٦) ص ٣٤٩-٣٧١ •

٤ - معجم الاصطلاحات العامية •

• معجم الالفاظ العربية العامية والدخيلة •

٦ - معجم العامي والدخيل •

في نحو ٢٠٠٠ ص كبيرة • لا يزال مخطوطا • نشر امثلة منه في مجلته

(الآثار) ٤ : ٤٠ فما بعد •

عيسى الناعوري :

- العربية بين الفصحى والعامية
- مجلة اللغات (تونس ١٩٦١) العدد ٤ ، ص ٥-٧

غريفييني (أي ٠) المتوفى ١٩٢٥ :

- ١ - التحفة اللوية في اللغة العامية الطرابلسية •
(معجم ايطالي طرابلسي ضمنه عشرة آلاف كلمة ، و صدره بنسخة
في قواعد اللهجة الطرابلسية) ميلانو ١٩١٣ •
- ٢ - العربية السواحلية •
مجلة الكتاب المقدس (١٩١٦-١٩١٨) المجلد ٧ •

غلازر (ادوارد) :

- باء المضارعة في اللغة العامية
- طبع سنة ١٩٠١ في ١٦ ص
- فازينا (ج ٠) المتوفى ١٩٤٧ :
- قواعد اللغة المصرية العامية
- فان ايس (جون) المتوفى ١٩٤٩ .
- عامية ما بين النهرين
- اكسفورد ١٩٣٠ في ٢٥٦ ص (بالانكليزية) •

فايسباخ (ف٠ ه٠) :

- ابحاث في اللهجة العربية في العراق • (بالالمانية) ليزك ١٩٠٨ •

فردينويس (فيدريكو) :

• الالفاظ الايطالية المشتقة من اللغة العربية

• نابولي ١٩٠٦ في ١٠٨ ص

فرنكل :

• الكلمات الآرامية الدخيلة في العربية

• لايدن ١٨٨٦

فك (يوهان) :

• العربية : دراسات في اللغة والمهجات والاساليب

• ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار • القاهرة ١٩٥١ ، في ٢٩٠ ص

فورلاني (جيوسب) :

• مباحث عامية

فولف (فيليب) :

• دليل السياح لمصر والشام وفلسطين

• ضمنه كثيرا من اصول العامية في القطرين

فيشر (اوغست) :

• ثلاث مقالات في اللهجات العامية

• نشرت في مجلة المعهد الشرقي ببرلين في مجلدتها الاول والثاني

(١٨٩٨-١٨٩٩) وهي :

١ - اسماء السلاح والسكاكين في المغرب الأقصى ووصفها •

- ٢ - امثال مراكشية بالعامية المغربية •
 ٣ - نبرة الصوت باللهجة المغربية (وهذه ايضا طبعت في لبيسك سنة
 ١٩١٧) •

فيصل عمران القاضي :

- العامية والادب
 • مجلة الثقافة (القاهرة ١٩٦٣) العدد التاسع ، ص ٢١-٢٥ •

فيليب حتي :

- اللغات السورية المحكية في سورية ولبنان
 • بيروت ١٩٢٢ في ٤٦ ص •

فيلينتشيك (يعقوب) :

- ١ - اشكال عربية قديمة من القرينة في اللهجة السورية الدارجة •
 نشرت في سجلات جماعة المستشرقين في المتحف الآسيوي التابع
 لأكاديمية العلوم الروسية (١٩٢٧) المجلد الثاني ص ٢٤٩-٢٥٦ •
 ٢ - حول العمل على وضع قاموس اللهجات العربية العامية في الشرق
 الأدنى •

- مجلة الابحاث الشرقية السوفيتية (١٩٤١) العدد الثاني ص ٢٢٨-٢٥١ •
 ٣ - دراسات في الاصوات التاريخية للهجات العربية العامية •
 نشرت في محاضرات اكاديمية العلوم السوفيتية (سلسلة ج) ١٩٢٧
 رقم ١ ص ١-٦ ورقم ٨ ص ١٥٧-١٦١ •

- ٤ - نظام احرف اللين في اللغة العربية العامية في مدن سورية وفلسطين .
 نشرت في سجلات جماعة المستشرقين في المتحف الآسيوي (١٩٣٦)
 المجلد ٦ ص ١٣٣-١٤٠ .

كاظم الدجيل :

- ١ - السفن العراقية .
 ضمنه اجزاء السفن وأسماءها ورجالها ومصطلحاتهم .
 نشرت فصول منه في المجلدات ٢ و ٣ (١٩١٢-١٩١٣) من مجلة لغة
 العرب البغدادية .

كاتينو (جان) المتوفى ١٩٥٦ :

- ١ - بعض لهجات بدو العرب في الشرق .
 منشورات كلية الآداب في الجزائر (١٩٣٦-١٩٣٧) .
 ٢ - تأملات في اللهجات العربية .
 مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٣٧) المجلد ١٥ .
 ٣ - تعليق على بعض اللهجات البدوية في سوريا وفلسطين طبع سنة
 ١٩٣٧ .

- ٤ - تحليل صوتي للعامية العربية في قابس .
 نشرته الجمعية اللغوية في باريس سنة ١٩٥١ .
 ٥ - الجغرافيا اللغوية للعامية العربية في الجزائر .
 المجلة الافريقية (١٩٣٦) .

- ٦ - العامية العربية في محافظة الجزائر وفي أراضي الجنوب •
 • المجلة الافريقية (١٩٣٧-١٩٤١)
- ٧ - العربية العامية وتعليمها في الجزائر •
 • المجلة الافريقية (١٩٣٨)
- ٨ - لغة حلب •
 • نشرته الجمعية اللغوية بباريس سنة ١٩٤٩
- ٩ - لغة عرب حوران
 • نشرته الجمعية اللغوية بباريس سنة ١٩٤٦ في ٤٣٥ ص مع ذيل
 • بخرائط جغرافية للمناطق
- ١٠ - لهجات البدو السوريين واللبنانيين والفلسطينيين •
 • نشرته الجمعية اللغوية بباريس سنة ١٩٣٩
- ١١ - لهجات شمالي افريقيا •
 • طبع سنة ١٩٤٠
- ١٢ - لهجة دروز حوران •
 • حوليات معهد الدراسات الشرقية (١٩٣٨)
- ١٣ - لهجة عرب تدمر •
 • في جزئين (منشورات المعهد الفرنسي بدمشق) بيروت ١٩٣٤ •
- كمبفماير (جورج) :
- ١ - لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب جزيرة العرب •

- ٢ - مواد لدرس لهجة عرب البدو في افريقيا المتوغلة •
(باللغة الالمانية) برلين ١٨٩٩ •

كوسان دي برسيفال المتوفى ١٨٧١

- غراما طيق اللغة العامية •
• باريس ١٨٢٤ •

كولان (جورج سافن) :

- ١ - لغة موريتانيا العربية •
• مجلة هسبيريس ١٩٣٠ •
٢ - اللهجة العربية الاسبانية والمغربية •
• مجلة هسبيريس ١٩٣٠ •
٣ - وثيقة جديدة عن اللهجة العربية في المغرب في القرن الثاني عشر •
• مجلة هسبيريس ١٩٣١ •

كوينز (شارل) :

- أثر اللغة البربرية في عربية المغرب •
• مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ٨ ص ٣٢٦ •

لابان - جوانفيل (ج) • :

- الالفاظ العربية العامية في المغرب •
• مجلة هسبيريس ١٩٥٥ •

ليه وإبراهيم السمراني :

- العربية السورية المحكية

لندبرج (كارلو) :

- العربية ولهجاتها

رسالة باللغة الفرنسية قدمها لمؤتمر المستشرقين الدولي الرابع في

- الجزائر ١٩٠٦

لوهـر (ماكس) :

- اللهجة العربية العامية في القدس

- (باللغة الألمانية) طبع سنة ١٩٠٥ في ١٤٤ ص

- وهو يميز بين لهجات القدس والشام ومصر

لويس شيخو اليسوعي :

- حقوق اللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة

- بيروت ١٩٢٥ في ١٦ ص

ليتمان (انو) :

- ابحاث في العامية

- وضعها بالاشتراك مع ماسينيون

م • عبيد :

- الكلمات العامية وما يقابلها من العربية الفصحى والانكليزية

- مصر ١٩٠٨ في ١٦ ص

مارسيل (يوحنا يوسف) :

• كنز المصاحبة .

معجم فرنسي عربي باللغة العامية • طبع في باريس سنة ١٨٣٧ في ٥٧٤

ص • فيه لهجات تونس ومراكش ومصر • مرتب على حروف المعجم •

مارون غصن :

١ - درس ومطالعة •

نشر سنة ١٩٢٥ وفيه بحث عن العامية ووجوب تحويل الفصحى

اليها • يقع في ٧٠ ص •

٢ - اللغة العامية •

ماسينيون (لويس) المتوفى ١٩٦٢ :

• تعليقات على لهجة بغداد العربية •

(باللغة الفرنسية) نشر في مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (١٩١٤) المجلد

٢ ص ١ - ٢٤ • ترجمه الى العربية الدكتور أكرم فاضل (مطبعة الرابطة

- بغداد ١٩٦٢) في ٨٠ ص •

ماشويل (ل) المتوفى ١٩٢٢ :

• الدليل لتعلم العربية الدارجة في المغرب والمملكة التونسية •

• طبع لأول مرة سنة ١٩٠١ ، واعد طبعه سنة ١٩١٣ •

مايسنر (برونو) :

• حكايات عربية حديثة من العراق •

(بالألمانية) ليسك ١٩٠٣ في ١٤٨ ص • وهو مذيّل بقاموس يجمع
بين الألمانية والعامية البغدادية •

مجهول :

• جامع التعريب بالطريق القريب
ذكر لي الأستاذ عبدالله الجبوري ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة
الاقواق ببغداد ، رقمها ٦٠١٥ وهو يعتقد انه لاحد علماء القرن الحادي عشر •

مجهول :

• الجمانة في ازالة الرطانة
• تحقيق حسن حسني عبدالوهاب • مصر ١٩٥٣ •

مجهول :

• مرادف العامي والدخيل
وضعت اللجنة العلمية بنادي دار العلوم • وقد نشر في العدد الثاني
من السنة الثالثة لصحيفة نادي دار العلوم سنة ١٩١١ •

محسن الحبيب :

• الايمان التونسية
• مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦٢) العدد ٣٦ •

محمد بن أبي السرور الصديقي :

• القول المقتضب في ما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب
• منه نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية •

محمد أديب السلاوي :

- مشكلة الصراع بين الفصحى والعامية في الوطن العربي
- مجلة اللسان العربي (الرباط ١٩٦٥) العدد الثالث ص ٧١

محمد الامين المجبي المتوفى ١١١١ هـ :

- قصد السبيل فيما في العربية من الدخيل
- لم يتمه • وصل فيه الى حرف الميم
- منه نسخ مخطوطة في مكتبة اسعد افندي رقم ٢٣٥٣ وفي الخزائن
التيمورية بدار الكتب المصرية ، وفي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة
رقم ٩٨ في ٢٥٠ ص

محمد بهجة الاثري :

- ١ - شاعرية البناء •
تناول فيها تأثير العامية على الشاعر عبدالرحمن البناء • نشرت في مقدمة
ديوان البناء (ذكرى استقلال العراق) مطبعة الفرات - بغداد ١٩٢٧ •
- ٢ - العامية والفصحى •
ديوان الكرخي (مطبعة الكرخ - بغداد ١٩٣٣) الجزء الاول :
مقدمة الديوان ص (ت-ل) ، واعيد نشره في مقدمة الديوان (الطبعة
الثانية ، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٦) الجزء الاول ، ص (ط-م) •
- ٣ - اللغة العامية العراقية •

مجلة الزينقة (بغداد ١٩٢٢) العدد الثالث ، ص ٨٦ •• تناول فيه

• اصول واستعمال (افندي ، ملا ، بريد ، حب)

محمد بن جزى الكلبي :

• الفوائد العامة في لحن العامة

محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى ٣٧٩ هـ :

• لحن العامة

محمد الحسني :

• محو الالفاظ العامية

• طبع على الحجر في مصر ١٩٠٧ في ١٦ ص

محمد بن خليل التونسي المتوفى ٧١٦ هـ :

• لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام

• منه نسخة مخطوطة في مكتبة برلين رقمها ٢٠٣٧

محمد داود

• معجم اللغة العامية بتطوان

• مجلة اللسان العربي (الرباط ١٩٦٥) العدد ٣ ، ص ٢٦٢-٢٦٦

محمد رضا الشيبيني :

١ - اصول الفاظ اللهجة العراقية

• بغداد ١٩٥٦ في ١١٧ ص

- ٢ - بين الفصحى ولهجاتها
- مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء ٩ ص ٨٠
- ٣ - لهجات الجنوب (العربي)
- القاهرة ١٩٦١ في ٣ ص
- ٤ - اللهجات الشائعة في اللغة العربية
- مجلة التراث الشعبي (١٩٦٣) الجزء ٣ ، ص ٣

محمد رؤوف الغلامي :

- الايمان الموصلية
- مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦٢) العدد ٣٨ ونشر في كتاب الشيخ جلال الحنفي (الايمان البغدادية) ص ٨٩-١٠٨
- محمد سعيد مصطفي الخليل المتوفى ١٩٣٣ :
- اللغة العامية العراقية
- مخطوط لف الغموض مصيره ، ويقال ان المرحوم عبداللطيف ثيان اتخذه أساسا في وضع معجمه

محمد بن شنب :

- الالفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية
- محمد صديق حسن خان المتوفى ١٨٨٩ :

لف القمطاط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط .

محمد بن علي الأزدي :

• لحن العامة •

محمد علي الدسوقي :

• تهذيب الالفاظ العامية •

(الطبعة الاولى) الجزء الاول ، مصر ١٩١٣ في ١٨٥ ص ، والجزء

الثاني ١٩٢٣ في ٣٨٠ ص • (الطبعة الثانية) مطبعة الواعظ - مصر ١٩٢٠

(الجزء الاول) في ٣٢٨ ص •

محمد عمر التونسي المتوفى ١٢٧٤ هـ :

• الشذور الذهبية في الالفاظ الطيبة •

وهو معجم للمصطلحات العامية • منه نسخة مخطوطة في مكتبة

باريس الوطنية تقع في ٦٠٠ ص وعنهما نسخة مصورة في دار الكتب المصرية •

محمد عياد الطنطاوي المتوفى ١٨٧١ :

• رسائل في العربية العامية •

• طبع بعضها في ليسك سنة ١٨٤٨ •

محمد فريد أبو حديد :

• موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى •

• مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ٧ ص ٢٠٥ •

محمد النهال الحلبي :

• الطراز المذهب في الدخيل المعرب •

منه نسخة مخطوطة في خزانة عارف حكمة بالمدينة رقمها ٨٣ • تقع
في ٣٧٠ ص •

محمد يوسف الرومي :

ظاهرة فروق النطق في اللهجة الكويتية •
مجلة الكويت (العدد ٩١) ١٦ أغسطس ١٩٦٦

محمود تيمور :

- ١ - سلطان اللغة العربية أو رأي في الصراع بين العامية والفصحى •
مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ١١ ص ٦٣ •
- ٢ - لغة المسرح بين الفصحى والعامية •
مقدمة مسرحية (المخبأ ١٣) مطبعة الهلال (القاهرة ١٩٤٩) الطبعة
الثالثة •

مخمليانو أ • سنطون :

- نصوص عربية في لغة العرائش العامية •
- جمع فيه لغة العرائش في مراكش سنة ١٩١٠ •

مرسيه (ل •) :

- ١ - أثر لغات البربر والاسبانية في اللهجات العربية المغربية •
طبع سنة ١٩٠٦ •
- ٢ - العربية العامية في جنوب وهران •
قدمه لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر ١٩٠٥ •

مصطفى جواد :

- اللغة العامية العراقية
- مجلة لغة العرب ٨ (١٩٣٠) ص ١١٥-١١٧ و ١٩٩-٢٠١ و ٦١٠-٦١٢

مصطفى الشهابي (الامير) :

- المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد
- مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء ١٣ ص ١١١
- معروف الرصافي المتوفى ١٩٤٥ :

- ١ - اسم الفاعل في لغة عوام العراق
- مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ص ٦٨٣-٦٨٨
- ٢ - تصنيف المصنف المقرون في لغة عوام العراق
- مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ص ٢٠٣-٢٠٧
- ٣ - تصنيف المضارع السالم في لغة العوام
- مجلة لغة العرب ٥ (١٩٢٧) ص ٥٤١-٥٤٣
- ٤ - دفع المراق في كلام أهل العراق
- نشرت منه فصول عديدة في المجلدات ٤-٦ من مجلة لغة العرب (آب ١٩٢٦ - أيلول ١٩٢٨) وفي جريدة حيزبوز البغدادية (السنة الاولى) ١٢ كانون الثاني - ٢٣ شباط ١٩٣٢
- ٥ - دفع الهجئة في ارتضاخ اللكنة

فيه الالفاظ التي استعملها الاتراك على غير اوضاعها العربية في لغة
الدواوين • طبع في استانبول سنة ١٩١٢ في ١١٢ ص على نفقة مجلة
لغة العرب •

٦ - الرباعي المجرد في لغة عوام العراق •

• مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ص ٥٢١-٥٢٤ •

٧ - الضمائر في كلام عوام العراق •

• مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ٤٦٠-٤٦٥ •

٨ - الفعل في لغة عوام العراق •

• مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ٥٩٦-٥٩٩ •

٩ - الفعل المعتل في لغة عوام العراق •

• مجلة لغة العرب ٥ (١٩٢٧) ١٤٧-١٥٠ •

١٠- الكنية العامية •

• مجلة لغة العرب ٤ (١٩٢٦) ١٤٠-١٤٦ •

١١- لا همز في لغة عوام العراق •

• مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ٣٣٣-٣٣٥ •

١٢- المضارع في لغة العوام •

• مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ٣٤٧-٣٥٠ •

١٣- الوصل في لغة عوام العراق •

• مجلة لغة العرب ٤ (١٩٢٦) ٤٠٣-٤٠٥ •

مكارثي (الاب رتشرد يوسف) :

• العامية البغدادية

(بالانكليزية) في جزئين ، بيروت ، الاول ١٩٦٤ في ٥٤٨ ص ، والثاني

• ١٩٦٥ في ٥٩٧ ص • وضعه بالاشتراك مع فرج رفولى مراد •

ملنجو :

• نصوص بلغة دمشق

• المجلة الآسيوية (باريس ١٩٢٤)

ميخائيل الصباغ المتوفى ١٨١٦ :

١ - الرسالة التامة في كلام العامة •

• عنى بنشرها المستشرق هنريك تربكه (ستراسبورج ١٨٨٦)

٢ - المناهج في أحوال الكلام الدارج •

ميخائيل عطايا :

• المرشد الى دراسة اللغة العربية العامية (اللهجة السورية)

• (باللغة الروسية) موسكو ١٩٢٣

ميخائيل الفغالي :

١ - درس في صريانية لبنان وعريته العامية •

• باريس ١٩١٨

٢ - العربية العامية •

٣ - لهجة أهل كفر عيدا في لبنان •

• باريس ١٩١٩ •

• ن (توقيع مستعار) :

• من الاصول الفارسية للعامية البغدادية •

• مجلة المعلم الجديد (بغداد ١٩٥٧) الجزء ٣ ص ٩٥ •

• ناجي علي محفوظ :

• المضاف والمنسوب في عامية بغداد •

• مخطوط لدى مؤلفه في بغداد •

• نجيب حداد :

• الكلمات العربية في اللغة البرتغالية •

• نشرها في جريدة (الجديد) العربية في البرازيل سنة ١٩١٤ في اعداد

• متفرقة •

• نجيب نجم كرم :

• القاموس العامي •

• مصر ١٩٣١ في نحو ١٠٠ ص •

• نعوم فائق الآمدي :

• مجموعة الالفاظ السريانية من العربية العامية فيما بين النهرين •

• نيويورك ١٩٢٤ في ٢٩٤ ص •

نفروتسكي (م ٠) :

• اللهجة المصرية العربية العامية

نفوسة زكريا سعيد :

- تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في القرن الاخير في مصر
- قدم في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٨ لنيل الدكتوراه
- يقع في ٣٥١ ص

نلينو (كارلو) المتوفى ١٩٢٨ :

- ١ - قواعد ومفردات العربية العامية المصرية
- ميلانو (الطبعة الاولى) ١٩٠٠ و (الطبعة الثانية) ١٩١٣
- ٢ - ملحوظات في اللهجة العربية التونسية
- نشرت في مجلة المشرق الايطالية (روما ١٨٩٥) المجلد الثاني ص
- ١٤٣-١٣١

نوري حمودي القيسي :

- الفصح الجاهلي في العامية البغدادية
- مجلة كلية الشريعة (بغداد ٦٥-١٩٦٦) العدد الثاني ، ص
- ٣٠٠-٢٨٨

ه ٠ ن :

- قاموس اللغات
- مجلة اللغات (تونس ١٩٦١ ، ١٩٦٢) العدد ٤ و٩ قارن فيه بين

الالفاظ العامية المستعملة في تونس ولبنان والجمهورية العربية المتحدة
والعراق وما يقابلها من الفصحح

هادي كمال الدين :

• الايمان الحلية

مجلة المعرفة (بغداد ١٩٦٢) العدد ٤٠ ، ثم نشرها في كتاب الشيخ

• جلال الحنفي (الايمان البغدادية) ص ٦٧-٨٧

هارتمان (مارتن) :

• أهمية جمع خواص الكلام الدارج

• مجلة المشرق (بيروت ١٨٩٨) المجلد الاول ، ص ٧٩٠ و ١١٠١

هربان (أ) (٠) المتوفى ١٨٠٦ :

• اصول اللغة العربية العامية

• طبع في فرنسا

هس (ج ٠ ج ٠) :

• بحث في لغة نجد الحالية

• عرض على مؤتمر المستشرقين في اثينا سنة ١٩١٢

هوداس :

• لغة الجزائر العامية

واغونر (ميريل ي ٠ فان) :

• اللهجة العربية العراقية

(بالانكليزية والعامية البغدادية) نيويورك ١٩٤٩ في ٢٢٠ ص ، ومذيل

• بمعجم انكليزي عربي (علمي)

وفاء محمد :

• التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية

• القاهرة ١٨٩٢ في ١١٩ ص

• ولهم سبتا بك المتوفى ١٨٨٣ :

• اجرومية العربية العامية في مصر

ويلمور (سلدن) :

• لغة مصر العربية الشفاهية

• يحيى بن زياد الفراء المتوفى ٢٠٧ هـ :

• البهاء فيما تلحن فيه العامة

يهودا (أ س) :

• عامية بغداد

• نشره في (دراسات شرقية) المجلد الاول (١٩٠٦) ص ٣٩٩-٤١٦

يوريار (لاون) :

• لغة حلب العامية

• برلين ١٩٠١

يوسف وبطرس حبيقة :

دوائر اللغة السريانية في اللغة العربية العامية • في جزئين • طبع
الاول سنة ١٩٠٢ والثاني ١٩٠٤ •

يوسف حرفوش :

معجم العربية الدارجة •

يوسف غنيمه :

الالفاظ الارمية في اللغة العراقية العربية •
مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ٢٦٥-٢٧٤ و ٣٢٩-٣٤٢ و ٤٠٦-٤١٠
و ٤٦٥-٤٧٠ و ٥٣١-٥٣٢ و ٥٨٤-٥٨٨ •

يوسف المغربي :

رفع الاصر عن لغات أهل مصر •
يبحث في عامية مصر • مخطوطة بقلم المؤلف في خزانة الجامعة
الروسية ، وكانت من كتب محمد عياد الطنطاوي • ومنه قطعة بالخزانة
التيمورية في دار الكتب المصرية •

يونس السامرائي :

١ - الالفاظ الدخيلة في عامية سامراء •
مخطوط لدى مؤلفه ، تناول فيه الالفاظ الكردية والهندية والآرامية
والتركية والفارسية والانكليزية •

٢ - الايمان السامرائية *

نشره في كتاب الشيخ جلال الحنفي (الايمان البغدادية) ص ١٣٥-١٥٠

٣ - الكنايات العامية في سامراء *

مخطوط لدى مؤلفه أعده للطبع *

٤ - معجم اللغة العامية في سامراء *

مخطوط لدى مؤلفه ويقع في خمسة دفاتر *

نذُورٌ مِنَ بَغْدَادِ

تتزوج المرأة البغدادية ، كأيّة امرأة ، لتجبل .. فاذا جبلت ، املصت وعندئذ تقرر عينا بمن سيوطد معها وشائج البعل على صعيد الحياة الزوجية . وهي اذ تلد بسهولة وبلا عسر - بعون الاطباء ورعايتهم ونصحهم - يعيش طفلها آمنا من جوع ومرض ، فاذا اكتحلت بهذه النعمة استطاعت ان تملأ بيتها أطفالا دون ان تنذر للاولياء ما تقي به النسل سُسر العين أو شبح الموت أو غوائل الايام . وكهذه المرأة لا بد ان تكون سعيدة ، تقضي أيامها ، حبلى واما ، بلا اسرار .. ولكن اذا ارغمها ظرف قاهر على ولادة مبتسرة أو وقعت تحت طائلة اجهاض .. استبد بها عذاب اليم ، وتمنت لو ان الموت قطف روحها قبل ان يغيب وليدها في لحد لا يقوى على حمل شاهد ..

وهذه الحبلى اذا أرادت ان تصون جنينها عن ضاغوط الولادة العسرة ،
وتنفخ فيه من روح الحياة •• فانها تروض نفسها على شرب نقيع الزهرة
المشهورة باسم (كف مريم) ، وهي زهرة برية معروفة في الوسط النسائي
البغدادي •• اعتادت البغداديات ان يشاهدنها على العفن مفتحة كأصابع
اليد •• ولكنها عندما تقطع تذبذب وتنكمش على نفسها ، فيضعنها في الماء ••
لتدركها الحياة من جديد وتفتح كما لو انها كانت في غصنها •• وبهذا
الماء ترجو الحبلى سهولة الولادة •

اما الاجهاض فهو المنذر بموت الجنين ، ولربما ماتت الحبلى أيضا ،
في احدى المراحل التي يمر بها الجنين •• وقد عرفته المرأة البغدادية
باسم (الطرح) ، فالتى تخاف ان تطرح ما في الرحم في شهوره الاولى
ينبغي لها ان تحمل صيدا • والصيد هو عصفور ميت يخرج (الشيخ)
من فم الحية بعد ان تلتقمه •• ولكي يتأذى لهذا الشيخ الحصول على صيده
يجب ان يترصد الحية اينما سارت ، فاذا وجدها تطلع فريستها مسكها من
العنق ليضيق الخناق عليه ، فعندئذ تقيء الحية ، ويخرج العصفور جثة هامدة
يستقبلها الشيخ بقطعة من قماش الخام قبل ان يستغرقها الهواء •• ثم يكفنها
بعد ذلك ، بحجاب من الجلد ليبيعه بضمن محترم لأية حبلى تفتش عنه، وحين
تشتريه احداهن تحمله معها دائما وهي احرص عليه من عنكبوت على ذبابة
حتى اذا اشرفت على الولادة كتمته في مكان امين بعيد عن الانظار •• وعندئذ
تلد دونما ألم او صعوبة •

ومن الحبالى من اذا املصت جنينها عاش يوما او اسبوعا او سنة ليموت

بعثذ تاركا وراءه قلبا تمزقه الحشرات .. ودرءا لهذه الكارثة تعلق الجبلى التي لا يعيش لها طفل جريّة (وهي نوع معروف من السمك) في بداية الشهر السابع .. وبعد الولادة تنزل الجريّة من مكانها ، ثم تكفنها وتنطلق بها الى احدى المقابر لتدفنها تعويضا عن طفلها الذى ستدفنه حتما لو لم تشق هذه الجريّة ، وتلحدها •

ومنهن ايضا من يعصمن الطفل من موت اكيد بتطويق ارجلهن خلال الشهر الاول من الحمل بخصر (وهو سيفة بعرض الابهام) حيك بمنم (وهو خرز صغار ، دقيق ، ذو الوان مختلفة جذابة) ويلازم هذا الخصر ارجلهن ما دمن على قيد الحياة ، فاذا ادركه العطب او الهلاك بدلته بأخر .. وهكذا وباستطاعة ولدها الذى كان علة هذا الخصر ان يراه على رجل امه وهو يداعب اطفاله !

وقد تلظم من لا يعيش لها طفل زاكورا (وهو خرزة زرقاء كبيرة كالتي تشاهد على رقاب الحمير) في طرف فوطتها السوداء وتعدها عليه ، أو تعلقه بخيط على زلفها بالقرب من الاذن ، وتظل تحمل هذا الزاگور حتى يدركها الموت •

وبين الجبالى اللاتي يفقدن اطفالهن قسرا من يتاولن قطعة الململ (قماش من الخام الشفاف) ويشققن لها زيقا ثم ينقعنها بمزيج من الدباغ والعفص وقشور الرمان والحناء والزعفران بعد غليه في الماء ، ويجففنها في الهواء مع ما علق بها من هذا المزيج ، فاذا ولدن لف المولودون بهذا القماش

الرقيق الحافل بالاوزاخ التي سدت مسد (البودرة) ليوажوها الحياة بقوة
لا يجد الموت سبيلا اليها •

والتي اعتادت ان ترى اطفالها يموتون بعد ولادتهم ببرهة من الدهر
تستنفد الوسع في الحصول على سبعة مسامير تعلقها من سبعة جسور ليصنع
لها الحداد منها حجلا تطوق به رجلها مدى الحياة •• والجدير بالتويه ان
بغداد لم تكن في وقت سيادة هذا العادة منظوية على سبعة جسور فكانت
الجبلى تغادر هذه المدينة الى مناطق عراقية أخرى على انهيارها جسور ••
لتقلع ما ينقصها من مسامير •• ومن هنا خراب الجسور وتفككها وبوارها
في العهد العثماني •

وقد تجمع الجبلى ثلاثمائة وثمانية أشياء من خيوط وازرار واعواد
وتقود واقمشة وجلود وخرز وغير ذلك •• واي شيء من هذه المجموعة
يستقل بلون خاص لا يشبه لون الشيء الآخر ، ثم تضعها في كيس تخطيه
عليها كالحجاب •• وحين يطل الجنين على حياته الجديدة تضع امه هذا
الكيس في وسادته مدة لا تتجاوز أربعين يوما ، ثم ترفعه بعد ذلك لتحفظه
في حرز حريز •• وهي بهذا السلوك انما تقي وليدها من (الجبسة) التي
تنفث شؤمها عليه عين التي (روجت) شقتها بالاحمر أو الديرم والتي
صبغت شعرها بالوسمة أو بالحناء والتي تحمل بين يديها شيئا ذا لون ظاهر
كالكر كم وقد تسخر من ° تفجع باطفالها صفارا - عن طريق النذر - مانعرف
من قوى خفية خارقة في حماية الاكباد الماشية على الارض •• فقد تنذر
لكائن غيبي أن تأكل خرد طفلها بلا اشمزاز ولا غثيان •• وقد تنذر حين

يبلغ رضيعها من العمر ثلاثة أيام أن ترتدي ملابس رثة قدرة وتستجدي
الناس من سبعة بيوت تطرق أبوابها دونما حياء • وبما تحصل عليه من نقود
تشتري من الطعام ما يستقيم عشاء لتأكله وتحمد الله ••

وقد تنذر أن ترتدي عباءة وملابس وجوارب بادية الرثانة والقذارة ،
وتستجدي ثلاثة أشخاص من جلاّس المقهى ، وبما يمنوا عليها به تشتري
قطعة من القماش كسوة لطفلها ، فإذا كانت النقود قليلة لا تكفى لشراء
القماش المأمول •• فإنها تشتري اما (گاورية) أو (عرقجين) أو غيرهما
من البسة الرأس الخاصة بالاطفال •

هذا ما وقفت عليه من ندور النساء اللاتي يقطنن كرخ بغداد ضمن
المنطقة المحصورة بين محلات : الجعيفر والرحمانية والشيخ علي
والمشاهدة •• وعسى أن اوفق في دراسة اخرى الى اقتناص ما يجب اقتناصه
على هذا الصعيد ••

صَفِيُّ الْمَشَقَّرِ

بعد أن رأينا الجاحظ يجعل أحمد بن عبد الوهاب ، في رسالة التربيع والتدوير ، أسنَّ من لُبْد^(١) ، رأيناه أيضا يفرض عليه أن يعاصر حصنا قديما من حصون البحرين •• ليعيش أيامه السود هناك •• حيث كان الغدر يترصد أشراف العرب ، والصوارم تتخطف أرواحهم ، والسلطان الاجنبي يعيث فسادا في معاقل العروبة •

انه نادى ابن عبد الوهاب : يا صفيَّ المشقَّر !! •• والصفى ، لغة ، هو الحبيب المصافي^(٢) ، او الخالص من كل شيء ، أو ما اختاره الرئيس

(١) راجع الصفحات ٧٣ - ٨٧ من هذا الكتاب •

(٢) الشرتوني : اقرب الموارد (مطبعة مرسلتي اليسوعية - بيروت

١٨٨٩ ، ١ : ٦٥٣ •

لنفسه من الغنيمة^(٣) •

والمشقر مثار خلاف بين المصادر العربية ، وهذا هو الذي أغرى الجاحظ بأن يخلع على احمد بن عبدالوهاب صفة المعمر ، الحي ، الباقي ••
ليشرف على دنياه من نافذة مكان يقال له « المشقر » ، كأنه مأخوذ من الشقرة - وهي الحمرة - أو من الشقر وهي شقائق النعمان^(٤) •

واختلف البلدانون العرب في تحديد الواقع العماري أو الجغرافي للمشقر ، فذهب بعضهم الى انه فيما بين نجران والبحرين دون أن يصفوا معاملة^(٥) • وحين قال امرؤ القيس يذكر الشام :

والمكرعات من نخيل ابن يا من دوين الصفا اللائي يلين المشقرا
وقف ياقوت الحموي مشدوها أمام هذا المنطق الجغرافي المتهافت ، ولم يملك الا أن يقول : لعله شبه بالمشقر موضعا في الشام ، أو أراد انه رحل من المشقر الى الشام^(٦) •

(٣) «الزمخشري : أساس البلاغة (مطبعة اولاد اورفاند - القاهرة ١٩٥٣) مادة : صفو ، ص ٢٥٦ • ولويس معلوف : المنجد (المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠) مادة : صفا ، ص ٤٢٩ •

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان (مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٠٦) ٨ : ٦٤-٦٥ •

(٥) حتى ان ابن الفقيه حين أشار الى المسجد الجامع قال : انه في المشقر • (مختصر كتاب البلدان / تحقيق دي غويه - ليدن ١٨٨٥ ، ص ٣٠) •

(٦) معجم البلدان ٨ : ٦٦ •

وذهب آخرون الى انه حصن^(٧) ، أو قصر كالحصن ، أو هو حصن هجر من أرض البحرين^(٨) ، أو حصن قديم من أرض البحرين^(٩) له ذكر كثير من أخبار العرب والفتوح^(١٠) ، وكان لعبد القيس^(١١) ، وحياه حصن لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر^(١٢) ، وبينهما نهر يقال له « محلم »^(١٣) ، وهو يجري الى جانب مدينة محمد بن الغمر^(١٤) .

وقد خالف هؤلاء من قال : انه حصن بين نجران والبحرين على تل

(٧) جاد المولى والبجاري وأبو الفضل ابراهيم : ايسام العرب في الجاهلية (مطبعة عيسى البابي - القاهرة/د ت) ص ٢ ، وابن منظور : لسان العرب (دار صادر - بيروت ١٩٥٥) ٤ : ٤٢٢ .

(٨) مجمع الامثال ٢ : ١٨٧ و ٤٣٨ . وأبو الفرج الاصفهاني : الاغانى (تحقيق أحمد فراج/دار المعارف - القاهرة ١٩٥٩) ١٧ : ٢٤٠ .

(٩) الجواليقي : العرب (تحقيق أحمد محمد شاكر/دار الكتب - القاهرة ١٣٦١) ص ٣٨ ومجمع الامثال ٢ : ٤٣٣ .

(١٠) المشترك وضعاً : ٣٦٨ .

(١١) بطن من أسد من العدنانية كانت ديارهم بتهماء ثم خرجوا الى البحرين ، وكان بها خلق كثير من بكر بن وائل وتميم ، فلما نزل بها عبد القيس زاحموهم في تلك الديار وقاسموهم في المواطن (القلقشندي : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب/تحقيق ابراهيم الابياري - مطبعة مصر القاهرة ١٩٥٩) ص ٣٣٨ .

(١٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠ ومعجم البلدان ٨ : ٦٥ .

(١٣) تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠ وهذا النهر ، عند ابن الفقيه ، يسمى العين (مختصر كتاب البلدان : ٣٠) .

(١٤) معجم البلدان ٨ : ٦٥ .

عال^(١٥) ، ويقابله حصن بني سدوس^(١٦) . واعتبر ابن الفقيه الهمداني هذا الحصن من عجائب الدنيا أسوة بمنارة الاسكندرية وعمود عين شمس وجسر آذنة وقنطرة سنجة وكنيسة الرها والأبلق وغمدان^(١٧) . وقيل ان المشقر جبل لهذيل تهامة ، وهو الذي قال فيه أبو ذؤيب :

حتى كأنني للحوادث مروة بصفاء المشقر كل يوم تُقرع^(١٨) ،
وقال الحازمي : ان المشقر ، ايضا ، واد بأجأ^(١٩) ، بينما ذهب الميداني الى انه قصر بناحية البحرين^(٢٠) .

وأضاف الاخباريون الى المشقر ركنا حفل بالنقوش والكتابات^(٢١) ،
وسوقا تقوم أول يوم من جمادى الآخرة الى آخر الشهر ، فتوافى بها فارس

(١٥) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر - بيروت
١٩٦٠) ص ١١٠ .

(١٦) معجم البلدان ٨ : ٦٥

(١٧) مختصر كتاب البلدان : ٢٥٥ .

(١٨) المشترك وضعاً : ٣٦٨ وان بعض هذا الجبل لخزاعة (معجم
البلدان ٨ : ٦٥) .

(١٩) معجم البلدان ٨ : ٦٥ ، وأجأ أحد جبلي طيء .. وهما أجأ
وسلمى (المشترك وضعاً : ١٣) .

(٢٠) مجمع الامثال ٢ : ١٨٧ .

(٢١) وكانوا يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المعروفة التي
هي أجدر أن تبقى على وجه الدهر ، وأبعد من الدروس ، فيجعلون فيه
الكتاب ، كما كتبوا على قبة غمدان وعلى عمود مارد وعلى ركن المشقر
(مختصر كتاب البلدان : ٢٤٥ ، والحيوان ١ : ٦٩) .

يقطعون اليها ببياعاتهم ، ثم تقشع عنها الى مثلها من قابل (٢٢) .

وللمشقر ، في الادب العربي ، أخبار غير حميدة ، ذكرها أدباؤنا
القدامى مفاكهة ، ومنها قول طرفة بن العبد :

خذوا حذرکم أهل المشقر والصفاء
عييد اسبذٍ والقرضُ يُجزى على القرض

وكان عييد اسبذ قوما من أهل البحرين يعبدون البراذين (٢٣) . ومنها ان
ذا اللبا كان صنم عبد القيس بالمشقر ، وقد التزموا سدائنه متعاونين مع
بني عامر (٢٤) ، وان مالك بن مسمع تنازع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك :
انما رفعك قبر بتُستر . فقال شقيق : حين وضعك قبر بالمشقر . يا ابن
قتيل النساء وقتيل الكلاب (٢٥) .

واختلف المؤرخون والبلدانيون والأخباريون في بناء المشقر ، فقال

(٢٢) وعن سوق المشقر تفاصيل اخرى في المحبر : ٢٦٥ ،
والبيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية (تحقيق ادوارد سخو -
ليبزيغ ١٩٢٣) ص ٣٢٨ ، والدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل
الاسلام (مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٥٥) ٤ : ٤١٤ .

(٢٣) العرب : ٣٨ - ٣٩ .

(٢٤) المحبر : ٣١٧

(٢٥) كان يقال لمسمع بن شيبان قتيل الكلاب ، لانه لجأ في الردة
الى قوم من عبد القيس ، فكان كلبهم ينبح عليه ، فخاف ان يدل على
مكانه ، فقتله ، فقتل به (الحيوان ١ : ٢٧٠ ، والثعالبي : ثمار القلوب
في المضاف والمنسوب / مطبعة الظاهر - القاهرة ١٣٢٦ ص ٣١٨ .

بعضهم انه من بناء طسم^(٢٦) ، وقيل انه من بناء سليمان بن داود (ع)^(٢٧) ، ولكن الطبري على أن الذي بناه رجل من أساورة^(٢٨) كسرى يقال له مسك بن ماهوذ ، كان كسرى وجهه لبنائه ، فلما ابتداء قيل له : ان هؤلاء الفعلة لا يقيمون بهذا الموضع الا أن تكون معهم نساء ، فان فعلت ذلك بهم تم بناؤك وأقاموا عليه حتى يفرغوا منه ، فنقل اليه الفواجر من ناحية السواد والاهواز ، وحملت اليهم روايا^(٢٩) الخمر من أرض فارس في البحر ، فتناكحوا وتوالدوا ، فكانوا 'جل' أهل مدينة هجر ، وتكلم القوم بالعربية^(٣٠) .

وحامت حول المشقر بعض الامثال العربية ، التي ضربت في الاساءة يركبها الرجل من صاحبه ، فيستدل بها على أكثر منها^(٣١) ، وفي الرجل

(٢٦) معجم البلدان (نقل عن ابن الفقيه) ٨ : ٦٥ ، وآثار البلاد

١١٠ .

(٢٧) معجم البلدان ٨ : ٦٥

(٢٨) القواد أو الرؤساء ، وهي جمع اسواز . والكلمة فارسية (العلابي : المرجع ١ : ١٦٤) ، وللأساورة منزلة مرموقة في البلاط الساساني ، فقد كلف عدد منهم بتنشئة أبناء كسرى ابرويز ، وكان الملك يختار رفقاءه في السفر من الأساورة والعظماء (كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين / ترجمة الدكتور يحيى الخشاب - مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٥٣) .

(٢٩) المزاد من ثلاثة جلود يوضع فيها الخمر .

(٣٠) تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠ .

(٣١) وعلى هذه دار المثل : « ليس بعد الاسار الا القتل » مجمع

الامثال ٢ : ١٨٧ ، أو « ما بعد السلب الا القتل » الاغاني ١٧ : ٢٤٠ .

يمكر مكرأ متقدما ثم خلط ليخدع صاحبه (٣٢) •

وما مرَّ معنا ، في هذه الجولة ، أستطيع أن أطرحه على هامش
المشقر بما يبرأ منه السياق التاريخي بله خرافات العجائز ، ولنعمد
للايقاع به ، فهو حين رتج عليه باب المشقر ليكون الصفي الاسطوري •••
انما جنح للحصن الذي أجمع الأخباريون على انه كان في البحرين • وهذا
يجعلنا نصدف عن الروايات التي وقعت على أن المشقر وادٍ أو قصرٌ أو
جبل • وما دام الأمر هكذا فلنصفح عن جميع الروايات التي أثقلت اسطورة
المشقر بما يبرأ منه السياق التاريخي بل وحتى خرافات العجائز • ولنعمد
ابن الكلبي - كما اعتمده أبو الفرج الاصفهاني - (٣٣) راويةً ينهض بالقصة
متنا ، ونحرف عنه الى غيره في الهوامش لتبيان الشواهد التي كاشفت ابن
الكلبي بالخلاف •

ان تباشير يوم المشقر - على لسان ابن الكلبي - توميء الى أن كسرى

(٣٢) فقيل : « ليس بعد السلب الا الاسار » مجمع الامثال ٢ :

١٨٧ - ١٨٨ ، وسأقول كلمتي في هذا المثل وفي أخويه اللذين ضاجعا
الهامش السابق (رقم ٣١) عندما اكشف قناع المشقر الذي عاقب
الجاحظ به أحمد بن عبدالوهاب أو عظ عقوبة حين جعله صفيه المفدى •

(٣٣) الاغاني ١٧ : ٢٣٨ - ٢٤٠ وعليها كان اتكال الدكتور جواد

علي (تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٤١٠ - ٤١١) •

بعث الى باذام عامله باليمن^(٣٤) عيراً تحمل نبعاً^(٣٥) ، فكانت تُسَدَّرَق^(٣٦) من المدائن حتى تُدفع الى النعمان ، ويذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر^(٣٧) ، حتى يدفعها الى هوزة بن علي الحنفي ، فيذرقها حتى يخرجها

(٣٤) وفي رواية المفضل العكس . . حيث ان باذام هو الذي بعث الى كسرى (الاغانى ١٧ : ٢٣٧) ولكن باذام في مقتبل رواية حمزة الاصفهاني يدعى باذان (تاريخ سني ملوك الارض والانبياء / مطابع دار الحياة - بيروت ١٩٦١ ، ص ١١٩) وعند القزويني يسمى وهرز (آثار البلاد : ١١٠) وكذلك الامر عند الطبري استنادا الى رواية هشام بن محمد (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) . وانني اتوكل على من ذهب الى انه وهرز ، وكان هذا الرجل من الاساورة ، وقد ولاه كسرى الاول على اليمن بعد أن طرد الاحباش منها سنة ٥٧٠ م (ايران في عهد الساسانيين : ٣٥٣ و ٣٥٨) اما اسمه فهو خرزاد بن نرسي ، وهرز مرتبة من مراتب الناس ، والمعروف عنه انه قتل من الاحباش ثلاثين ألفاً بستمائة رجل ، وصار اليه ملك اليمن بعد هلاك سيف بن ذي يزن (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٦) .

(٣٥) النبع شجر للقسي والسهم . وفي رواية المفضل أنها كانت تحمل ثيابا يمنية ومسكا وعنبرا وخرجين فيهما مناطق محلاة (الاغانى ١٧ : ٢٣٧) وبعث باذان باللطيمة . . أي المسك (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٩) وعند الميداني : لطائم (مجمع الامثال ٢ : ٢٣٣) وبعث وهرز بأموال وطرف من طرف اليمن . . ومنها خرج فيه جوهر ، وخصفة (أي وعاء من حوص) فيها سبائك فضة (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) وأموال وطرف (آثار البلاد : ١١٠) .

(٣٦) البدرقة : الخفارة .

(٣٧) وفي رواية المفضل : وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد والمراديون (الاغانى ١٧ : ٢٣٧) .

من أرض بني حنيفة ثم تُدفع الى سعد^(٣٨) ، وتجعل لهم جمالة^(٣٩) ، فسير
فيها ، فيدفعونها الى عمال بازام باليمن •

فلما بعث كسرى بهذه العير ، قال هوذة بن علي للاسورة : انظروا
الذي تجعلونه لبني تميم ، فاعطونيهِ ، فأما اكيكم أمرهم ، وأسير فيها معكم
حتى تبلغوا مأمنكم • فخرج هوذة والاسورة والعير معهم من هجر ••
حتى اذا كانوا بنطاع^(٤٠) بلغ بني سعد ما صنع هوذة ، فساروا اليهم
وأخذوا ما كان معهم واقتسموه ، وقتلوا عامة الأسورة وسلبوهم^(٤١) ،
وأسرّوا هوذة بن علي ، فاشترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه

(٣٨) من بني تميم •

(٣٩) ما يجعل على العمل •

(٤٠) ذكر الميداني بين أيام العرب جو نطاع • والجو - عند العرب -
كل مكان اتسع من الاودية • وفي نطاع اختلف البلديون ، فهي ماء في
بلاد تميم ، أو واد ونخيل لبني مالك بن سعد بين البحرين والبصرة •
وقال الميداني : انها ركية (بئر) عذبة الماء لبني تميم •• وعندها كانت
الواقعة بين بني سعد وهوذة بن علي ، وهذا اليوم جر يوم المشقر (مجمع
الامثال ٢ : ٢٤٨) •

(٤١) وفي رواية المفضل : فساروا [أي العير وخفراؤها] من اليمن
لا يعرض لهم أحد •• حتى اذا كانوا بحمص من بلاد بني حنظلة بن يربوع
وغيرهم ، أغاروا عليها ، فقتلوا من فيها من بني جعيد والاسورة
واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال وعتيبة بن الحارث
وقعب بن عتاب وجزء بن سعد وأبو مليل عبدالله والنطف بن جبير وأسيد
بن جنادة • فبلغ ذلك الاسورة الذين بهجر مع المكعب [وهذا سيأتي
ذكره في سياق رواية ابن الكلبي •• ع العلوجي] فساروا الى بني حنظلة
بن يربوع فصادفهم على حوض ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، فهزمت
الاسورة ، وقتلوا قتلا ذريعا •• ويومئذ أخذ النطف الخرجين اللذين =

الى هجر ، فأخذوا منه فداءه . (٤٢) فعمد هوذة ، عند ذلك ، الى الاساورة
الذين أطلقهم بنو سعد وكانوا قد سلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم
الى كسرى ، وكان هوذة رجلا جميلا شجاعا لبيبا ، فدخل عليه ، فقصص أمر
بني تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من ذهب ، فسقاه واعطاه اياها ،
وكساه قباء ديباج منسوجا من الذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتها ثلاثون
ألف درهم (٤٣) .

= يضرب بهما المثل (الاغاني ١٧ : ٢٣٧) ، وذكر حمزة الاصفهاني ان الذي
انتهب القافلة قوم من بني تميم ، وقد خوفهم الرسول عقوبة الملك ،
فقالوا : أكلة وموتة !! فذهبت مثلا ، وهم اول من قال ذلك (تاريخ
سني ملوك الارض : ١١٩) والى مثل هذا اوما القزويني : فلما كانت
[أي القافلة] ببلاد بني تميم وثبوا عليها وأخذوها (آثار البلاد : ١١٠)
وعند الطبري انها لما صارت ببلاد بني تميم دعا صعصعة المجاشعي بني
تميم الى اللوثوب عليها ، فأبوا ذلك ، فلما صارت في بلاد بني يربوع
دعاهم الى ذلك ، فهابوه . فقال : يا بني يربوع .. كآني بهذه العير قد
مرت ببلاد بكر بن وائل ، فوثبوا عليها ، فاستعانوا بها على حربكم !
فلما سمعوا ذلك انتهبوها ، وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف
خرجا فيه جوهر ، وأخذ صعصعة خصفة فيها سبائك فضة (تاريخ
الطبري ٢ : ١٦٩) .

(٤٢) وعند الطبري : ان هوذة لم يكن معهم ، وقتئذ ، وانما صار
أصحاب العير اليه باليمامة ، فكساهم وزودهم وحملهم وسار معهم حتى
دخل على كسرى (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) .

(٤٣) وفي رواية هشام بن محمد : وسار هوذة معهم حتى دخل على
كسرى ، وكان له جمال وبيان ، فأعجب به كسرى ، وحفظ له ما كان
منه ، ودعا بعقد من در ، فعقد على رأسه ، وكساه قباء ديباج مع كسوة
كثيرة ، فمن ثم سمي هوذة ذا التاج (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) .

وذكر ان كسرى سأل هوذة عن ماله ومعيشته ، فأخبره انه في عيش
رغد ، وانه يغزو المغازي فيصيب ، فقال له كسرى في ذلك : كم ولدك ؟
قال : عشرة • قال : فأيهم أحب اليك ؟ • قال : غائبهم حتى يقدم وصغيرهم
حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ • قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل
حملك على أن طلبت مني الوسيلة •

وقال كسرى لهوذة : رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، واخذوا
مالي ؟ • • أبنك وبينهم صلح ؟ • قال هوذة : أيها الملك ! • • بني وبينهم
حساء الموت ، وهم قتلوا أبي • قال كسرى : قد ادركت نارك ، فكيف
لي بهم ^(٤٤) ؟ قال هوذة : ان ارضهم لا تطيقها أساورتك ، وهم يتمتعون
بها ، ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة ارسلت معي جنداً
من اساورتك ، فاقم لهم السوق فانهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك ^(٤٥) •
ف فعل كسرى ذلك وحبس عنهم الاسواق في سنة مجدبة ، ثم سرح الى
هوذة ^(٤٦) فأتاه ، فقال : ائت هؤلاء فاشفني منهم واشتفِ •

(٤٤) حساء الموت : شربه وتجرحه • وفي رواية هشام بن محمد :
وقال كسرى لهوذة : رأيت هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا • من
قومك هم ؟ قال : لا • قال : اصلح هم لك ؟ • قال : بيننا الموت
قال : أدركت بعض حاجتك ونلت نارك (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) •
(٤٥) وفي الطبري : وعزم [أي كسرى] على توجيه الخيل الى بني تميم ،
فقيل له : ان بلادهم بلاد سوء • • انما هي مغاوز وصحاري لا يهتدى
لمسالكها ، وماؤهم من الآبار ، ولا يؤمن أن يعورها فيهلك جنده (تاريخ
الطبري ٢ : ١٦٩) وقال القزويني : فأراد كسرى أن يبعث اليهم جيشا •
فأخبر ان بلادهم بلاد سوء • • قليلة الماء (آثار البلاد : ١١٠) •
(٤٦) سرح اليه : أرسل رسولا •

وسرح معه (جوار يو دار) (٤٧) رجلا من (اردشير خُره) فقال لهوذة: سر مع رسولي هذا • فسار في ألف اسوار حتى نزلوا المنقر من ارض البحرين ، وهو حصن هجر ، وبعث هوذة الى بني حنيفة فأتوه ، فدنوا من حيطان المشقر ، ثم نودي : ان كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتعالوا فامتاروا • وانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاها بنو سعد (٤٨) • فجعلوا اذا جاءوا الى باب المشقر أدخلوا رجلا رجلا حتى يُذهب به الى المكعب (٤٩) فتضرب عنقه وقد وُضع سلاحه قبل

(٤٧) اختلفت المصادر العربية اختلافا ظاهرا في هذا الاسم الاعجمي الذي يحمله عامل كسرى على البحرين ، فهو في رواية هشام بن محمد : آزاد فروز جُشُنَس (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) أو داد فروز بن خشنشغان (تاريخ سني ملوك الأرض : ١١٩) •

(٤٨) وفي رواية المفضل : بعد أن استشاط كسرى غضباً أمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناس سنة شديدة ثم قال : من دخلها من العرب فأمروه ما شاء • فبلغ ذلك الناس فأتوه • وكان أعظم من أتاها بنو سعد (الآغاني : ١٧ : ٢٣٨) وذكر الميداني : ان كسرى كتب الى عامله أن يدخل بني تميم الحصن فيقتلهم ، فأرسل اليهم ، وأظهر لهم انه يريد أن يقسم فيهم مالا وطعاما (مجمع الامثال ٢ : ١٨٧) ويرى القزويني ان كسرى أرسل الى عامله بالبحرين أن يقتل بني تميم - وكانت تميم تصير الى هجر للميرة - فأمر العامل أن ينادى : لا تطلق الميرة الا لبني تميم • فأقبل اليه خلق كثير (آثار البلاد : ١١١) •

(٤٩) المكعب : هو الاسم الذي أطلقه العرب على عامل كسرى بالبحرين ، وهو صاحب المشقر ، وكان تولى البحرين وعمان الى اليمامة واليمن ونواحيها الى الغربيين وما والاها • وسمته العرب المكعب لانه كان يقطع أيادي بني تميم الذين أغاروا على اللطيمة ، أو لانه كان ينزع كعاب العرب اذا خرجوا من الحد • واذا أتوه بخراجهم أخذهم منهم ومنعهم من =

أن يدخل^(٥٠) ، فيقال له : ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر ، فإذا مرَّ رجل من بني سعد بينه وبين هوزة اخاء أو رجل يرجوه ، قال للمكعب : هذا من قومي ، فيخله له^(٥١) . فنظر خيري بن عبادة الى قومه يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ أسلحتهم . قال : ويلكم ! .. أين

= شرب ماء الغرات ، وعاش حتى صار مع عبدالله بن عامر بن كريز (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٦ و ١١٩) وسماه الميداني بالمكعب الضبي (مجمع الامثال ٢ : ١٨٧) وهذا افتئات على التاريخ ، لان هذا الرجل فارسي قطعاً ، وليس بينه وبين العرب أية أسرة .

ويقول هشام بن محمد : انما سمي المكعب لانه كان يقطع الايدي والأرجل وآلى ألا يدع من تميم عيناً تطرف (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩) .

(٥٠) وفي رواية هشام بن محمد : ووجه كسرى لهوزة رسولا وعاد به ، فجدد له كرامة وصلة ، وقال : سر مع رسولي هذا ، فاشفني واشتف ، فأقبل هوزة والرسول معه حتى صار الى المكعب وذلك قريب من أيام اللقاط (وهو ما التقط من كرب النخل بعد الصرام) وكان بنو تميم يصيرون في ذلك الوقت الى هجر للميرة واللقاط ، فنادى منادي المكعب : من كان ههنا من بني تميم فليحضر ، فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام يقسم فيهم ، فحضروا ، فأدخلهم المشقر (تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩ - ١٧٠) .

(٥١) وفي رواية المفضل : فنادى منادي الاساورة : لا يدخلها عربي بسلاح . فاقيم بوابون على باب المشقر ، فاذا جاء الرجل ليدخل قالوا : ضع سلاحك وامتر ، واخرج من الباب الآخر ، فيذهب به الى رأس الاساورة فيقتله (الاغانى ١٧ : ٢٢٨) ويقول الميداني : كانوا يأخذون أسلحتهم قبل الدخول (مجمع الامثال ٢ : ١٨٧) .

عقولكم؟ فوالله ما بعد السلب الا القتل (٥٢) • وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يقال له مصاد ، وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الاساورة قابض عليها ، فضربها فقطعها ويد الاسوار ، فانفتح الباب واذا الناس يقتلون ، فنارت بنو تميم ، ويقال ان الرجل الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال له عبيد بن وهب (٥٣) •

فلما علم هودة ان القوم قد نذروا به حذروا واستعدوا له أمر المكعبر فاطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هاربا من الباب الاول هو والاساورة ،

(٥٢) وعند الميداني : ليس بعد الاسار الا القتل ، وهذا المثل لبعض بني تميم قاله يوم المشقر حين رأى بنو تميم انه ليس يخرج أحد ممن يدخل علموا ان الدخول عليه انما هو أسر ، ثم قتل ، فعندها قال قائلهم المثل المتقدم ، فامتنعوا حينئذ من الدخول (مجمع الامثال ٢ : ١٨٧) ، وارتدى هذا المثل صيغة اخرى ذكرها الميداني أيضا ، ولكنه وضعها على لسان امرئ يدعى حمري بن عبادة ، وقد مر بنا في رواية ابن الكلبي انه خيبري بن عبادة ، فهذا الرجل حين رأى ما رأى قال : ليس بعد السلب الا الاسار (مجمع الامثال ٢ : ١٨٧ - ١٨٨) وفي رواية المفضل : يزعمون ان خيبري بن عبادة قال : يا بني تميم ما بعد السلب الا القتل • وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون (الاغانى ١٧ : ٢٣٨) •

(٥٣) وهذه التفاصيل ذكرها الميداني أيضا (مجمع الامثال ٢ : ١٨٧ - ١٨٨) وفي رواية الطبري : شد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب (وقد رأينا ابن الكلبي ينسب هذا الرجل الى بني عبس • ع • العلوجي) على سلسلة الباب فقطعها وخرج ، فقال :

الاهل أتى قومي على النأي اني حميت ذماري يوم باب المشقر

تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠-١٧١

فتبعتم بنو سعد والرباب ، فقتل بعضهم وأفلت من أفلت (٥٤) .

تلك هي قصة المشقر ، كما رواها ابن الكلبي ، وأشار الى أمشاج منها بعض الاخباريين المعروفين في مظان عربية دلت القاريء على طائفة منها خلال الهوامش التي اقتضتها هذه الدراسة . وهي ، حركة ومحتوى ، تصع ايدينا على ان الاستعمار الساساني كان يسرق خراج الجزيرة العربية بلا شكور ، وكان يضرب الحصار الاقتصادي على بعض القبائل العربية تأديبا ، وكان يصوغ المجاعات وسيلة لاذلال العزة القومية ، وكان يمنع الذين يترصدون قوافله من ارتياد الفرات ، كما ان قصة المشقر توحى بأن العرب كانوا يزلزلون مواقع الفرس ويقاومون نفوذهم اعتزازا بتاريخ المجد العربي ، وانهم كانوا لا يغفرون العمالة ، ولا يصفحون عن الخيانة . . . وبذلك وضعوا العميل هوذة بن علي الحنفي في مصاف أبي رغال ، ولعنوه بلا أسف !!

(٥٤) وفي رواية المفضل (بعد أن قال خبيري : ما بعد السلب الا القتل) انصرف من بني تميم من انصرف من بقيتهم ، فقتلوا بعضا وتركوا بعضا محبسين (الاعاني ١٧ : ٢٣٨) وذكر حمزة الاصفهاني : لم تزل أسارى يوم الصفقة محبسين في سجن المكعب بالبحرين حتى أخرجهم العلاب الحضرمي لما استعمله النبي (ص) على البحرين (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٩) وأنا لا أدري من هو العلاب الحضرمي ، ولعله العلاء ابن الحضرمي عامل البحرين زمن الرسول (ص) . وفي الطبري : ان هوذة بن علي كلم المكعب في مائة من أسرى تميم فوهبهم له يوم الفصح ، فأعتقهم (تاريخ الطبري ٢ : ١٧١) ويقول الميداني : ان هوذة والاساورة لما خرجوا هاربين تبعتم بنو سعد والارباب ، فقتل بعضهم وأفلت من أفلت ، وكان من قتل يومئذ أربعة آلاف رجل (مجمع الامثال ٢ : ١٨٨) .

وهكذا كان للمشقر يومه الخالد ، فباركته الاسطورة العربية الخالصة ،
فالتعمع - عبر الاجيال - بذكرى يوم الصفقة^(٥٥) . وقد جعل الميداني حديث
هذا اليوم ذا شجون حين قال : (انه اول الكلاب)^(٥٦) . والكلاب موضع
بين البصرة والكوفة^(٥٧) . وكان للعرب فيه يومان مشهوران يقال لهما :
الكلاب الأول والكلاب الثاني^(٥٨) .

بيد ان الميداني (رحمه الله) حين قال عن يوم المشقر انه أول
الكلاب .. دون أن يحدد سياقه التاريخي ، قد جعلنا نتخبط في متاهة
مدخلها الكلاب الاول ومخرجها الكلاب الثاني ، ولا ندري ايهما كان
مطلع يوم المشقر .

(٥٥) يقال ليوم المشقر يوم الصفقة ، وسمي الصفقة لأن عامل
كسرى أدخل بني تميم الحصن وأصفق عليهم الباب وقتلهم (أيام العرب
في الجاهلية : ٢ ، ومجمع الامثال ٢ : ٤٣٣ وثمار القلوب : ١٠٩) وقد
أطلق عبيد بن وهب في شعره على هذا اليوم اسم (يوم باب المشقر) .
تاريخ الطبري ٢ : ١٧١

(٥٦) مجمع الامثال ٢ : ٤٣٣

(٥٧) القلقشندي : صبح الاعشى (المطبعة الاميرية - القاهرة ١٩١٣)
١ : ٣٩١ ، وقيل : هو ماء عن يمين جبلة وشمام ، واليه أشار الشاعر
بقوله : ان كلاباً ماؤنا فخلوا (مجمع الامثال ٢ : ٤٣٣) ، وقيل هو ماء بين
جبلة وشمام (المشترك وضعاً : ٣٧٥) ونسب الشيخ أحمد رضا ذلك الماء
الى بني تميم (معجم متن اللغة - بيروت ١٩٦٠) ٥ : ٩٠ ، وقيل أيضاً :
هو ماء بين الكوفة والبصرة على سبع ليال من اليمامة ، أو هو وادٍ بثهلان
لبني العرجاء من بني نمير فيه نخل لهم ومياه (المشترك وضعاً : ٣٧٥) .

(٥٨) مجمع الامثال ٢ : ٤٣٣ ، والمشترك وضعاً : ٣٧٥

ان الاخباريين يعدون الكلاب الاول من أيام القحطانيين فيما بينهم ، وقد وقع بين أبناء الحارث : سلمة وشرجيل^(٥٩) في عهد المنذر بن ماء السماء^(٦٠) بسبب اختلافهم وتحاسدهم ، ودس المنذر للافساد بين الاخوة ، وانتهى ذلك اليوم بمقتل شرجيل^(٦١) . وقد اشتركت في هذا اليوم بكر بن وائل وبنو يربوع . وكانت تغلب والنمر وبهراء مع سلمة وبنو مالك بن حنظلة^(٦٢) .

فاذا استعرضنا أبطال هذا اليوم لم نجد بينهم من كان له دور ، ولو ثانوي ، في يوم المشقر . . وهذا يفضي بنا الى أن يوم الكلاب الاول هو أبعد ما يكون عن مذبحه المكعب في البحرين ، وليست - هناك - اية وشيجة بين الاثنين .

على اننا لو رجعنا الى ابي الفرج الاصفهاني ، باديء ذي بدء ، لا طبقنا على يوم الكلاب الذي ألمع اليه الميداني دونما حاجة الى مباحثة المراجع العربية

(٥٩) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٣٥٤ ، ويذهب القلقشندي الى انه كان بين الأخوين شراحيل ، وهو الاكبر ، وسلمة وهو الاصغر (صبح الاعشى ١ : ٣٩١) .

(٦٠) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٣٥٤ ، ولكن الميداني جعله في أيام أكنم بن صيفي (مجمع الامثال ٢ : ٤٣٣) .

(٦١) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٣٥٤ واشتد القتال بينهم وانتصر سلمة وانهزم شراحيل (= شرحبيل عند الدكتور جواد علي) وتبعته خيل أخيه فقتلوه (صبح الاعشى ١ : ٣٩٢) .

(٦٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٣٥٤ وكان مع شراحيل بكر وائل ومع سلمة تغلب وائل (صبح الاعشى ١ : ٣٩١) وفي هذا اليوم قاد الاقرع بن حابس حنظلة كلها (المحبر : ٢٤٧) .

لاقتصاص الخبر الشائع الذي ينتهي اليه يوم الكلاب الاول أو لاستباحت
الرواية التي اعتصم بها ذلك اليوم .

لقد بث أبو الفرج الاصفهاني وقائع يوم الكلاب الثاني في رواية
شاملة تلهم ان يوم المشقر كان حقا أول الكلاب كما زعم الميداني . . . وقد
حمل الاصفهاني نفسه على أن يقول : « لما وقع كسرى ببني تميم يوم
الصفقة بالمشقر ، فقتل المقاتلة وبقيت الاموال والذراري بلغ ذلك مذحجا ،
فمضى بعضهم الى بعض ، وقالوا : اغتتموا بني تميم .

ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاة^(٦٣) ، وشاورت
مذحج الكاهن مأمور الحارثي في الامر ، فنصحهم بالبر والسلام مع بني
تميم . . . ولكن مذحج كفرت بالنصيحة ، فاجتمع منها ومن حلفائها كئدة
وهمدان اثنا عشر ألفا وتوجهوا الى تميم ، فعلمت بذلك بنو سعد والرباب ،
فانطلق أشرفهم الى قاضي العرب اكثم بن صيفي يلتمسون رأيه ، فحذرهم
من مغبة الخلاف وكثرة الصياح والعجلة ، وزين لهم الثبات والاستعداد
للحرب . وهكذا أخذوا الالهة . واقبل أهل اليمن واشرافهم ونزلوا قريبا

(٦٣) كان الكلاب الثاني بين بكر ووائل (صبح الاعشى ١ : ٣٩٢)
ويميل ابن حبيب الى أن يجعله بين مذحج والتميم ، وهو مذهب أبي الفرج
الاصفهاني (المحبر : ٢٥١) وعلى هذا كان الجاحظ أيضا (البيان والتبيين /
تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف - القاهرة ١٩٥٠ ،
٤ : ٤٥) ولكن الاستاذ هارون محقق الكتاب ، ذكر - قبل ذلك - ان يوم
الكلاب الثاني هو كلاب أهل اليمن وتميم (البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨
هامش ٣) .

من الكلاب ، فابصرهم المشمت (وكانت له خؤولة في بني سعد) فأتى الكلاب وانذر سعدا والرباب ، فأعدوا للقوم ، وكان رئيس الرباب النعمان بن جساس ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري • وتلاحم الفريقان بالسيوف ، وتفاخرا بالارجاز ، وقتل النعمان في المعركة ، وأباد بنو تميم فرسان اليمن ، واسروا رجالها ، وكان قيس بن عاصم يشخذ عزائمهم ، ووقع عبد يغوث بين الاسرى ، فأرسل الى بني تميم ، فأرادوا الاجهاز عليه •• ولكنه طلب منهم أن يقتلوه قتلة كريمة ، وذلك بأن يسقوه الخمر ويدعوه ينوح على نفسه • فسقوه الخمر ، ثم قطعوا له عرقا يقال له الاكلل ، وتركوه ينزف^(٦٤) ••

والآن ، وبعد أن قدمت أمام (صفى المشقر) الطلائع التي كشفت أسرار (ملحمة البحرين) ، ولاحقت فلولها وذبولها •• أرى أن أتاب لمناقشة الجاحظ تمهيدا لتفسير الدواعي التي شوقته الى مناداة أحمد بن عبدالوهاب بصفي المشقر حتى لا تكحل عينه بنوم ! •

كان أحمد بن عبدالوهاب ، عند الجاحظ ، وارث مزبلة مترعة بالنفايات الخلقية الذميمة ، لانه ذو حس فاسد انضجه الغيظ وأكمده الحسد^(٦٥) •

وان رجلا على هذه الشاكلة ليس بمستكر عليه أن يركب الاساءة

(٦٤) الاغاني (تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة مصطفى البابي - القاهرة ١٩٥٩) ١٦ : ٢٥٤ - ٢٥٩ باختصار وإيجاز •
(٦٥) كتاب التبريع والتنوير : ١٠ و ١٣

لمواجهة أصدقائه • ومن هنا اعتقادي بأن الجاحظ فحص جميع الأمثال العربية لاختيار ما عساه يُضرب فيُستدل به على ابلغ من الاساءة المركوبة • • فوجد (ليس بعد الاسار الا القتل) (٦٦) •

وبعد أن شهد الجاحظ ان احمد عبدالوهاب كان يخاشنه ويعاقله ويظارفه ويطاوله (٦٧) فطبعي أن ينتهي رب هذه الخصال الى أن يمكر مكرأ متقدما ، ثم يخلط ، ليخدع صاحبه ، وعلى هذا المحتوى أطبق مثل عربي سائر ، فكان (ليس بعد السلب الا الاسار) (٦٨) •

ومن هذين المثليين انطلق الجاحظ يتحسس الجذر التاريخي الذي أمدهما بالحياة ، فوجد انهما يضربان في أرض البحرين حيث مدينة هجر تفاخر الدنيا بحصن المشقر • • وماذا عسى أن ينفعه ذلك في مساجلة أحمد بن عبدالوهاب ؟ • • انه يريد للرجل أن يكون معمرا تشير اليه الاصابع ، فهل هناك قرينة يمكن أن تومض بين الخلود والمشقر ؟ • • ان هذه الضالة يجب أن ينشدها عند الشاعر الجاهلي المخبل السعدي • أفليس هو القائل :

وتقول عاذلتي - وليس لها بغداد ، ولا ما بعده علم
ان الثراء هو الخلود وان المرء يكرب يومه العدم

(٦٦) ويروي أيضا : ليس بعد السلب الا القتل (راجع حاشية ١٠٤

من هذا البحث) •

(٦٧) كتاب التربيع والتدوير : ٢٣

(٦٨) راجع هامش (٣٢) •

ولئن بنيت لي المشقر في عنقاء ، تقصر دونها العصم
لتتقبن عني المنية ان الد .ه ليس كحكمه حكم (٦٩)

اذن فليكن أحمد بن عبد الوهاب صفي المشقر ، ولينعم هناك بأسباب
البقاء وقد هادته الايام ! .. وللمخبل السعدي الرحمة والرضوان (٧٠) .
وليس للجاحظ ، بعد ذلك ، الا أن يصرخ : (يا صفي المشقر)
ليكسر من زهو صاحبه ، ويجرح كبرياءه ، ويرتهنه في دوامة لا يفيق منها
الا لتستقرقه من جديد .. حتى لا يقع على المقصود بصفي المشقر .. ولكن
رويدك يا أحمد ! .. فقد يسعدني الحظ باسعاك ، فهلم معي نستطلع
خاتمة المشقر لتكون على بينة من أمرك ! .. فاذا كانت كلمة (الصفي) تنظر
الى (الصاحب) فقد ارتفع اللبس ، واصبح أحمد عبد الوهاب يتقصر روح
صاحب المشقر طاغية البحرين (المكعب الساساني) (٧١) ، ويشهد النهاية
التي قمعت طغيانه يوم ولّى هاربا مع هودّة بن علي والاساورة من باب

(٦٩) رسالة الغفران : ١١٧ والعدم : الفقر . وعنقاء : يريد هضبة
عنقاء أي مرتفعة طويلة . وقد ورد عند ابن منظور :

فلئن بنيت لي المشقر في صعب تقصر دونه العصم

لسان العرب : مادة شقر ٤ : ٤٢٣

(٧٠) قال أبو العلاء المعري بعد أن ذكر أبيات السعدي : انه المسكين
(أي المخبل السعدي) قال هذه الأبيات ، وبنو آدم في دار المحن والبلاء .
يقبضون من الشدائد على السلاء (شوك النخيل) ، والوالدة تخاف المنية على
الولد .. الخ (رسالة الغفران : ١١٨) وهذا يدل على ان السعدي كان يطمع
بالخلود ، ولكن المنية لا ترحم أحدا .

(٧١) المكعب وهو صاحب المشقر (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٦)

المشقر الأول بعد هجوم بني تميم^(٧٢) ، يعيش ثمالة حياته مع عبدالله بن عامر بن كريز^(٧٣) . وانني أعجب لهذا العبدالله كيف ينعش في كفه رجلا كان شيخ الجلادين في عصره ، وجزار بني تميم بلا منازع^(٧٤) ، فيستظل بحمايته عمرا طويلا سالمته فيه صروف الزمان ، ويموت دون أن يناله أحد بنار^(٧٥) .

اما اذا نظرت كلمة (الصفي) الى معنى (الحبيب المصافي) ، فلا بد أن يكون صفي المشقر رجلا ذا مركز اجتماعي مرموق تشده بالبلاط الكسروي وشائج الود والصدقة . ومن عسى أن يكون أجدر من هودة بن

(٧٢) الاغانى ٧ : ٢٤٠ ومجمع الامثال ٢ : ١٨٨

(٧٣) تاريخ سني ملوك الارض : ١١٦ وعبدالله هذا كان أمير خراسان في خلافة عثمان (المحبر : ٣٦٣) وهو الذي افتتح سجستان صلحا (الحيوان ١ : ٧٣ هامش ٣) وولي البصرة على عهد معاوية بن أبي سفيان (المحبر : ٤٧) وتوفى سنة ٩٥هـ (الحيوان ١ : ٧٣ هامش ٣) .

(٧٤) وعبدالله ، فوق ذلك ، كان زوج كيسة بنت الحارث التي تزوجها - قبله - مسيلمة الكذاب !! (المحبر : ٤٤٠)

(٧٥) اتفق عام المبعث النبوي مع السنة العشرين من ملك ابرويز ، ويقال مع السنة السادسة عشرة ، وفي هذه السنة بعث باذان [أو باذام أو وهرز] باللطيمة (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٩) فاذا علمنا ان المبعث كان في سنة ٦١١م ، فان يوم المشقر (وقد حدث بعد انتهاب اللطيمة) لابد أن يقع في حدود ٦١١-٦١٢م ، ولنفرض انه ، على أكثر تقدير ، وقع في سنة ٦١٢م ، وهي السنة التي سجلت هروب المكعبر والتحاقه بعبدالله بن عامر الذي عاش حتى سنة ٩٥هـ/٧١٣م . فان هذا العمر الطويل الذي يقرب من مائة سنة كفيلا بأن يحشر طاغية المشقر مع المعمرين !!

علي الحنفي •• ذلك الحقود اللثيم الذي تاجر بدماء بني قومه ليشفي صدر
كسرى !!

لقد كان هذا الرجل صاحب اليمامة بنجد ، وشاعر بني حنيفة^(٧٦) ،
وعرف بين العرب بانه ذو التاج ، وهو التاج الذي وضعه كسرى على رأسه
ثمينا لمواقفه الخيانية وعمالته القبيحة^(٧٧) .

وليس ما جازى الجاحظ صاحبه أحمد بن عبد الوهاب حين أحاله
على هودة صفي المشقر ليحصد ما زرع ذاك ، وليوء بالخسار ملعونا ،
لا تظهره شفاعاة .

ان الجاحظ ، اذ مسخ أحمد هودةً جديداً ، انما كان يرمي بحجارة
من سجل ، لا تخطيء هدفاً ، فقد ودّ لو يرى أحمد مشخنا بالجراح ••
بلا ضمام ، مقموعا الى الابد ، غير مرحوم . ومن هنا تاق الى أن يخمد
نوره ، ويفتال بشاسته . وليس له من سبيل الى ذلك الا أن يرجو
ويتمنى !! •• فماذا يرجو ؟ •• انه يرجو أن تتكشف الغمة عن واقع غير
معقول ، يتمخض عن حلول روح هودة في جثمان أحمد ليكون أحق من
غيره بالبكاء على نفسه !! •• لأن هودة ظل يتشبث بالحياة ، وهو باليمامة ،
حتى ظهر الاسلام . وبعث اليه رسول الله (ص) في السنة السابعة للهجرة

(٧٦) الزركلي : الاعلام (مطبعة كوستانتسوهاس - القاهرة ١٩٥٧)

٩ : ١١١ •

(٧٧) ويميل الناقد العربي الكبير أبو عمرو بن العلاء الى أن ثمن
عمالته كان بخساً ، فقد أجاب حين سئل عن تاج هودة بقوله : انما كانت
خرزات تنظم له • (الاعلام ٩ : ١١٢) .

سليط بن عمرو العامري يدعو الى الاسلام ، وكتب معه كتابا يقول له فيه :
 « اسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يديك » (٧٨) . فقدم عليه فانزله وجناه ،
 وقرأ كتاب رسول الله (ص) ، وكتب جوابا : « ما احسن ما تدعو اليه
 وأجمله ، فأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فأجعل لي
 بعض الأمر اتبعك » . وأجاز سليطا بجائزة ، وكساه أثوابا من نسج
 هجر ، فقدم بذلك كله على رسول الله (ص) ، واخبره بما قال ، فقرأ
 كتابه ، وقال : « لو سألتني سياحة من الارض ما فعلت ، باد وباد ما في
 يديه » (٧٩) . فمات عام الفتح (٨٠) . وليهنا أحمد بن عبدالوهاب بهذه المآثر
 الجليلة !!

اما اذا نظرت كلمة (الصفي) الى معنى (الخالص من كل شيء)
 فمن المؤلف - في هذه الحال - أن يكون أحمد بن عبدالوهاب واحدا بين
 الذراري التي لم يتناولها المكعب بالقتل (٨١) ، أو أحد السجناء من اسارى

(٧٨) النويري : نهاية الارب في فنون الادب (مطبعة دار الكتب -
 القاهرة ١٩٥٥) ١٨ : ١٦٦ ، والاعلام ٩ : ١١٢
 (٧٩) نهاية الارب ١٨ : ١٦٦ والسياسة من الارض قطعة منها ،
 وفسرها بعضهم بالبلح أو البسر . وباد : هلك .

(٨٠) أي في سنة ٦٣٠م . وذلك بعد هروبه من حصن المشقر بثمانى
 عشرة سنة . وترك زوجة رائعة الجمال ، اسمها ضباعة بنت عامر . تزوجها
 عبدالله بن جسدعان ثم هشام بن المغيرة المخزومي ، وأمسك عن خطبتها
 رسول الله (ص) حين بلغه عنها كبره (المحبر : ٩٧ و ٤٣٨-٤٣٩) .
 (٨١) فقتل المكعب المقاتلة وبقيت الاموال والذراري (الاغانى ١٦ :

٢٥٤) .

يوم الصفقة الذين أطبق عليهم سجن المكبر^(٨٢) ، فيكون ، بين هؤلاء الجنود المجهولين ، كهيآن بن بيان ، لا يعرف هو ولا أبوه . وكذلك الحال اذا نظرت كلمة (الصفي) الى (ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنمة) ، اذ يصبح أحمد بن عبدالوهاب ، عندئذ ، من بين المائة أسير الذين وهبهم المكبر لهوذة يوم الفصح بعد أن التمس منه اطلاق سراحهم^(٨٣) . ولكني ارى - غباً هذا الاستعراض - ان الجاحظ لم يناد صاحبه بـ (يا صفي المشقر) ، وان (صفي) التي وردت هكذا في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة من كتاب التريبع والتدوير . . . انما هي (خصي) ، ولكن الوراقين والنساخ مالوا - ناسخا عن ناسخ ووراقا عن وراق - الى تحريفها من حيث لا يشعرون ، فكانت (صفا) .

فالنداء السليم . . . هو (يا خصي المشقر) . . . أقول ذلك وأنا مطمئن الى سداد هذا الرأي ، لان جميع الشواهد الروائية والاخبارية معي ، تنصر وتعزز ما رميت اليه ، فقد قتل المكبر رجال بني تميم ، واستبقى الغلمان ،

(٨٢) في رواية المفضل : فقتلوا بعضا وتركوا بعضا محبسين (الاغاني ١٧ : ٢٢٨) وذكر أبو حمزة الاصفهاني ان اولئك الاسرى ظلوا محبسين حتى أخرجهم العلاء بن الحضرمي لما استعمله النبي على البحرين (تاريخ سني ملوك الارض : ١١٩) وذلك على عهد والي البحرين المنذر بن ساوي العبدي الذي أعلن اسلامه بعد اجتماعه بالعلاء بن الحضرمي ، وذلك سنة ٨ للهجرة (٦٣٠م) . . . تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ : ٤٠٩ وتاريخ الطبري ٣ : ٢٩ .

(٨٣) وكلم هوذة المكبر ، يومئذ ، في مائة من اسرى تميم فوهبهم له يوم الفصح فأعتقهم (تاريخ الطبري ٢ : ١٧١) ولما علم هوذة ان القوم قد نذروا به أمر المكبر فاطلق منهم مائة من خيارهم (الاغاني ١٧ : ٢٤٠) .

فجعلهم في السفن التي عبرت بهم الى فارس حيث خصوا منهم بشرا^(٨٤) .
وصرح هبيرة بن جدير العدوي ، في معرض هذه الرواية ، قائلا : رجع
الينا - بعدما فتحت اصطخر - عدة منهم (أي من اولئك المنفيين) أحدهم
خصي والآخر خياط^(٨٥) .

فليكن ابن عبد الوهاب هذا الخصي أو أحد خصيان بني تميم ، وليتسامخ
بعد ذلك . . . انه خصي المشقر !!

(٨٤) تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠ وبعث المكعب بن ذراريمهم في السفن الى
فارس (آثار البلاد : ١١١) .
(٨٥) تاريخ الطبري ٢ : ١٧٠

المحتوى

٥- ٣	المقدمة
٢٦- ٦	صوتنا الشعبي وكيف نحميه ؟
٢٧- ٢٧	ماسنيون وعامية بغداد
٢٠- ٢٨	مفاهيم فولكلورية (١) اليمين الشعبية
٤١- ٤٠	(٢) أدب شعبي لا عامي
٤٣- ٤١	(٣) صوم زكريا
٤٥- ٤٤	(٤) الفولكلور
٥٣- ٤٦	القمر والحوت
٦٢- ٥٤	الشعر النبطي عند البدو
٨٧- ٦٣	وثيقة ترهية للجاحظ
٩٦- ٨٨	الازياء الشعبية في مقامات الحريري
١٠٣- ٩٧	ليلة المحبة
١١٥-١٠٤	السعلاة
١٤٠-١١٦	تعويذة اندلسية
١٥٠-١٤١	المائدة العراقية في مقامات الحريري
٢١١-١٥١	مراجع العامية في الوطن العربي
٢١٦-٢١٢	نذور من بغداد
٢٤٢-٢١٧	صفى المشقر

صدر في هذه السلسلة

- الديمقراطية الاشتراكية
احمد عبدالقادر (ابراهيم الخال)
- المفنون البغداديون
الشيخ جلال الحنفي
- المدخل الى علم الفولكلور
عثمان الكعك
- دار السلام في حياة أبي العلاء
السيدة بنت الشاطيء
- من الشعر العامي « المذيل »
الحاج هاشم محمد الرجب
- الاصاله في الشعر الشعبي العراقي
جميل الجبوري
- الخصائص الفنية والاجتماعية لرسم
الواسطي
شامر حسن آل سعيد
- مباحث في الأدب الشعبي
عامر وشيد السامرائي
- الالاب الشعبية لصبيان سامراء
يونس الشيخ ابراهيم السامرائي
- الالاب الشعبية في العمارة
عبدالحسن المفوعر السوداني
- الصناعات والحرف البغدادية
الشيخ جلال الحنفي
- تعليم اللغة العربية في نيجريا
مسليم حكيم

هذا الكتاب ..

• • • مضت القافلة تتخطى المبارك والواحات لتؤدي رسالتها بسرعة الضوء ،
وقبل عشرة أعوام ، وحتى اضحيانته هذا اليوم تشامت دعوتها بمئة
قلم وقلم ، كلها يبشر باحياء انفولكلور العراقي وتخليده ، ويعزز
الرغبة في الانتفاع بالدراسات الشعبية • وهذا وغير هذا وما
يمكن ان يوجد به غد قريب •• انما هو بداية
الانعطاف نحو يقظة ناشطة تستطيع ان تزرع
العراق في مصاف الدول التي قدست
دفانها ومآثرها لتكون ، في
السوق السياحي ، مطعم
الانظار ، ومهوى
الاولئدة ، ومعقد
البحوث ،
ومجذب
النقد
النادر •

من المقدمة

التمن
٢٠٠
فلس